القراءة القرآنية

موسوعة
القرآن الكريم على منهج حديث الثقلين
المجلد الأول

القراءة القرآنية

السيد زهير طالب الاعرجي

موسوعة القرآن الكريم

على منهج حديث الثقلين

المجلد الأول: القراءة القرآنية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد في الذكر الحكيم: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1]، (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[2]. وفي الحديث النبوي الشريف: (إني تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[3].

محور البحث: يُناقش هذا الكتاب فكرة محورية ملخّصها الدور الحاسم لأئمة أهل البيت (ع) في حفظ القرآن الكريم بعد وفاة رسول الله (ص)، ويُشير بالخصوص إلى دور الإمام علي بن أبي طالب (ع)، والإمام محمد الباقر (ع)، والإمام جعفر الصادق (ع) في ذلك. هذا الدور ساهم في نشر القراءة الشرعية الصحيحة عن رسول الله (ص)، ومنعَ القراءات الشاذة الموضوعة. وقام تلامذتهم (ع) بدور فعّال في التلاوة الصحيحة للقرآن الكريم، بحيث لم يقرأ أبو عبد الرحمن السُلمي، وحفص بن سليمان، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب، وغيرهم حرفاً من كتاب الله إلا بأثرٍ[4] منهم (ع).

---

[1] سورة الحجر: الآية 9.

[2] سورة الأحزاب: الآية 33.

[3] مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 14.

[4] تهذيب الكمال ج 7 ص 322.

تعلّمت النسبة الأكبر من قراء القرآن الكريم على يد أهل البيت (ع) مباشرة أو بواسطة، إلى درجة إن الاختلاف في القراءات القرآنية التي كانت سائدة زمن الإمام الصادق (ع) في القرن الثاني الهجري بالخصوص لم تضرّ الإطار العام للقراءة القرآنية، فالاختلاف في التماثل الكلي والجزئي، وإختلاس الحركة، والتفخيم والترقيق لا يغيّر من معاني القرآن الكريم. لذلك لم يعارض الإمام (ع) القراءات في زمانه مع اعتقاده بأن القرآن نزل على حرف واحد. وكان (ع) يشدد على تلاوة القرآن بالقول: أقرءوا كما يقرأ الناس.

وقف أهل البيت (ع) ضد القراءات الشاذّة التي كانت تؤدي إلى تعدد التركيب اللفظي للقرآن، وتبديل المعاني القرآنية، خصوصاً فيما يتعلق بالتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، والإبدال الذي يُفسد نظم الآيات ومعانيها، وهو بخلاف الهدف الأسمى الذي نزل من أجله القرآن الكريم.

بسم الله الرحيم الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله حمد الشاكرين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما هو أهله، وصلى الله على محمد المصطفى نبي الرحمة خاتم النبيين (ص) وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاةً دائمةً زاكيةً إلى قيام يوم الدين.

قال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[5]. أنزلَ اللهُ تعالى على رسوله (ص) الكتاب العزيز الذي (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[6]، وسماه قرآنا، فقال: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)[7].

ترك رسول الله (ص) بعد وفاته تلك الأمانة الشريفة الخالدة وهي التمسك بكتاب الله وبالعترة الطاهرة، وأراد من الأمة أن تحفظها بعينيها، لخصها حديث الثقلين المتواتر: (إني تاركٌ فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[8].

---

[5] سورة الأعراف: الآية 35.

[6] سورة فصلت: الآية 42.

[7] سورة الإسراء: الآية 106.

[8] مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 14.

هذا الحديث الشريف يلخص التكليف الشرعي للإنسان المسلم، ويحدد مصدر النبع الفكري للإسلام بعد رسول الله (ص). فالقرآن هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، تكفل اللهُ بحفظه من التحريف والتبديل، فقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[9]، وقال: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[10] ، وقال: (إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ)[11]. فكان الكتاب السماوي ولا زالَ محفوظاً بين الدفتين، وكان أهل بيته الطاهرين (ع) ولا زالوا حفظة القرآن على مر الدهور والعصور.

وعلى ضوء حديث الثقلين نفهم أن ألفاظ القرآن الكريم، وتفسيره أمرٌ توقيفي، أي متوقفٌ على النص الوارد عن خاتم الأنبياء (ص) عن طريق الوحي. نفهم ذلك مما ورد في الأثر عنه (ص): (من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ خرّ أبعد من السماء)[12]، و(من قال في القرآن برأيه، أو بغير علمٍ فليتبوأ مقعده من النار)[13]. فكان لابد من فهم القرآن الكريم من البوابة الصحيحة وهي بوابة أهل بيت النبي (ص).

ذلك أن القرآن الكريم كتابٌ آلهي تضمن قواعد كلية لمعاني الوجود، والخلق، والمصير. وفيه صفات الخالق عزوجل وفعله، وطبيعة

---

[9] سورة الحجر: الآية 9.

[10] سورة الإسراء: الآية 88.

[11] سورة الطارق: الآيات 13- 14.

[12] وسائل الشيعة ج 27 ص 201.

[13] مستدرك الوسائل ج 17 ص 337.

الكون الذي خلقه، وما ترتب على ذلك من وجود الأنبياء (ع) وكتبهم السماوية لهداية البشر، وطبيعة الإيمان وطرقه، وطبيعة النفس الإنسانية التي أُلهمت الفجور والتقوى، أو الضلالة والهداية.

وتضمن قواعد كلية للتكاليف الشرعية للإنسان كالصلاة والصيام والإنفاق والحج والجهاد، والتكاليف الأخلاقية كإعانة الضعيف وبر الوالدين وصلة الرحم ومساعدة الجار ونصرة المظلوم. وبكلمة، فقد حدد القرآن الكريم للإنسان المسلم منهجاً فريداً في الحياة الشخصية والإجتماعية، وخيّر له في عالمه الدنيوي بين العمل الصالح وبين العمل الفاسد، وما تبع ذلك من خير أو شر، أو ثواب أو عقاب، أو جنة أو نار.

وتطرق القرآن الكريم أيضاً إلى نظام المجتمع من خلال الحث على الإخلاق الحسنة الجميلة، وبناء الأسرة الصالحة، وتداول الناس المالَ بالحق في التجارة والزراعة والكسب الحلال، وإنفاق المال على من حُرِمَ منه لأسباب تكوينية كالعلل الجسدية أو عدم القدرة على الكسب أو الظلم؛ وتطرق أيضاً إلى القضاء العادل وحل المنازعات بين الناس.

وجعل القرآن العلمَ والعمل أساساً للجزاء ثواباً أو عقاباً، ووضعَ نية الفرد بفعل شيء ما أصلاً للقبول.

نستقرأ إجمالاً من هذه الأفكار أن العقل البشري أو (القلب) بتعبير القرآن هو محور الوجود الإنساني، لأننا عرفنا الله تعالى بالعقل وعبدناه به، وبه أدركنا أبعاد الحياة وما يؤول إليه الإنسان بعد خاتمتها. وهذا الكتاب السماوي الخالد هو دستورٌ دائمٌ للعقل والقوة العقلية والروحية عند الإنسان.

ولذلك كان التأكيد على حفظ الكتاب الالهي وصيانته مورد إهتمام النبي (ص) والقرآن معاً، باعتباره خطاباً سماوياً كاملاً للإنسان، لا يعتريه نقص أو وهن أو قصور. وإلى ذلك تشير الآيات العديدة إلى هذا المعنى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[14]، (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)[15]، (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)[16]، (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[17]، (وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ)[18].

واعتبار أهل البيت (ع) في حديث الثقلين صنواً للقرآن الكريم دليلٌ على علو مقامهم (ع)، وحجية قولهم (ع).

والإقتران بينهم (ع) وبين القرآن الكريم دليلٌ على طهارة الطرفين من قذارة الآثام والأخطاء كما قال تعالى في الكتاب: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا

---

[14] سورة يونس: الآية 15.

[15] سورة النجم: الآية 3-4.

[16] سورة الحاقة: الآية 44-46.

[17] سورة فصلت: الآية 3.

[18] سورة الرعد: الآية 37.

الْمُطَهَّرُونَ)[19]، وقال في أهل البيت (ع): (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[20].

حديث الثقلين هو إنعكاس لأمر الله تعالى، ووجدان رسول الله (ص) الذي أوصى فيه بالحفاظ على الثقلين، والإلتزام بهما، فقال (ص): (أوشك أن أدعى فأُجيب، وقد تركتُ فيكم الثقلين أحدهما أفضل من الآخر: كتابُ الله عزوجل، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[21].

نفهم منه وجوب التمسك بكتاب الله تعالى وعترته الطاهرة (ع)، ونفهم منه أيضاً دلالة الحديث على عصمتهم (ع)، وإلا فإن النبي (ص) لا يأمر بالتمسك بمن يُحتَمَل منه المعصية. ونفهم منه أيضاً استمرارية القرآن الكريم واستمرارية إمامتهم (ع) إلى يوم القيامة فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليه (ص) الحوض[22].

والأظهر "أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطلّعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا عِدلاً لكتاب الله سبحانه، كما قال تعالى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)[23] "[24].

---

[19] سورة الواقعة: الآية 79.

[20] سورة الأحزاب: الآية 33.

[21] كمال الدين وتمام النعمة ص 237.

[22] كمال الدين ص 237.

[23] سورة آل عمران: الآية 164.

والكتاب "لا يُنطَقُ بلسانه، ولا يبينُ لكلِّ أحدٍ بنفس بيانه، ولو كان كذلك لكان جائزاً أن ينزل كتاب ويكل بيانه إلى كل من يتولى بيانه، بل له مبيّنٌ خاص معين كما قال تعالى: (... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ...)[25]، فإليه تبيين المنزَل، وتفصيل المجمل، والتمييز بين الحق والباطل"[26]. بل وَكَلَ أمره إلى أحد الثقلين "حاملٌ مطيقٌ بأعبائه، ناقلٌ حقيقٌ بإعلانه وإعلائه، وقال فيه: أني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي..."[27].

وهكذا ربط رسول الله (ص) بين الثقلين، وهو يعلم (ص) أن الله تعالى سوف يحفظهما من عاديات الزمن وأيادي الناس، وطالما كان القرآنُ كتاباً مقروءاً فلابد أن تكون هناك عناية خاصة بقرائته على الوجه الذي نزل به.

وهذا البحث يُثبت فكرة أساسية فحواها أن اليد الآلهية حفظت القرآن الكريم رسماً وقراءةً، ويحاول التركيز على موضوع قراءة الإمام أمير المؤمنين (ع) على رسول الله (ص) وقراءة تلميذه أبو عبد الرحمن السلمي (ت 73 هـ) عليه (ع)، ثم قراءة عاصم بن أبي النجود (ت 127 هـ)، ثم قراءة حفص بن سليمان الأسدي (ت 180 هـ). فتكون قراءة حفص عن

---

[24] مرقاة المفاتيح – القاري ج 11 ص 307.

[25] سورة النحل: الآية 44.

[26] مفاتيح الأسرار – الشهرستاني ص 50 م.

[27] مفاتيح الأسرار ص 50 م.

عاصم وإتصالها بعلي بن أبي طالب (ع) تشبه إتصال الفرع بالأصل الصحيح في قراءة القرآن الكريم إلى يومنا هذا.

اللهم إنك تعلم إنني لم أبذل هذا الجهد إلا إبتغاء وجهك الكريم، ومرضاتك في الدارين. فاسألك يا ربي الكريم أن تتقبله بقبولٍ حسنٍ، وأن تجعله ذخراً لنا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

المؤلف

15 ربيع الأول 1437 هـ

محتويات الكتاب:

الفصل الأول: القرآن الكريم في عهد النبي (ص)
الفصل الثاني: القراءات القرآنية: البُعد التأريخي
الفصل الثالث: القراءات القرآنية: البُعد الأصولي
الفصل الرابع: القراءات القرآنية: البُعد النحوي (الصوتي)
الفصل الخامس: رواية حفص عن عاصم
الفصل السادس: النتائج المستخلصة من بحوث الكتاب
مصادر التوثيق

الفصل الاول

القرآن الكريم في عهد النبي (ص)

مقدمة. الكتاب المقروء. نزول الوحي. الأمر بالتلاوة والإقراء. أولاً: إقراء النبي (ص) المسلمين. ثانياً: إقراء النبي (ص) عليَّ بن أبي طالب (ع). ثالثاً: آية النجوى والقرآن. دلالات قوله تعالى: (يتلونه حق تلاوته). حفظ القرآن في عهد رسول الله (ص). مراحل مر بها القرآن بعد وفاة النبي (ص). ترتيب القرآن توقيفٌ من النبي (ص).

مقدمة

كان رسول الله محمد بن عبد الله (ص) أميّاً لا يقرأ ولا يكتب، بدليل قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ...)[28]، وقوله تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[29]. وكانت صفة الأمية، وعدم القراءة والكتابة أفضل صفة لحمل كتاب الله عزوجل، ومخاطبة البشرية. فإنها دليلٌ على إعجاز القرآن المجيد، وعدم اختلاط كلماته بكلام البشر.

نزل القرآن الكريم على رسول الله (ص) عن طريق الوحي وهو في غار حراء قبل الهجرة بثلاثة عشر سنة، وسورة العلق هي أول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين، نزل بها جبرئيل (ع) عليه (ص) وهو قائمٌ على حراء[30]، فعلّمه آياتٍ من تلك السورة المباركة: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[31]. ثم نزل القرآن نجوماً بعد ذلك.

إمتثل النبي (ص) أمر الوحي بتلاوة القرآن المجيد أمام الناس، خصوصاً الذين كان يدعوهم إلى الإسلام، قال تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ

---

[28] سورة الأعراف: الآية 157.

[29] سورة العنكبوت: الآية 48.

[30] تفسير القمي ج 2 ص 447. فهرست ابن النديم ص 28.

[31] سورة العلق: الآية 1– 5.

عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)[32]. وقد ورد في الأثر " أن رسول الله (ص) كان يُقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشرٍ أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلّمهم القرآن والعمل جميعاً"[33].

ومن مقتضيات النبوة أن يكون قلب النبي (ص) قادر على حفظ كلام الله تعالى حفظاً تاماً كاملاً دون زيادةٍ أو نقصانٍ، فكان (ص) يحفظ القرآن عن ظهر قلب بعد الوحي مباشرة، ثم يقرأه بعد ذلك على الناس، خصوصاً لِمَن كان حوله من أهل بيته (ع)، وبالأخص علياً (ع)، ومن ظفر بصحبته من المسلمين وتبع منهجه (ص). وكانوا يحفظون القرآن من بعده (ص) ويقرأونه على الناس.

لقد استوعب الكتاب الآلهي من شخصية خاتم الأنبياء محمد (ص) حيّزاً عظيماً بحيث كان كلامه القرآن، وكانت سنّته مصداقاً لمعاني ذلك الكتاب المجيد. فكان (ص) يحضُّ المسلمين على حفظ القرآن الكريم وضبطه، وعلى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وعلى لزوم قرائته في الصلاة والإنصات له. وانبرى أهل البيت (ع) وبقية المسلمين يبذلون جهدهم في حفظه على أتم الصور وأوفاها. وقد وصلوا غاية الكمال في حفظ الكتاب الآلهي، فكان بحقٍ متواتراً. وكثر القراء على اختلاف درجاتهم في عهده (ص)، فمنهم من حفظ بعض آياته، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظه كله وهم قليل نادر.

---

[32] سورة الإسراء: الآية 106.

[33] الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ج 1 ص 39.

الكتاب المقروء

قد يتبادر إلى ذهن إنسان لم يعرف الإسلام بعد، ولم يؤمن به سؤال مهم، وهو: لماذا لم يختر الخالق عزوجل نبياً صادقاً يعرف القراءة والكتابة، بدل النبي الصادق الأمّي، فيكتُب حينئذٍ ما أنزله الوحي مباشرة، ويتيقن من سلامة كتابه يقيناً تاماً؟ فلماذا الكتاب المقروء بدايةً ؟

العلمُ اليقيني عند الله، لكن الجواب البشري على ذلك السؤال هو أن الكتاب الذي تحدى الله تعالى به البشرية أن تأتي بمثله وإن اجتمعت، أراد له سبحانه أن يكون إعجازاً بمعنى الكلمة، للوجوه التالية:

الأول: كون النبي (ص) أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب أمضى في الحجة في إثبات إعجاز القرآن، وفي كونه كتاباً سماوياً لهداية البشر، قال تعالى: (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[34].

ومعنى الآية: " وما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً ولا كان من عادتك أن تخط كتاباً وتكتبه، أي ما كنت تحسن القراءة والكتابة لكونك أُميّاً؛ ولو كان ذلك كذلك لارتاب هؤلاء المبطلون الذين يبطلون الحق بدعوى أنه باطل"[35]، ولكن لما كنتَ لم تحسن القراءة والكتابة وبقيتَ على ذلك الحال، لم يبقَ في ذهنهم شكٌّ معتبرٌ في أمر الكتاب الآلهي الذي أُنزل عليك، ولم يبقَ في مخيّلتهم وهمٌ يزعمُ أنك اقتبسته من كتب الآخرين!

---

[34] سورة العنكبوت: الآية 48.

[35] الميزان في تفسير القرآن – الطباطبائي ج 16 ص 138.

والفارق بين أفكار الكتاب الالهي المعجِز وبين صفاء ذهن الأُمّي الأمين فارق كبير، ولا يمكن جبر ذلك الفارق بأية وسيلة معرفية. فلو كان النبي (ص) قارئاً ومن أهل التحصيل لزعموا أن القرآن من بنات أفكاره. وقد دحض القرآن الكريم فكرة نسبته إلى بشرٍ يكتبه، قال تعالى: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ...)[36]، (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ...)[37]. لكنهم اذعنوا في النهاية على أن القرآن الكريم وحيٌ آلهي حمله جبرئيل (ع) إلى النبي الأمين (ع) فبلّغه إلى الناس.

الثاني: كان الكتاب السماوي مقروءاً من البداية، لأن في المادة المقروءة: إيقاعُ القراءة، وتشديدٌ على معاني الترغيب والترهيب، وترقيقُ الرحمة والمغفرة، وإبراز معاني الثواب والعقاب بتغيير لحن الصوت. والقرآن الكريم كتاب سماوي لتنظيم مسير الإنسان إلى نعيم ثواب الله تعالى ورحمته وتدبيره. فالإذْن الإنسانية تتلقى المقروء السماوي، وتخشع لأفكاره ومعانيه.

الثالث: أن أحد أوجه الإعجاز في القرآن الكريم أنه نَزَلَ مقروءاً ولم ينزل مكتوباً، أي أنه مادة آلهية مقرؤة ثم أمرَ النبي (ص) بكتابتها بأمر الله تعالى. وتحويل المقروء إلى مكتوب بدون تعديل أو تنقيح يعني إعجازاً من السماء، لأن البشر تكتب كتبها وتصححها فيكون الكتاب البشري مُسودّة أفكار تُنقَّح مراتٍ ومراتٍ حتى تصل إلى الدرجة التي لا تستوعِب فيها أي

---

[36] سورة النحل: الآية 103.

[37] سورة الفرقان: الآية 4.

تنقيح جديد. أما نقل المقروء إلى مكتوب وبقائه على نفس درجة الإعجاز، فهذا ما لم يحصل إلا مع إعجاز القرآن الكريم.

الرابع: عند قراءة النص القرآني بعد النزول لابد للمخاطَب أن يكون حاضراً يسمع المادة المقروءة، أي أن المقروء يُقرأ على مَسمَعٍ من المستمِع، أما في حالة الكتابة فيمكن أن يكون المخاطَب غائباً حتى يحضر ويفتح الكتاب ويقرأه. وهكذا كانت الدعوة إلى الإسلام عن طريق الإنصات للكتاب الالهي سماعاً كي يتأثر المخاطَب، ويخشع قلبه، ويتوجه نحو الإيمان بالله تعالى.

الخامس: أن المقروء يُخاطَب به البشر جميعاً من الذين لديهم آلة السمع. فحتى الأعمى والأمّي يستطيع أن يستمع إلى ما أراده الله تعالى منه. على عكس المادة المكتوبة التي تحتاج إلى بصر سليم، وقدرة على القراءة. وقد كانت غالبية الناس زمن البعثة من الأميين الذين كانوا لا يكتبون ولا يقرأون. وهكذا نزل القرآن الكريم ليخاطبهم ويخاطب البشرية من ثمَّ بمختلف مستوياتها الفكرية.

نزول الوحي

ابتدأ نزول القرآن عن طريق الوحي في ليلة القدر، وهي بنص القرآن الكريم في شهر رمضان: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[38]، (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا

[38] سورة القدر: الآية 1.

إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ)[39]، (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ)[40]، وهو الشهر الذي كان يعتكف (ص) فيه بغار حراء للعبادة وذكر الله تعالى.

وفي الحديث أن النبي (ص) " كان يأتي حراء، فيتحنث[41] فيه الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملَك فيه، فقال: إقرأ. فقال رسول الله (ص): ما أنا بقارئ "[42]. أعادها ثلاث مرات ثم " قال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[43]، فرجع بها رسول الله (ص) ترجف بوادره[44]"[45].

إختار الشيخ الطوسي (ت 460 هـ)، والشيخ الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، والفيض الكاشاني (ت 1091 هـ)، والسيد الطباطبائي (ت 1402 هـ)، وغيرهم من فقهاء أهل البيت (ع): "أن أول ما

---

[39] سورة الدخان: الآية 3 – 5.

[40] سورة البقرة: الآية 185.

[41] يتحنث: يتعبد.

[42] صحيح البخاري ج 1 ص 3.

[43] سورة العلق: الآية 1– 5.

[44] بوادره: ما يبدر من الرجل من تعابير الوجه عندما يأتيه شيء عظيم.

[45] صحيح البخاري ج 6 ص 88.

نزل من القرآن هو الآيات الخمس من سورة العلق"[46]. وهو قول أكثر المفسرين. إستندوا في ذلك على قول الإمام الصادق (ع): (أول ما نزل على رسول الله (ص): بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...)[47].

غاب الوحي عن النبي (ص) مدة ثلاث سنوات، ولم تنزل بعد تلك الآيات آيةٌ من القرآن. ثم أخذ القرآن ينزل عليه (ص) منجَّماً أي بصورة تدريجية. وكان ذلك مثار إعتراض المشركين، كما أشار تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)[48]، فكان الجواب مفحِماً لحجتهم. ففي نزوله التدريجي إشراقٌ لنور العلم في قلبه الشريف (ص)، وتثبيتٌ لفؤاده (ص).

التوفيق بين نزوله جملة واحدة ونزوله منجَّماً:

أما كيفية التوفيق بين نزوله جملة واحدة، كما قال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[49]، (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ

---

[46] تفسير التبيان – الطوسي ج 10 ص 378، ومجمع البيان – الطبرسي ج 10 ص 398، والتفسير الصافي – الفيض الكاشاني ج 5 ص 387. والميزان في تفسير القرآن ج 20 ص 322.

[47] الكافي – الكليني ج 2 ص 628.

[48] سورة الفرقان: الآية 32.

[49] سورة القدر: الآية 1.

وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ...)[50]، و(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ...)[51] وبين نزوله منجّماً كما قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا)[52]، نشرحه عبر الأفكار الثلاث التالية:

أولاً: الرأي الأول قال بتفخيم أمر الكتاب السماوي، حيث نزل القرآن الكريم إلى اللوح المحفوظ أو البيت المعمور ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل مُنجّماً خلال ثلاث وعشرين سنة. روي في (الكافي) بسنده عن حفص بن غياث أنه سئل الإمام الصادق (ع) عن قوله تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ...)[53]، وإنما أُنزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة بين أوله وآخره؟ فقال (ع): (نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم أنزل في طول عشرين سنة[54])[55]؛ والحديث فيه تفصيل كما سيأتي. ثم قال (ع) شارحاً نزول القرآن ضمن خط واحد من الكتب السماوية لإبراهيم، وموسى، وعيسى (عليهم السلام): (نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من

---

[50] سورة البقرة: الآية 185.

[51] سورة الدخان: الآية 3.

[52] سورة الفرقان: الآية 32.

[53] سورة البقرة: الآية 185.

[54] المشهور إن القرآن الكريم نزل طوال ثلاث وعشرين سنة. وربما أراد المصنّف بنزوله عشرين سنة حذف الفترة التي لم ينزل فيه القرآن وهي ثلاث سنين.

[55] الكافي ج 2 ص 628.

شهر رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الأنجيل لثلاث عشرة)[56].

قال الزركشي (ت 794 هـ): " فإن قيل: ما السر في إنزاله جملة إلى السماء؟ قيل: فيه تفخيم لأمره وأمر من نزل عليه. وذلك بإعلان سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم"[57].

ثانياً: الرأي الثاني قال بصحة إطلاق لفظ القرآن على جزءٍ منه. فقالوا بصحة إطلاق لفظ القرآن على بعض آياته، كما في قوله تعالى: (...كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ...)[58]، بينما نجد في القرآن آيات متشابهات. هنا يصح إطلاق القرآن على الجزء منه. بمعنى أن القرآن حتى لو نزل نجوماً ولم ينزل جملة واحدة فإنه يصحُّ أن يُطلق على الجزء منه قرآناً.

ثالثاً: الرأي الثالث قال بنزول القرآن جملة واحدة إلى اللوح المحفوظ ثم نزوله على النبي (ص) مفرَّقاً حسب الحوادث والأوقات. فهدف القرآن الكريم وقواعده الكلية قد وضحا للنبي (ص) من اللقاء الأول مع الوحي في تلك الليلة المباركة كما قال تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ

---

[56] الكافي ج 2 ص 628.

[57] البرهان من علوم القرآن – الزركشي ج 1 ص 230.

[58] سورة هود: الآية 1.

مِنَ الْمُنْذِرِينَ)[59]، لكن الآيات نزلت نجوماً على مدى 23 سنة كما في قوله: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)[60].

قال المحقق الأردبيلي (ت 993 هـ) في (زبدة البيان) في معرض شرحه لأحكام الصيام: " فرضَ وأوجبَ عليكم الصيام في الشهر الشريف الذي أنزل الله فيه القرآن العزيز الذي هو هادٍ للناس من الضلال إلى الهدى، ومبيّن الحلال والحرام، والفارق لهم بين الحق والباطل، بمعنى كون ابتداء النزول وقع فيه، أو أنزله إلى السماء الدنيا كله كان فيه، ثم ينزل بالتدريج على مقدار المصلحة، أو أنه نزل في شأنه بعض القرآن، أي وصفْه، وبيان رتبته بأن فيه ليلة هي خيرٌ من ألف شهر. ثم بيّن كيفية وجوب هذا الصوم بأنه على من يجب وفي أي وقت"[61].

و" ذهب المحدث الكاشاني في (أصول الوافي) إلى أن معنى إنزاله في ليلة القدر إنزال بيانه بتفصيل مجمله، وتأويل متشابهه، وتقييد مطلقه، وتفريق محكمه من متشابهه. قال: وبالجملة تتميم إنزاله بحيث يكون هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان"[62]. ولم يوافقه المحقق البحراني (ت 1186 هـ) على ذلك[63].

---

[59] سورة الشعراء: الآية 193 – 194.

[60] سورة الإسراء: الآية 106.

[61] زبدة البيان في أحكام القرآن – المقدس الأردبيلي ص 158 – 159.

[62] الحدائق الناضرة – المحقق البحراني ج 13 ص 449.

[63] الدائق الناضرة ج 13 ص 449.

أما الشيخ الصدوق (ت 381 هـ) فكان يعتقد بأن القرآن نزل جملة واحدة إلى اللوح المحفوظ ثم نزل عن طريق جبرئيل (ع) على النبي (ص) مفرّقاً، كما في رواية (الكافي) التي ذكرناها من نزول القرآن إلى البيت المعمور جملة واحدة ثم إلى النبي (ص) مفرّقاً.

لكن الشيخ المفيد (ت 413 هـ) ردَّ على ذلك قائلاً: "الذي ذهب إليه أبو جعفر [الشيخ الصدوق] في هذا الباب أصله حديث واحد، لا يوجب علماً ولا عملاً، ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالاً فحالاً يدلّ على خلاف ما تضمنه الحديث. وذلك أنه قد تضمن حكم ما حدث، وذكر ما جرى، وذلك لا يكون على الحقيقة إلا لحدوثه عند السبب.

ألا ترى إلى قوله تعالى: (... وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ...)[64]، (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ...)[65]، وهذا خبر عن ماضٍ، ولا يجوز أن يتقدم مخبره، فيكون حينئذٍ جزاءً عن ماض، وهو لم يقع بل هو في المستقبل. وأمثال ذلك في القرآن كثيرة. وقد جاء الخبر بذكر الظهار وسببه، وأنها لما [جادلت النبي صلى الله عليه وآله] في ذكر الظهار أنزل الله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ...)[66]، وهذه قصة كانت بالمدينة فكيف ينزل الله تعالى الوحي بها بمكة، قبل الهجرة"[67]؟! وكثيرٌ من أمثالِ ذلك.

---

[64] سورة النساء: الآية 155.

[65] سورة الزخرف: الآية 20.

[66] سورة المجادلة: الآية 1.

[67] تصحيح إعتقادات الإمامية – الشيخ الصدوق ص 123.

بالإضافة إلى استعمال القرآن صيغة الماضي في وقوع الحوادث التي وقعت في عهد النزول على النبي (ص) بعد حدوثها، فكيف يستعمل صيغة الماضي قبل وقوع الحوادث التي وقعت في المدينة حال التسليم بنزوله كاملاً في مكة ليلة القدر؟

و" قد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر أنه نزل جملة منه في ليلة القدر، ثم تلاه منه إلى وفاة النبي (ص). فأما أن يكون نزل بأسره وجميعه في ليلة القدر، فهو بعيد مما يقتضيه ظاهر القرآن، والمتواتر من الأخبار، وإجماع العلماء على اختلافهم في الأراء"[68].

يُردُّ على ذلك الردّ بدلائل، منها:

1- أن العلم الآلهي لا يعوقه تبدل أزمان النزول. فالله سبحانه يعلم ما وقع في الماضي، وما سيقع في المستقبل. فإذا كانت الإرادة الآلهية أن ينزل القرآن جملة واحدة إلى البيت المعمور بما فيها تلك الجزئيات المستقبلية مثل قضية المجادلة، ثم ينزل بعد ذلك نجوماً، فذلك إعجازٌ آخر للقرآن الكريم.

2- أن الأمثال القرآنية إنما تُضرب لدلالتها العقائدية لا لدلالتها التاريخية. فالقصة التي ستحصل في المدينة – بعلم الله – كقصة المرأة التي تجادله في زوجها وتشتكي إلى الله تعالى، إنما ضُربت لدلالة حكمية عقائدية. فيمكن أن يكون الزمن نسبياً في قضية إعجازية كقضية نزول القرآن. فلا

[68] تصحيح إعتقادات الإمامية ص 124.

تَعارُضْ بين كليات القرآن المحفوظة في اللوح المحفوظ وبين نزولها نجوماً خلال ثلاث وعشرين سنة.

3- أن الحديث الواحد إذا كان صحيحاً فإنه يوجب العلم، كما هو معروف في كليات علم الرجال.

ولذلك بقي قول الصدوق أرجح الأقوال في قضية نزول القرآن.

والمشهور أن عهد نزول القرآن الكريم انقسم إلى مدتين متمايزتين: مكي، ومدني. فالمكي نزل في مكة قبل الهجرة إلى المدينة، ومدته اثنتا عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوماً، من يوم 17 رمضان سنة 41 من ميلاده (ص) إلى أول ربيع الأول سنة 54 من ميلاده (ص)[69]. والمدني نزل في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها.

وآخر ما نزل من القرآن، عند مدرسة أهل البيت (ع)، هو قوله تعالى: (...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...)[70] كان نزولها يوم الغدير. وهي رواية صحيحة ثابتة، كما ذكرت في العديد من المصادر الروائية[71].

---

[69] السيرة النبوية – ابن هشام ج 1 ص 260.

[70] سورة المائدة: الآية 3.

[71] تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 43. شواهد التنزيل – الحسكاني ج 1 ص 157. البداية والنهاية – ابن كثير ج 5 ص 214 بإيجاز.

الأمر بالتلاوة والإقراء

وبعدما أُنزِلَ القرآن الكريم نجوماً أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى النبيَّ (ص) بتلاوته، وتعهد سبحانه بحفظه مصوناً بين الدفتين إلى يوم الدين، بما فيه من تكليفٌ وإنذارٌ ووعيدٌ. فكان على النبي الصادق الأمين (ص) أن يقوم بعمل شيئين: الأول: تلاوة القرآن على الناس جميعاً، مسلمين وغير مسلمين. والثاني: تخويل مَنْ يحفظه رسماً، ولفظاً، وتفسيراً بعد وفاته (ص).

أولاً: إقراء النبي (ص) المسلمين:

قامَ النبي (ص) بتلاوة القرآن الكريم على المسلمين بحضوره (ص). وكان يقرأ القرآن على الناس عموماً عندما كان يدعوهم إلى الإسلام، ودليل ذلك آيتان:

الأولى: قوله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[72].

الثانية: قوله تعالى: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)[73].

ومقتضى أثر الآيتين الكريمتين:

---

[72] سورة آل عمران: الآية 164.

[73] سورة الإسراء: الآية 106.

1 – أن النبي (ص) كان مأموراً بتلاوة القرآن على المؤمنين، وتعليمهم الكتاب والحكمة. والآية الكريمة الأولى وإن جاءت في مورد خطاب المسلمين في معركة أحد، إلا أن فحواها الإمتنان من الله تعالى على نعمة الرسالة إليهم بما فيها من كتاب، وعلم، وحكمة. فوظيفة النبي (ص) هي تعليم المؤمنين الكتاب الآلهي، وتبيين العمل لهم في موارد التكليف.

2 – في الآية الثانية أنه كان (ص) مأموراً بقرائته على الناس على مُكثٍ، أي على مَهلٍ وبطءٍ وتؤدةٍ، حتى يتدبروا ألفاظه ومعانيه. و"معنى فرقناه: فصلّناه ونزلناه آية آية، وسورة سورة. ويدلّ عليه قوله: عَلَىٰ مُكْثٍ..."[74].

واللفظ بذاته مرآةٌ للمعارف القرآنية التي نزلت في إطار "الألفاظ والعبارات التي لا تتلقى إلا بالتدريج، ولا تتعاطى إلا بالمُكث والتؤدة ليسهل على الناس تعقله وحفظه"[75].

وتعاهد المسلمون على قلّتهم آنذاك بتلاوة القرآن الكريم وتدارسه فيما بينهم، وكان من الأنصار سبعون شاباً تدارسوا القرآن[76]. والمدارسة هي المذاكرة، ومدارسة الكتاب هو قراءته في جمعٍ منهم، ودارسَ الكتابَ: قرأ كلٌّ منهما على صاحبه. فالمدارسة هنا هو تدارس القرآن الكريم وقرائته فيما بينهم حتى لا يشذَّ أحدهم في قراءةٍ منفردةٍ!

---

[74] مجمع البيان ج 6 ص 302.

[75] الميزان في تفسير القرآن ج 13 ص 220.

[76] المغازي – الواقدي ج 2 ص 347.

مّمنْ حفظ القرآن زمن النبي (ص):

أشار ابن أبي الحديد (ت 656 هـ) إلى أن عليَّ بن أبي طالب (ع) كان الوحيد الذي حفظ القرآن على عهد رسول الله (ص)، وقال: "أتفق الكلّ على أنه (ع) كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (ص) ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه"[77].

بينما ذكر الذهبي (ت 748 هـ) سبعة أسماء، بضمنهم علي (ع)، ممن حفظ القرآن عن النبي (ص) مباشرة حيث تشرفوا بسماع القرآن الكريم منه (ص) مباشرة، وهم: " أبي بن كعب (ت 32 هـ)، وعبد الله بن مسعود (ت 32 هـ)، وأبو الدرداء عويمر بن زيد (ت 32 هـ)، وعثمان بن عفان (ت 35 هـ)، وعلي بن أبي طالب (ت 40 هـ)، وأبو موسى الأشعري (ت 44 هـ)، وزيد بن ثابت (ت 45 هـ). فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي (ص) وأخذ عنهم عَرْضاً..."[78]. أي قراءوا القرآن الكريم بحضرة النبي (ص) وهو يستمع إلى قرائتهم ويمضيها لهم، ثم أخذ المسلمون قراءة القرآن منهم.

وإذا صحَّ عدد الذين حفظوا القرآن في عهد النبي (ص) كما ذُكر، وصح التزامهم بأصول القراءة النبوية، منحنا ذلك الخبر الإطمئنان على سلامة القراءة القرآنية بعد وفاة النبي (ص).

---

[77] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج 1 ص 30.

[78] معرفة القراء – الذهبي ج 1 ص 39.

وفي تعبير الذهبي (ت 748 هـ) إشارةٌ إلى حفظهم القرآن، فقد كان المسلمون يسمعون النبي (ص) يتلو كتاب الله تعالى فيحفظونه عنه (ص) عَرْضاً. وأُخذ القرآن عن السبعة عَرْضاً، كما في رواية الذهبي، لأن بقية المسلمين كانوا يسمعونهم يقرأون القرآن فتعلموا منهم القراءة، لا إقراءاً بل عَرْضاَ.

وكان المسلمون زمن النبي (ص) يحفظون القرآن بسماعه منه (ص)، كما ورد عن أم هشام بنت حارثة قالت: "... وما أخذتُ (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)[79] إلا عن لسان رسول الله (ص) يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس"[80].

وقبل الذهبي بقرنين من الزمان أو أكثر بيّنَ البغوي (ت 516 هـ) ما كان يراه في القراءة القرآنية، فقال: " إن زيد بن ثابت شهد العرْضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نُسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله (ص) وقرأها عليه، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده عمر وأبو بكر وجمعه، وولاه عثمان كتب المصاحف"[81].

وسوف يرد لاحقاً بأن علياً (ع) قد حفظ القرآن عبر الإقراء عن رسول الله (ص)، فكان (ع) حصناً منيعاً في صيانة القرآن بعد وفاته (ص)، وأن عثمان أخذ مصحف الإمام علي (ع) في كتابته المصاحف

---

[79] سورة ق: الآية 1.

[80] صحيح مسلم ج 3 ص 13.

[81] شرح السنّة – البغوي ج 4 ص 526.

الخمسة للأمصار، فيكون ما سُميّ بمصحف عثمان هو في الواقع مصحف علي بن أبي طالب (ع) الذي كتبه في حياة رسول الله (ص).

قال الشهرستاني (ت 548 هـ)، وهو الذي آمن بمدرسة أهل البيت (ع) بعد تدبره لأحاديثهم[82]، وكتابته لعلوم القرآن: "فلا يظُنّنَّ ظانٌّ أن القراءات المنسوبة إلى هؤلاء القرّاء هي من اختراعاتهم، بل هي اختياراتهم مما سمعوها من أوائلهم خلفاً عن سَلَف حتى تنتهي إلى النبي (ص). فقراءاتُ أهل الكوفة والبصرة وكور العراق تنتهي إلى أمير المؤمنين علي (ع) وعبد الله بن مسعود، وقراءاتُ أهل الحجاز وتهامة ونواحيها تنتهي إلى عثمان بن عفان، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وقراءات أهل الشام وكورها تنتهي إلى عثمان بن عفان. ومخرج قراءات هؤلاء من قراءة النبي (ص)، فليس لأحدٍ من الصحابة والتابعين وغيرهم أن يقرأ بحرفٍ من اختراعه لم يُسبق إليه"[83]، وسيتوضح ذلك في ثنايا الكتاب بإذن الله تعالى.

يُضاف إلى ذلك: "إن المصاحف المشهورة في زمن الصحابة كانت مقروءة عليه (ص) ومعروضة، وكان مصحف عثمان بن عفان آخر ما عُرض على النبي (ص)، وكان يصلي به إلى أن قُبض. أخرج ابن أشتة في المصاحف، وابن أبي شيبة في الفضائل من طريق ابن سيرين

---

[82] مفاتيح الأسرار. المقدمة ص 48 م.

[83] مفاتيح الأسرار ص 37.

عن عبيدة السلماني، قال: القراءة التي عُرضت على النبي (ص) في العام الذي قُبض فيه هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم"[84].

ولا يهمّنا في هذه المرحلة من البحث مَنْ عرَضَ العرْضة الأخيرة للقرآن على النبي (ص) قبل وفاته، عثمان بن عفان كما يقول الآمدي (ت 617 هـ) أو زيد بن ثابت كما يقول البغوي (ت 516 هـ)! بل يهمُنّا دور علي بن أبي طالب (ع) في قراءة القرآن وحفظه.

ثانياً: إقراء النبي (ص) علي بن أبي طالب (ع):

كان لعلي بن أبي طالب (ع) شأنٌ مع القرآن الكريم ومع النبي (ص)، فقد خصص رسول الله (ص) له ما استطاع من وقتٍ لتعليمه القرآن كما هو واضح في النص الوارد عنه (ع) الذي سيأتي: (فما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ...)[85]. ولم يدّعِ أحدٌ، غير علي (ع)، هذا الأمر الخطير. وما قاله القوم أنهم قرأوا على رسول الله (ص)، وأن زيد بن ثابت شَهِدَ " العَرْضة الأخيرة، وكتبها له (ص) وقرأها عليه"[86] ، أو أن "مصحف عثمان بن عفان آخر ما عُرِضَ على النبي (ص)"[87] مفاده أن النبي (ص) كان يتلو القرآن ويسمع منهم ما تلاه، وتلك وظيفة طبيعية من وظائف النبوة، وحفظ القرآن؛ إلا أن من

---

[84] إبراز المعاني من حرز الأماني – عبد الرحمن بن إسماعيل ج 1 ص 5.

[85] الكافي ج 1 ص 64.

[86] شرح السنّة ج 4 ص 526.

[87] إبراز المعاني ج 1 ص 5.

أوكله بحفظ القرآن في حياته وبعد مماته (ص) هو علي بن أبي طالب (ع).

الفرق بين العَرْض والإقراء: وفي اصطلاحي (العَرْض)، و(الإقراء) فارق مهم ينبغي الإلتفات إليه، وهو أن الإقراء تدريس ومسؤولية، بينما العَرْض قراءة يسمعها النبي (ص) من رجلٍ يتلو القرآن للتأكد من صحة قرائته. وفي ذلك موارد نعرضها فيما يلي:

العَرْض: أن يقرأ المرءُ بحضرة النبي (ص) ما وعاه من القرآن للتحقق من صحة قرائته، وصحة إخراجه للحروف والحركات والكلمات. وتلك وسيلة عامة لأغلب المسلمين للإطمئنان إلى صحة نقل القرآن شفهياً.

العَرْض لغةً: هو إبرازٌ الشيء وإظهارهُ.

العَرْض إصطلاحاً: عَرَضْتُ الكتاب عَرْضاً: قرأتُه عن ظهرِ قلب. وفي (لسان العرب) قال: "وفي حديث: أن جبرئيل (ع) كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه العام مرتين. قال ابن الأثير: أي كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة: المقابلة"[88].

وعند علماء الفن أن العرْض هو تلاوة القرآن عن ظهر قلب أمام النبي (ص). وقد ذكرنا آنفاً إن الذهبي (ت 748 هـ) ذكر عدد من عَرَضَ القرآن على النبي (ص) سبعة أفراد من المسلمين.

---

[88] لسان العرب ج 10 ص 100.

وبكلمة، فإن العَرْض: هو طلب الرجل من النبي (ص) الإستماع إلى قرائته.

الإقراء: هو طلب القراءة من النبي (ص)، كأن يقرأ النبي (ص) القرآنَ على رجلٍ مثلاً، ثم يقرأ ذلك الرجل ما تُليَّ عليه بصورة صحيحة ومطابقة لما سمعه منه (ص). وهذه وسيلة أقرب إلى الخصوصية لأنها تقتضي أن يكون المتلقي على قدر من المسؤولية والإستيعاب وتحمل المسؤولية.

وتلك المهمة تتطلب الملازمة الشديدة لرسول الله (ص) ومتابعته بكل ما نزل من الوحي، والحرص على تلاوته وحفظه. وكان المسلمون آنذاك موزعون على القبائل في البادية، أو يمتهنون المهن طلباً للرزق والعيش. إضافة إلى تفشي الأمية فيما بينهم. فانحصر الإقراء في النخبة. وبكلمة، فإن الإقراء: هو طلب النبي (ص) تعليم الرجل أو إقراؤه.

نستقرأ من الروايات أن تعليم النبي (ص) لعلي بن أبي طالب (ع) كان يمرُّ عبر وسيلتين:

الأولى: الإقراء: إقراؤه (ص) القرآنَ عبر الدرس والتلقي. أي أن النبي (ص) كان يبذل جهداً ووقتاً في تعليم علي (ع) القرآن الكريم. والإقراء غير العَرْض. ففي الإقراء منهجية للتعلم والحفظ والضبط. وللتلميذ الحق في سؤال استاذه، والاستاذ مسؤولٌ يقيناً عن تثبّت التلميذ للمادة المقروءة، وتأكده من حفظها، والتدبر في معانيها بصورة تامة وصحيحة. وهذا هو

المستفاد من قوله (ع): (فما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ...)[89].

الثانية: المناجاة بمعنى المسارّة، وهي التي نزل فيها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ...)[90].

والمناجاة من المُسارَّة، فيقال: مناجاة النفس: مُسَارَّتُها. ناجى فلاناً: سارّه بما في قلبه وعقله من أسرار أو مشاعر، و" انتجاه خصّه بمناجاته. قال الراغب: استخلصه لسره، والأسم النجوى... ومنه حديث علي رضي الله عنه وقد دعاه رسول الله (ص) يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه، فقال (ص): ما انتجيته ولكن الله انتجاه أي أمرني أن أناجيه"[91]. ولو قلّبت أوراق التاريخ لرأيت أن النبي (ص) لم يناجيه أحدٌ غير علي بن أبي طالب (ع) خصوصاً في كتاب الله.

وسوف نفصّل في تلك الوسيلتين من وسائل تعليم النبي (ص)، ثم نبحث دلالات قوله تعالى: (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)[92] .

---

[89] بحار الأنوار ج 36 ص 135.

[90] سورة المجادلة: الآية 12.

[91] تاج العروس – الزبيدي ج 10 ص 358.

[92] سورة البقرة: الآية 121.

تعلم القرآن عبر الإقراء:

ذكرنا آنفاً أن رسول الله (ص) كان حريصاً على حفظ القرآن الكريم مصوناً بين الدفتين، فأولى عناية خاصة بمن سيحفظه ويصونه بعد وفاته (ص). وكان منهجه في القرآن أن يسير تعليم القرآن وتحفيظه بخطين متوازيين، بمحاذاة بعضهما البعض:

الأول: تلاوة القرآن – عَرْضاً – على من أراد من الصحابة أو غيرهم بحضرة النبي (ص)، وكلهم مشمولون بالآية الكريمة: (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ...)[93]، فكان من المسلمين من يحفظ مقداراً من آيات القرآن، فيقرأها على النبي (ص) عَرْضاً، ليصححه (ص) ويمضيه. وتلك وظيفة النبي (ص) في القرآن الكريم بين الناس.

الثاني: الحفاظ على القرآن بمعنى صيانته لفظاً، وحرفاً، ومعنىً. وتلك قضية تحتاج إلى من هو أهلٌ لها ليحملها حملاً تاماً. ونستطيع أن نستدل على هوية ذلك الشخص المؤهل لحمل تلك المسؤولية عبر إقراؤه.

كان علي بن أبي طالب (ع) يجهر بحمل تلك الأمانة لفظاً، وحرفاً، ومعنىً، ويقول: (فما نزلت على رسول الله (ص) آيةٌ من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ، فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومُحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله عزوجل أن يعطيّني فهمها وحفظها. فما نسيتُ آيةً من كتاب الله عزوجل ولا علماً أملاه عليَّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله عزوجل

---

[93] سورة الإسراء: الآية 106.

من حلالٍ ولا حرامٍ، ولا أمرٍ ولا نهيٍ، كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحدٍ قبله من طاعةٍ أو معصيةٍ إلا علمنيه وحفظته، فلم أنسَ منه حرفاً واحداً. ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً، وحكماً ونوراً، فقلتُ: يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنسَ شيئاً، ولم يفتني شيء لم أكتبه...)[94].

دلالات حديث الإقراء من رسول الله (ص):

وفي حديث الإمام أمير المؤمنين علي (ع) جملة قضايا لابد من عرضها ومناقشتها، وهي:

1 – أجمل الإمام (ع) طبيعة صيانة القرآن الكريم عن طريق اللفظ (القراءة)، والكتابة (الرسم)، والتفسير والتأويل، وذلك قوله (ع): (... إلا أقرأنيها، وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها...). وهذا المعنى اختص به أهل البيت (ع) عن طريق حديث الثقلين، وهي علوم القرآن الكريم المذكورة في قول الإمام (ع).

و"كانت الصحابة متفقين على أن علم القرآن مخصوص بأهل البيت (ع) إذ كانوا يسألون عليَّ بن أبي طالب (ع): هل خُصصتم أهل البيت دوننا بشيءٍ سوى القرآن؟ وكان (ع) يقول على سبيل دعاء التوجه إلى الصلاة: (لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا بما في قراب سيفي هذا) الخبر. وكان (ع) يعلّق على قراب سيفه صحيفة مكتوبة من القرآن الكريم

---

[94] الكافي ج 1 ص 64.

... فاستثناء القرآن بالتخصيص دليلٌ على إجماعهم بأن القرآن، وعلمه – تنزيله وتأويله – مخصوصٌ بهم"[95].

2 – دعا رسول الله (ص) ربه تعالى أن يعلّم علياً (ع) فهم الآيات وحفظها. والمسلمون جميعاً يعتقدون أن دعاء النبي (ص) مستجاب في كل الأحوال، وكان من التدبير الآلهي أن علياً (ع) قد حفظ الكتاب كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً في قلبه، كما قال(ع): (فما نسيتُ آيةً من كتاب الله عزوجل، ولا علماً أملاه عليَّ وكتبته...)[96].

وعدم نسيان آية من آيات الله يدلّ على أن القرآن كان محفوظاً في صدر علي (ع) كما أنزله الله تعالى. وإذا أضفنا إلى ذلك أنه كتبه (ع) خلال حياة رسول الله (ص) لاستنتجنا بأن مصحف علي (ع) المكتوب زمن رسول الله (ص) هو نفس المصحف الذي عرضه على الخليفة الثالث عثمان بن عفان.

في تفسير القرطبي: "ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الرد على سويد بن غفلة قال: سمعتُ علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) يقول: يا معشر الناس اتقوا الله. وإياكم والغلو في أمر عثمان، وقولكم: حرّاق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا عن ملأٍ منا أصحاب محمد (ص). وعن

---

[95] مفاتيح الأسرار ص 5.

[96] الكافي ج 1 ص 64.

عمير بن سعيد قال: قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): لو كنتُ الوالي وقت عثمان لفعلتُ في المصاحف مثل الذي فعل عثمان"[97].

والمرجح تأريخياً أن علياً (ع) أراد صيانة القرآن من القراءات الشاذة، فقدّم مشورته ومصحفه الذي كتبه بيده زمن رسول الله (ص) كي يُستنسخ وينتشر فيبقى الأصل القرآني ثابتاً على مدى الدهور.

3 – أن رسول الله (ص) لم يترك حكماً من أحكام الإسلام وشرائعه إلا وعلّمه علياً (ع) كما قال (ع): (... وما ترك شيئاً علّمه الله عزوجل من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحدٍ قبله من طاعةٍ أو معصيةٍ إلا علمنيه وحفظته، فلم أنسَ منه حرفاً واحداً...)[98]. ولاشك أن القرآن المجيد هو مصدر تلك الأحكام الالهية.

4 – ثم وضع يده (ص) على صدر علي (ع)، ودعا الله تعالى بأن يملأه علماً وفهماً. وهذا دعاءٌ آخرٌ لتأكيد الدعاء الأول.

ولم يألُ الإمام (ع) جهداً في تعليم المسلمين القرآن قراءةً، كما في الرواية عن الإمام الباقر (ع) التي يقول فيها: (كان علي (ع) إذا صلى الفجر لم يزل معقّباً إلى أن تطلع الشمس. فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن)[99].

---

[97] تفسير القرطبي ج 1 ص 54.

[98] الكافي ج 1 ص 64.

[99] بحار الأنوار ج 41 ص 132.

وبكلمة، فقد أعدَّ النبي (ص) علياً (ع) ليكون المعلم الأول للقرآن قراءةً وكتابةً وتفسيراً بعد وفاته (ص)، ويؤيد ذلك قول عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ): "قرأتُ سبعين سورةً من فيّ رسول الله (ص)، وقرأت البقية على أعلم هذه الأمة بعد نبيّنا (ص) علي بن أبي طالب"[100]. بمعنى أن ابن مسعود قرأ على عليّ (ع) أربع وأربعين سورة من القرآن الكريم.

آية النجوى والقرآن الكريم:

أجمع المفسرون على أن آية النجوى قد نزلت للنهي عن مناجاة رسول الله (ص)، ما لم يقدِّم المُناجي صدقةً. والمناجاة هي الخلوة بالنبي (ص) وتكليمه همساً.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)[101]، فسرها ابن كثير (ت 774 هـ) قائلاً: " قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي (ص) حتى تصدقوا، فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب، قدّم دينار صدقة تصدق به، ثم ناجى النبي (ص) فسأله عن عشر خصال، ثم أنزلت الرخصة"[102]. والرخصة هي قوله تعالى: (أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ

---

[100] المسترشد – الطبري ص 278. وينابيع المودة – القندوزي ص 276.

[101] سورة المجادلة: الآية 12.

[102] تفسير القرآن العظيم – ابن كثير ج 4 ص349.

تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ...)[103].

فالمناجاة، كما عرفها الراغب الأصفهاني: " أن تخلو بمن تناجيه بسرٍ معينٍ ... " [104]. قال ليث بن أبي سليم " عن مجاهد، قال علي (رضي الله عنه): آية في كتاب الله عزوجل، لم يعمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، كان عندي دينار، فصرفته بعشرة دراهم، فكنتُ إذا ناجيت النبي (ص) تصدقت بدرهم، فنُسختْ، ولم يعمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، ثم تلا هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...)[105] " [106].

فُهِمَ مراد الإمام (ع) على أنه (ع) قد ناجى رسول الله (ص) بخصوصية مفاهيم القرآن الكريم؛ فالقرآن هو عمود علم النبي (ص). وقد نحى الكثير من الفقهاء إلى تفسير ذلك بأفضليته في القرب من رسول الله (ص)، وتلقيه القرآن منه (ص) عن طريق النجوى وطرقٍ أخرى.

فكان علي (ع) كلما أراد أن يخلو برسول الله (ص) في تلك الفترة من نزول الآية تصدق بدرهم. وإذا قُلتَ ما قيمة الدرهم مقابل مناجاة رسول الله (ص) أو الخلوة به (ص)؟ لجاءك الجواب بأن الله عزوجل يعلمُ أن علياً (ع) كان جادّاً في التعلم منه (ص)، وكان لديه القليل من المال

---

[103] سورة المجادلة: الآية 13.

[104] مفردات القرآن – الراغب الاصفهاني ص 483.

[105] سورة المجادلة: الآية 12.

[106] تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 349.

يتصدق به، بينما كان لدى القوم الكثير من الدراهم ليناجوا بها رسول الله (ص)، لكن لم تكن لديهم مادة العلم للمناجاة. فالمناجاة بين علي (ع) ورسول الله (ص) مادتها العلم بالقرآن والسنّة. وإذا علمنا بأن وقت النبي (ص) أثمن من دراهم الصدقات، لفهمنا مغزى إستثماره (ص) في تعليم من هو أهلٌ لاستيعاب العلم والمعرفة، خصوصاً فيما يتعلق بكتاب الله المجيد.

وأغلب من فسر آية النجوى قد حام حولها، ولم يدخل إلى مغزاها الرمزي، فمن قائل: " أن تقديم الصدقة بين يدي مناجاة رسول الله (ص) خيرٌ وتطهيرٌ للنفوس... ومن لم يجد شيئاً فإن الله غفور رحيم" [107]. وهو صحيح إلا أنه لا ينهض إلى فهم ما تروم إليه الآية الشريفة.

ومِنْ قائل أن بذل الصدقة عملٌ مما يستقل العقل بحسنه، لأن فيه فائدة للفقراء والمساكين، وتخفيفٌ عن النبي (ص) حيث يقتضي نقصان عدد من يناجيه من الناس. أي أنك إذا فرضتَ على الكلام همساً مع النبي (ص) ضريبة مالية، فالقلّة من الناس ستتكلم معه (ص) همساً. وهذا القول صحيح إلى حد، لكنه لا يصل إلى الأصل، فهناك موارد أخرى أوسع للزكاة من دراهم معدودة صُممت كضريبة للمناجاة.

إلا إن ما نفهمه من الآية هو إعطاء المزيد لمن سيحمل القرآن لفظاً ورسماً ومعنىً (ع) للتعلم منه (ص) عن طريق تلك المناجاة التي كان (ع) يدفع ثمنها زكاةً للفقراء.

---

[107] جامع البيان – الطبري ج 28 ص 15.

ولاشك أن لآية النجوى بُعداً عقلياً للتواصل مع النبي (ص)، ولذلك قال (ع): (في كتاب الله آية ما عمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي)[108]. أي أنه (ع) كان الوحيد الذي عمل بالآية من بين المئات من الصحابة آنذاك، من خلال التصدق مقابل المناجاة مع رسول الله (ص)، حتى نُسخت الآية. ولاشك أن الفهم العام كان يركز على إختصاص المصلحة التي اقتضت التصدق مقابل المناجاة بزمن معين وهو زمن نزول الآية، ثم نُسِخَ الوجوب وأُبدِلَ بالترخيص.

لكن إختصاص الآية بعلي بن أبي طالب (ع) هو مصداق من مصاديق التعهد من الله تعالى بحفظ القرآن الكريم، كما صرح به تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[109]. فمغزى الآية الكريمة إذن هو صيانة وقت النبي (ص) كي يتفرغ لعلي بن أبي طالب (ع) حتى يفقهه القرآن الكريم قراءةً، وتفسيراً، ورسماً. وما أن أطمأن رسول الله (ص) إلى ذلك حتى نُسخت الآية. فهي لم تُصَمّم لتنظر إلى زكاة المناجاة وجعلها مورداً من موارد الزكاة والمال العام بعد وفاة النبي (ص) أو حتى في حياته (ص). بل كان هدفها تحرير وقت النبي (ص) من قيود همس الناس له (ص)، كي يتفرغ إلى تعليم وصيه وخليفته من بعده.

---

[108] تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 349.

[109] سورة الحجر: الآية 9.

ما قيل في تفسير آية النجوى:

ومن الطبيعي فإنّ آيةً مثل آية النجوى لا تنسجم مع طبيعة الذين أرادوا التقليل من شأن علي بن أبي طالب (ع)، ودوره العظيم في حفظ الإسلام والقرآن بعد وفاة رسول الله (ص)، فزعموا أن علياً (ع) سأل النبي (ص) مسائل في العقيدة، وتصدّق في كل مناجاة بدرهم. لكن الآية نزلت في المدينة، وكان عليٌّ (ع) في المدينة عالِماً بقضايا التوحيد والنبوة والإمامة، والحلال والحرام، وعلمه مستمدٌ من علم النبي (ص). فهل استفاد الإمام (ع) من آية النجوى ليعيد نفس الأسئلة السابقة في حياته؟ هذا أمرٌ مستبعدٌ جداً.

حيث كان عليٌّ (ع) شغوفاً بتعلم علوم القرآن من نبي الرحمة (ص)، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الإعتبار نزول عدد أكبر من آيات القرآن في المدينة منه في مكة. وقد بذل الدراهم القليلة التي كانت عنده (ع) لمناجاة النبي (ص) طمعاً في صيانة أهم ما في النبوة وهو القرآن الكريم.

روى النسفي الحنفي (ت 710 هـ) في تفسيره أن علياً (ع) سأل رسول الله (ص) عشرة مسائل في التوحيد والنبوة والإمامة[110]، ولا نعلم من أين استقى تلك المعلومة وحَصَرها بعشرة مسائل! فلا ينسجم هذا العلم الواسع الذي تعلمه علي (ع) من النبي (ص) بتلك المسائل العشر فقط؟! وهي، على ما رواه النسفي: (قلتُ: يا رسول الله ما الوفاء؟ قال: التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله. قلتُ: وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله. قلتُ:

[110] مدارك التنزيل وحقائق التأويل – النسفي ج 4 ص 235.

وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك. قلتُ: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. قلتُ: وما عَليَّ؟ قال: طاعة الله وطاعة رسوله. قلتُ: وكيف أدعو الله تعالى؟ قال: بالصدق واليقين. قلتُ: وماذا أسال الله؟ قال: العافية. قلتُ: وما أصنعُ لنجاة نفسي؟ قال: كُل حلالاً وقُل صدقاً. قلتُ: وما السرور؟ قال: الجنة. قلتُ: وما الراحة؟ قال: لقاء الله)[111].

وهل يُعقل أن آية النجوى نزلت بتلك القوة حتى يسأل أمير المؤمنين (ع) تلك المسائل العشر خصوصاً بعد ذلك العمر المشترك مع رسول الله (ص) ؟ الجواب: لا يمكن تعقل ذلك!

أول من روى هذه الرواية: النسفي الحنفي (ت 710 هـ) في تفسيره[112]: (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ثم ذكرها محمد بن يوسف الزرندي الحنفي (ت 750 هـ) في (نظم درر السمطين)[113].

ثم نقل العلامة المجلسي (ت 1111 هـ) هذه الرواية من (فرائد السمطين) عن إبراهيم بن محمد الحموينى (ت 730 هـ) عن علي (ع)، وعقّب قائلاً: "وأنت إذا تأملت هذه الكلمات العشر وما فيها من الحكم والخير الكثير التي لا يعطيها الله ولا يؤتيها إلا خاصة خلقه، والصالحين من عبيده تجد أنها جديرة بأن يبذل بإزائها الدنيا وما فيها..."[114].

---

[111] تفسير النسفي ج 4 ص 235.

[112] مدارك التنزيل ج 4 ص 242.

[113] نظم درر السمطين – الزرندي ص 91.

[114] بحار الأنوار ج 35 ص 383.

وقال أيضاً: " لا يخفى أن اختصاصه بتلك الفضيلة الدالة على غاية حبه للرسول (ص)، وزهده في الدنيا، وإيثاره الآخرة عليها، ومسارعته في الخيرات والطاعات يدل على فضله ..."[115].

وبالإجمال فإن رواية المسائل العشر لم ترد من طرق مدرسة أهل البيت (ع) إلا عن طريق المجلسي (ت 1111 هـ)، والعلامة المجلسي جمع في (بحار الأنوار) كل ما تعلق بأهل البيت (ع) من آثار وترك التحقيق لمن يأتي من بعده من الفقهاء. ولذلك، وبسبب مشكلة السند، فإننا لا نستطيع الجزم بصحة رواية المسائل العشر.

وإذا كان – وباتفاق المفسرين – اختصاص آية النجوى بعلي بن أبي طالب (ع) هو التعلم من رسول الله (ص) مقابل التصدق للفقراء، نتسائل: أين كان بقية المسلمين من الأغنياء من الذين حفظوا جزءً من القرآن في حياة رسول الله (ص) أو قرأوه أو سمعوه؟ إلا كانت عندهم من الأسئلة حول قراءة القرآن أو تفسيره؟

وكان تأويلهم للآية أن ابن عباس ذكر أن المسلمين قد أكثروا المسائل على رسول الله (ص) حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه (ص) فلما نزلت الآية ضنَّ كثير من الناس وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعدها الآية التي نسختها[116]!

---

[115] بحار الأنوار ج 35 ص 383.

[116] فتح القدير – الشوكاني ج 5 ص 191.

ما قيل في التصدق عند النجوى:

وملخّص ما قيل من أمر الله تبارك وتعالى بالتصدق عند النجوى، هو: تعظيم منزلة رسول الله (ص)، والنهي عن الإفراط في السؤال من قبل المسلمين، وانتفاع فقراء المسلمين من الصدقة، وتمييز المخلص من المنافق.

وأُستدل على أن الأنبياء (ع) وأهل البيت (ع) لا يأخذون الصدقة بقوله تعالى في نوح (ع): (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ...)[117].

وفي هود، وصالح، ولوط، وشعيب كل واحد منهم يقول لقومه: (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[118].

وفي سيد المرسلين محمد (ص): (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)[119]. وفيه أن الصدقة لا تحل للنبي (ص) ولا لأهل بيته (ع). فلم تكن صدقة النجوى لتصل إلى النبي (ص) أو أهل بيته (ع)، بل كان طريقها إلى الفقراء من حوله (ص).

والظاهر أن آية النجوى شخصت المقام العلمي للإمام علي (ع) مع قلّة ما في يده من المال، وشدة طلبه للعلم.

---

[117] سورة هود: الآية 29.

[118] سورة الشعراء: الآيات 127، 145، 164، 180.

[119] سورة ص: الآية 86.

وحتى لو كان أمر تلك الصدقة أمراً إمتحانياً كأمر إبراهيم (ع) بذبح ولده لتبين أن أكثر المسلمين آنذاك لم تكن لديهم المادة العلمية لمناجاة النبي (ص). وقد نقل الرازي (ت 605 هـ) عن " أبي مسلم: أنه جزم بكون الأمر إمتحانياً، لتمييز من آمن إيماناً حقيقياً عمن بقي على نفاقه فلا نسخ. قال الرازي: وهذا كلام حسن ما به بأس..." [120]. وبموجب رأي الرازي نستنتج أن من كان حوله (ص) لم يجتز ذلك الإمتحان إلا عليّ (ع)، حيث كانت لديه مادة العلم التي كان عن طريقها يناجي رسول الله (ص).

وما يهمنا في هذا البحث هو أن علياً (ع)، بدليل آية النجوى، كان أجدر الناس بعلومه (ص) في القرآن الكريم، وأكثرهم قوةً وتحمساً، وبذلك بذل كل ما بوسعه من مالٍ أو نفسٍ في حفظ ذلك العلم في حياة رسول الله (ص) وبعد وفاته (ص).

ويؤيده قوله (ع): (فما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها... وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومُحكمها ومتشابهها ...)[121].

---

[120] مفاتيح الغيب – الرازي ج 8 ص 167.

[121] الكافي ج 1 ص 64.

دلالات قوله تعالى: (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ)[122]:

وآية قرآنية أخرى لها دلالتها فيما نحن فيه، وهي قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...)[123]. فَمنْ هؤلاء الذين تصْدُق عليهم تلك الآية؟ بدايةً، إنّ "حق التلاوة على وجوه، منها: صحة إخراج الحروف من مخارجها، ومنها: صحة وضع الألفاظ على مواضعها، ومنها: صحة نظم المعاني على طرائقها، ومنها: الوقوف على أسرارها من الحروف والأصوات أولاً، ومن الألفاظ والكلمات ثانياً، ومن المعاني والآيات ثالثاً. فيميّزون بين المحكمات منها والمتشابهات، وبين العمومات منها والخصوصات، وبين المفروغات منها والمبتدآت، وبين المشروعات منها ظاهراً والمقدّرات باطناً، وبين المقضيّات منها في المبادئ وبين المحكومات في الكمالات إلى غير ذلك من علوم تتنسَّم بعد نسائمها، وأسرار لم تفترعها الأفكار..."[124]. هذا العلمُ منحصرٌ ببيت آل النبي محمد (ص)، فهم الذين تصْدقُ عليهم تلك الآية الكريمة.

ولنتوقف قليلاً عندها: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[125]، فقد جاءت

---

[122] سورة البقرة: الآية 121.

[123] سورة البقرة: الآية 121.

[124] مفاتيح الأسرار. المقدمة ص 50 م.

[125] سورة البقرة: الآية 121.

ضمن سياق قوله تعالى: (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ...)[126].

وقوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ...)[127] وقرينة الحصر الخاصة بـ (...أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...)[128]، يُفهم منها: الملازمة الظاهرية بين تلاوة القرآن حق تلاوته وبين الإيمان به. فإن كان المراد بالكتاب: القرآن، وهو كذلك، يكون المعنى: إنّ الذين آتيناهم القرآن، وهم يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به. وهذه الآية تفرّق بين الذين يقرأون القرآن لمجرد القراءة وبين الذين يتدبرون معانيه وأفكاره. وتؤيد ما ذهبنا إليه روايةٌ عن الإمام الصادق (ع) في تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ...)[129]، قال (ع): (يرتلون آياته، ويتفقهون به، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعده، ويخافون وعيده، ويعتبرون بقصصه، ويأتمرون بأوامره، وينتهون بنواهيه، ما هو والله حفظ آياته، ودرس حروفه، وتلاوة سوره، ودرس أعشاره وأخماسه. حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده، وإنما هو تدبر آياته، والعمل بأحكامه. قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ...)[130])[131]. وفي الكافي عن الإمام الصادق (ع) أيضاً: في

---

[126] سورة البقرة: الآية 120.

[127] سورة البقرة: الآية 121.

[128] سورة البقرة: الآية 121.

[129] سورة البقرة: الآية 121.

[130] سورة ص: الآية 29.

[131] مجمع البحرين – الطريحي ج 1 ص 294 – 295.

تفسير هذه الآية قال (ع): (هم الأئمة [من أهل البيت عليهم السلام])[132].
علّق مصنف تفسير الميزان (ت 1402 هـ) على ذلك وقال: "وهو من باب الجري والإنطباق على المصداق الكامل"[133].

وفي الرواية كَشَفَ الإمامُ الصادق (ع) أن بعضاً من القرّاء ونحوهم في زمنه (ع) حفظوا حروفه، لكنهم لم يتدبروا آياته، بل أضاعوا حدوده. وحد الشيء هو الجامعُ لكلِّ أفراده، والمانعُ لكلِّ ما ليس منه. وفي ذلك تأكيدٌ على أن القرآن في زمن الإمام الصادق (ع) كان محفوظاً بحروفه، مصاناً عن تحريف ألفاظه. وهذا مهم في بحثنا هذا، ولنا في إضاعة حدوده بحثٌ آخر بإذنه تعالى.

كانت قراءة الإمام علي (ع) مرجعاً للقرّاء، يقول ابن أبي الحديد: "وإذا رجعت إلى كتب القراءات، وجدت أئمة القراءات كلهم يرجعون إليه (ع)، كأبي عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود وغيرهم، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه (ع) أخذ القرآن"[134].

جمع عثمان بن عفان القرآن على قراءة أمير المؤمنين علي (ع) قال في (تفسير البيان): " نعم، لاشك أن عثمان قد جمع القرآن في زمانه، لا بمعنى أنه جمع الآيات والسور في مصحف، بل بمعنى أنه جمع

---

[132] الكافي ج 1 ص 215 .
[133] الميزان في تفسير القرآن ج 1 ص 265.
[134] شرح نهج البلاغة ج 1 ص 288.

المسلمين على قراءة إمام واحد، وأحرق المصاحف الأخرى التي تخالف ذلك المصحف" [135].

وهذا القرآن " يجب أن يُقرأ بالمتواتر من الآيات، وهو ما تضمنه مصحف علي (ع)، لأن أكثر الصحابة اتفقوا عليه، وأحرق عثمان ما عداه"[136].

حفظ القرآن في عهد رسول الله (ص):

وكان المسلمون يقرأون القرآن في صلاتهم وفي حياتهم العامة، وإذا نقلوا آية من النبي (ص) ترددوا عليه حتى يتقنونها، ويتلونها أمامه حتى يزداد تثبتهم من حفظها، ويسألونه: هل حُفظت كما أنزلت؟ حتى يقرهم عليها؛ سمي ذلك بالقراءة عَرْضاً.

وبعد حفظهم كان القرّاء ينشرون ما حفظوه، ويعلّمون الناس، ويُعْلمون الذين لم يشهدوا النزول ساعة الوحي من أهل مكة والمدينة ومَن حولهم، فلا يمضي زمن طويل إلا وما نزل من القرآن محفوظ في صدور الكثير من المؤمنين. وكان الحفظة يعرضون على النبي (ص) القرآن ويختمونه عنده وقد كانوا يقرأون بعض القرآن بأمره (ص)[137].

---

[135] البيان في تفسير القرآن – السيد الخوئي ص 258.

[136] تذكرة الفقهاء – العلامة الحلي ج 1 ص 110.

[137] تاريخ القرآن – الزنجاني ص 45.

وفي إثبات ذلك دليلٌ تاريخيٌّ، فعن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله (ص): (اقرأ عليَّ). ففتحتُ سورة النساء، فلما بلغتُ: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا)[138]، فقال (ص): (حسبك الآن)، فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان[139].

وما يدلُّ على أن القرآن الكريم كان محفوظاً مقروءاً زمن النبي (ص) الأدلة التالية:

1 – كان رسول الله (ص) يقوم بإيكال من نطق بالشهادتين إلى من يعلّمه القرآن، كما في رواية عبادة بن الصامت قال: " كان رسول الله (ص) يُشغَل، فإذا قَدِمَ رجلٌ مهاجرٌ على رسول الله (ص) دفعه إلى رجلٍ منا يعلّمه القرآن"[140].

2 – قُتِلَ سبعون رجلاً من القرّاء في بئر معونة، كما في الرواية عن أنس قال: "جاء ناسٌ إلى النبي (ص) فقالوا: أن ابْعَثْ معنا رجالاً يعلمُونا القرآن والسُنّة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يُقال لهم القرّاء، يقرؤون القرآن، ويتدارسونه بالليل، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي (ص) إليهم فتفرقوا لهم، فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان"[141].

---

[138] سورة النساء: الآية 41.

[139] صحيح البخاري ج 6 ص 113.

[140] مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص 443.

[141] مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص 270.

3 – كثير من القرّاء قُتل في واقعة اليمامة، وهذا يدلُّ على أن القرّاء كانوا كثرٌ زمن النبي (ص)، إلى الحد الذي جعل الخليفة الثاني يصرح قائلاً: "إن القتل قد استحرَّ يومَ اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتلُ بالقرّاء في كل المواطن"[142].

قال ابن حجر (ت 852 هـ): "وهذا يدلُّ على أن كثيراً ممن قُتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن، لكن يمكن أن يكون المراد أن مجموعهم جَمعَهُ، لا أن كل فرد جَمعَهُ"[143]. يقصد بذلك أن الناس كانوا يحفظون بعضاً من القرآن. وهذا يتناغم مع الواقع التاريخي، فقابليات الناس على الحفظ متفاوتة، وإدراكاتهم العقلية متباينة أيضاً. فما حفظوه يشكل كمّاً كبيراً من القرآن الكريم.

وإلى ذلك أشار الإمام علي (ع) إلى إتلاف عثمان بقية المصاحف، فقال (ع): " فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأٍ منا، قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً. قلنا فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت"[144]. وأضاف ابن الأثير قولاً لعلي (ع): (فلو وليت منه ما ولى عثمان سلكتُ سبيله)[145].

---

[142] بحار الأنوار ج 89 ص 75.

[143] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج 8 ص 628.

[144] الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 61.

[145] الكامل في التاريخ ج 3 ص 112.

وفي ذلك دلالة جوهرية على أن علياً (ع) كان جزءً لا يتجزأ من عملية حفظ القرآن الكريم التي تعهد بها الله تعالى.

عندها قرر الخليفة الثالث كتابة القرآن في نسخة واحدة وهي التي تحمل اليوم اسم مصحف عثمان، نُسخت عنها خمسة أو سبعة مصاحف ثم أمر بإحراق المجموعات الأخرى.

إذن نستنتج أن القرآن كان محفوظاً مصاناً في عهد رسول الله (ص) من ناحيتين: نوعية وكمية. فمن الناحية الكمية كان هناك كمٌّ من المسلمين ممن حفظ القرآن الكريم. ومن الناحية النوعية كتبه الإمام علي (ع) على صحف بإشراف النبي (ص) مباشرة، بالإضافة إلى كتابات أخرى رويت عن زيد بن ثابت وغيره. ولكن المعوّل على حفظ القرآن الكريم كان واقعاً على عاتق علي بن أبي طالب (ع) قراءةً ورسماً.

طرق كتابة القرآن في عهد النبي (ص):

ذكرنا فيما سبق أن الحفظ عن ظهر قلب كان أساس العلم بالقرآن، وكذلك الكتابة أيضاً، وكان علي بن أبي طالب (ع) كاتباً للقرآن ضمن آخرين، فإذا نزل الوحي أرسل (ص) إليه فيكتبه. فعن "الإمام الباقر (ع) قال: (كان جبرئيل يُملي على النبي (ص) وهو يُملي على علي عليه السلام)[146]. وعن ابن شهرآشوب (ت 558 هـ): "كان علي (ع) يكتب أكثر

[146] بحار الأنوار ج 18 ص 270.

الوحي ويكتب غير الوحي"[147]. ولا نعلم ما الذي جعل ابن شهرآشوب يعتقد بأن علياً (ع) كان يكتب أكثر الوحي لا كُلّه ؟! وهو يعارض الرواية المشهورة عنه (ع): (فما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها، وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي ...)[148] ، الذي يفهم منه كتابته جميع آيات القرآن الكريم.

وروي أن زيد بن ثابت كان يكتب الوحي أيضاً[149]، وكان يحتفظ بأدوات الكتابة، كما في المروي عنه (ص): (أدعُ لي زيداً، وليجئ باللوح والدواة)[150].

واضطرب القول في كتابة زيد بن ثابت (ت 45 هـ)، فقد ذكر ابن مسعود (ت 32 هـ) أنه عندما كان يحفظ القرآن على رسول الله (ص) كان زيد ذو ذؤابتين يلعب بالمدينة[151]، كنايةً عن كونه صبياً لم يشتغل بالكتابة بعد!

قال ابن شبة (ت 262 هـ): "... عن خمير بن مالك قال: لما أُمر بالمصاحف أن تُغيّر ساء ذلك عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) فقال: من استطاع منكم أن يغلّ مصحفاً فليفعل، فإن من غلَّ شيئاً جاء بما غلَّ

---

[147] مناقب آل أبي طالب – ابن شهرآشوب ج 1 ص 162.

[148] الكافي ج 1 ص 64.

[149] كتاب المصاحف – السجستاني ص 3.

[150] صحيح البخاري ج 6 ص 227.

[151] تاريخ المدينة – ابن شبة ج 3 ص 1005.

يوم القيامة. ثم يقول: لقد قرأتُ القرآن من رسول الله (ص) سبعين سورة، وزيد صبي، أفأترك ما أخذتُ من رسول الله (ص)؟!"[152].

أقول: أن صغر سنّه لا يقدح بقدرته على الكتابة إن كان قادراً على ذلك، ولكن كلام ابن مسعود يدلُّ على أن زيداً كان دون مستوى التكليف صبياً يلعب في أزقة المدينة. وبذلك فقد فضّلوا زيداً على ابن مسعود لأسباب لا نعرفها. وزيد أقل خبرةً من ابن مسعود في قراءة القرآن.

والرواية الصحيحة عن أهل البيت (ع) أن علياً (ع) قد كتب القرآن كلَّه في حياة رسول الله (ص) وقبل وفاته (ص).

لكن القسطلاني (ت 852 هـ) قال: " وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهده (ص)، لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور"[153]. بينما قال أهل البيت (ع) بأن القرآن كُتِبَ في حياة النبي (ص) وجُمِعَ أيضاً، وما قام به علي بن أبي طالب (ع) بعد وفاته (ص) هو مراجعته، وكان (ع) يكتب على هامشه الناسخ والمنسوخ.

تزعم الرواية الأخرى: أنّ النبي (ص) توفي والقرآن مفرقٌ في الرقاع والعسب والعظام والأحجار[154]، وطلاب الحقيقة والمعرفة يتسألون: أهكذا يُجمع القرآن الكريم؟ والمعلقات السبع تُكتب بماء الذهب على صحفٍ

---

[152] تاريخ المدينة ج 3 ص 1006.

[153] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج 7 ص 446.

[154] سنن الترمذي ج 4 ص 347.

وتُنشر على ستائر الكعبة؟! أهكذا يُجمع القرآن على العظام والأحجار ووثيقة مقاطعة بني هاشم تُكتب على صحيفة وتُعلّق على الكعبة؟!

المصحف المكتوب على الصحف:

ومن خلال إستقراء الروايات الخاصة بكتابة القرآن الكريم نستطيع أن نجزم بأن القرآن قد كُتِبَ على صُحف ولم يُكتب على جرائد النخل والكراديس كما زُعِمَ، للأسباب التالية:

1 – إن العرب قبل الإسلام كان يعرفون الصحف، فقد كتبوا المعلّقات السبع في الجاهلية وعلقوها على الكعبة. وشُبِّهتْ المعلّقات بالعقود النفيسة التي تعلق بالأذهان، ويُقال أنها كُتبت بماء الذهب، قال ابن عبد ربه (ت 328 هـ): "حتى بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له، أن عمدتْ إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطيّ المدرجة[155]، وعلّقتها بين أستار الكعبة ..."[156]. ولذلك يقال: مذهّبة امرئ القيس، ومذهّبة زهير.

فإذا كانت المعلّقات السبع تُكتب على الصحف وتعلّق على أستار الكعبة، وإذا كانت معلقة امرئ القيس لوحدها 80 بيتاً أي أن كتابتها تستوعب على الأقل عشرين صفحة، كي يتمكن الناس من قرائتها وهي معلّقة، فما بالك بسبع معلقات؟ فإذا كانت لديهم الصحف ليكتبوا المعلّقات،

---

[155] القباطي: الثوب المنسوب إلى أقباط مصر.

[156] العقد الفريد – ابن عبد ربه ج 6 ص 103.

وهي بمجموعها عدد كبير من الصفحات، فلماذا لم يُكتب القرآن الكريم وهو كلام الله المجيد، على صحف مشابهة ويُحفظ؟!

2 – كتبت قريش صحيفة مقاطعة بني هاشم إجتماعياً وإقتصادياً، كتبها منصور بن عكرمة، وعُلِّقت في جوف الكعبة في شهر المحرم سنة سبعٍ من النبوة[157]، ولم تُكتب على عظمٍ أو كردوس أو قتب!

"ثم أطلعَ اللهُ رسولَه (ص) على أمر صحيفتهم، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جورٍ وقطيعةٍ وظلمٍ إلا ذكر الله عزوجل"[158]. وفي ذلك دليلٌ على أن الصحف كانت موجودة في مكة، وربما كانت الصحف في المدينة أكثر لكثرة اليهود الذين كانوا يكتبون كتبهم المقدسة على الرق.

3 – في قصة إسلام عمر بن الخطاب (ت 23 هـ) ما يدلُّ على كون القرآن كان مكتوباً. خرج عمر متقلداً سيفه يُريد قتل محمد (ص)، فأبلغه الناس أن أخته فاطمة وزوجها سعيد بن زيد قد أسلما، وبعد نقاش عنيف، صحبه ضربٌ ووطئٌ لسعيد وزوجته من قبل عمر، قال عمر: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فقرأه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. طه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)[159]، فزال عنه الغضب، وذهب إلى النبي (ص) وأسلم[160]. والروايات تذكر بأن صحفاً أخرى من القرآن كانت في بيت سعيد بن زيد.

---

[157] زاد المعاد – ابن القيم الجوزية ج 3 ص 26.

[158] زاد المعاد ج 3 ص 26.

[159] سورة طه: الآية 1–2.

كان ذلك في مكة، وهذا دليلٌ على كون القرآن كان مكتوباً في مكة بأمر النبي (ص).

4 – إن القرآن كان مجموعاً في الصحف والحرير والقراطيس. وتؤيده الرواية عنه (ص):

" قال (ص): (يا عليّ، القرآن خلف فراشي في الصحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة). فانطلق علي (ع) فجمعه في ثوب أصفر ثم ختمَ عليه"[161]. ومعنى ختمَ عليه أي حفظه بطريقة ما كي حتى لا تتسلل يدٌ وتضع فيه ما ليس منه. والختم هو المنع. وهو، كما في (لسان العرب): حفظ ما في الكتاب بتعليم الطينة[162]. ولم يقُل (ص) إن القرآن مكتوبٌ على عظامٍ وأحجارٍ محفوظ خلف فراشي!!

5 – ذكر القرآن الكريم كلماتٌ مثل: الصحيفة، والقرطاس، والرق.

الصحيفة: بصيغة الجمع وردت 8 مرات في القرآن. قال تعالى: (فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ)[163]، و(إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ)[164].

---

[160] السيرة النبوية – ابن هشام ج 1 ص 423 – 426، والطبقات – ابن سعد ج 3 ص 267 – 269.

[161] بحار الأنوار ج 89 ص 48.

[162] لسان العرب ج 5 ص 19.

[163] سورة عبس: الآية 13–14.

[164] سورة الأعلى: الآية 18.

القرطاس: ورق البردي. ذكر في القرآن مرة بصيغة المفرد، ومرة بصيغة الجمع: قراطيس. قال تعالى: (... قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ...)[165]، وقوله: (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ)[166].

الرق: وهو جلد رقيق يُكتب عليه. ذكر مرة واحدة في القرآن. قوله تعالى: (وَالطُّورِ. وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ)[167].

وذكر القرآن الكريم لوسائل الكتابة والمعرفة دليل آخر على أن تلك المصطلحات كانت معروفة ومتداولة زمن النبي (ص).

ولو كان القرآن مكتوباً على جرائد النخل والحجارة والأقتاب لاحتاج في خزنه ونقله إلى مؤونة لا يتحملها الإنسان عادة، ولو فتحنا المصحف الشريف اليوم بصفحاته (604) صفحة لاحتجنا إلى نفس العدد من الكراديس أو جرائد النخل أو أضعافها، وهذا أمرٌ بعيدٌ عن المنطق التاريخي.

فنستنتج إستقراءً أن الإمام علي (ع) قد كتب القرآن على صحف من القراطيس والحرير والرقّ منذ نزول القرآن في مكة، واصبحت كتابة

---

[165] سورة الأنعام: الآية 91.

[166] سورة الأنعام: الآية 7.

[167] سورة الطور: الآية 1- 3.

القرآن شائعة في المدينة. وربما كتبه آخرون، فيزداد تثبتنا من صيانة القرآن الكريم كتابةً.

أما ما جاء عن زيد بن ثابت في أنه جمع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال، فهو لا يرقى إلى مستوى الحقائق القرآنية وكون القرآن محفوظاً بتدبير الله تعالى من البداية! وزيدٌ ذاته، كما في رواية ابن مسعود، كان صبياً ذو ذؤابتين يلعب بالمدينة[168] وقت كتابة القرآن، فيصعب الأخذ بقوله.

6 – كان اليهود يُقيمون في المدينة، وكانت لهم كتب يتدارسونها، وعقود يسجلونها. وأغلبها كان مكتوباً على صحف. وكانوا يقرأون التوراة بالعبرية، وهي مخطوطات للعهد القديم دونت بخط اليد.

و" من ذلك ما ورد في قصة النعمان مع (الحارث بن ظالم)، فقد كتب إليه كتاباً وكان يؤمئذٍ بمكة يؤمنه إن عاد إليه، فلما جاء إلى النعمان، وقال له: أنعم صباحاً أبيت اللعن، انتهره الملك بقوله: لا أنعم الله صباحك. فقال الحارث: هذا كتابك! قال النعمان: كتابي والله ما أنكره أنا كتبته.

وكان عبد الرحمن بن عوف قد كاتب أمية بن خلف في أن يحفظ في صاغيته[169] بمكة، وأن يحفظه في صاغيته بالمدينة، وكتبا هذه المكاتبة في كتاب"[170].

---

[168] تاريخ المدينة ج 3 ص 1005.

[169] صاغِيَةُ الرجُل: خاصّته الميّالون لإتّباعه. قالت العرب: كلي آذانٌ صاغية.

[170] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – د. جواد علي ج 15 ص 274.

7 – كتابة القرآن في قراطيس لا تنفي أن يكون القرآنُ محفوظاً في صدور المؤمنين أيضاً. قال تعالى في القراطيس: (...قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا...)[171]. (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ).[172] وتلك الآيات لا تنفي أن يكون القرآن في صدور المؤمنين أيضاً: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...)[173].

وبكلمة، نستقرأ أن القرآن الكريم كان مكتوباً على صحفٍ طاهرةٍ كريمةٍ محفوظةٍ عند رسول الله (ص) في حياته، حتى قاربه الأجل المحتوم فأوصى علياً (ع) به. فكان (ع) أميناً متعهداً بحفظ القرآن من بعده (ص).

أدوات الكتابة المزعومة:

ذكرت بعض المصادر الروائية كتابة القرآن الكريم على جرائد النخل والحجارة والأقتاب، وقد ذكرنا أن تلك الوسائل لا يمكن أن تكون أدوات لكتابة أعظم كتاب أنزله الله تعالى على البشر. ومنها:

---

[171] سورة الأنعام: الآية 91.

[172] سورة الأنعام: الآية 7.

[173] سورة العنكبوت: الآية 49.

1 – العُسُب: جمع عسيب، وهي جريدة النخل، يُكشط خوصها. وقيل أنها: من السعف فويق الكرَب لم ينبت عليه الخوص، وما نبت عليه الخوص فهو السعف.

2 – اللِّخاف: جمع لِّخْفة، القطعة من الحجارة مستدقة[174].

3 – الرّقاع: جمع رَقِعة. وتكون من جلد أو كاغد.

4 – الأكتاف: جمع كتف. وهي العظم الذي للبعير أو الشاة.

5 – الأقتاب: جمع قتَب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

6 – الكراديس: جمع كردوس، كلُّ عظمين إلتقيا في مفصلٍ، مثل المنكبين والوركين. أو كل عظمٍ ضخمٍ.

وحاولت الكتب الروائية واللغوية تبرير ما لا يمكن تبريره بكتابة القرآن الكريم على العظام والأحجار، فابن منظور (ت 711 هـ) ذكر ذلك، وقال: " وذلك أن الرق أعوزهم حين نزل على رسول الله (ص)، فأمر كاتب الوحي فيما تيسر من كتف، ولوح، وجلد، وعسيب، ولخفة"[175]. وهو بعيد، ولم نجد من آثار تلك الأدوات في الأجيال اللاحقة، أي إننا لم نعثر في عالم الآثار على حجارة أو كتف بعير كُتب عليه القرآن الكريم. بينما وجدنا مصاحفَ كُتبت على الرق لا تزال موجودة في مكتبات العالم.

---

[174] لسان العرب ج 8 ص 28.

[175] لسان العرب ج 8 ص 28

وبالإجمال، فإن القرآن الكريم الذي نقرأه اليوم كان قد كُتب زمن رسول الله (ص) على صحفٍ وحريرٍ ورقٍّ، وكان محفوظاً في مكان آمن قرب فراشه (ص) كما في الرواية عن رسول الله (ص). ولا يمكن عقلاً أن يكون محفوظاً بتلك الكمية الهائلة من الحجارة والأقتاب وأكتاف الأبل وراء فراش رسول الله (ص)!!

مراحل مرَّ بها القرآن بعد وفاة النبي (ص):

مرَّ كتاب الله المُصان بإرادته تعالى بمراحل معقدة، ولكن الله عزوجل حفظه من أيادي البشر، وتلك بحد ذاتها معجزة من معاجز الكتاب الآلهي، وفي ذلك شواهد:

1 – مشكلة الخطأ أو النسيان: "عن عمر بن عامر الأنصاري: أن عمر بن الخطاب قرأ: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ...)[176] برفع (وَالْأَنْصَارِ) ولم يلحق الواو في (وَالَّذِينَ). فقال له زيد بن ثابت: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)[177]، فقال عمر: (الذين). فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم! فقال عمر: إيتوني بأُبيّ بن كعب، فاتاه فسأله عن ذلك فقال أُبيّ: (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)[178]، فقال عمر: نعم، إذاً فتابع أُبيّاً"[179].

---

[176] سورة التوبة: الآية 100.

[177] سورة التوبة: الآية 100.

[178] سورة التوبة: الآية 100.

[179] الدر المنثور – السيوطي ج 3 ص 269.

2 – الزعم بتعدد اللغات والمعاني: واستندوا في ذلك إلى قولٍ مزعومٍ عن رسول الله (ص): " أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر"[180]. وتم تأويل هذا الحديث بشكل يوحي بأن القرآن قد نزل بسبعة أوجه أو لغات متفاوتة في اللفظ والمعنى!

أقول: تم استغلال هذا الرأي من قبل المعادين للقرآن الكريم من غير المسلمين، كلٌ أدلى بدلوه. ولو كان الإختلاف في القراءة يؤدي إلى إختلاف في المعاني لأفضى إلى معاني متضادة أحياناً مثل قوله تعالى: (...إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...)[181]، ومعناه الواقعي أن الله تعالى يخشاه العلماء بالله الذين يعرفون صفاته وأسماءه، وتطمئن قلوبهم بها. ولو قُلبت الفتحة إلى ضمة في لفظ الجلالة (الله) لأعطتْ معنىً معاكساً. وهذا باطلٌ بحق كلام الله تعالى.

فكيف يجيز النبي (ص) خلاف ما أراد الله بيانه من الآية القرآنية؟ مع أن الروايات الكثيرة دلّت على أن النبي (ص) قد صوَّب قراءتهم.

وغير خفي أن الآية القرآنية لايمكن أن تفسر بمعنيين متضادين؛ فقد يؤول إلى حلية ما حرّم، وحرمة ما أحل؛ والله تعالى يقول: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[182]. وقريبٌ من ذلك عدم الإكتراث بتغيير ألفاظ الكتاب المجيد. روى الأعمش

---

[180] مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 40.

[181] سورة فاطر: الآية 28.

[182] سورة النساء: الآية 82.

عن أنس أنه قرأ آية: (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا)[183]، بالشكل التالي: إن ناشئة الليل هي أشدُّ وطأً وأصوبُ قيلاً. فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة! إنما هي أقوم، فقال: أقوم، وأصوب واحد[184]!

3 – التفاخر أحياناً هو مصدر المعلومات: بعض الروايات وردت من باب التفاخر بين المهاجرين والأنصار. فقد ورد أن "قتادة بن أنس قال: افتخر الحيّان: الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غسيلُ الملائكة حنظل بن الراهب، ومنا الذي أهتزَّ له العرش سعد بن معاذ، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، ومنا من أُجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت. فقالت الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله (ص): زيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد. قلتُ في الصحيح منه الذين جمعوا القرآن فقط"[185]. هنا سيقت الأسماء من أجل التفاخر، فلا يمكن الأخذ بها كدليل علمي لجمع القرآن. بل أريد من الرواية إثبات فضل جمع القرآن لأشخاص من الخزرج بدعوى التفاخر! ثم جاء جيلٌ جديدٌ من أهل العلم – مع الأسف – فأخذ بالرواية أخذ المسلّمات!

---

[183] سورة المزمل: الآية 6.

[184] تفسير الثعالبي ج 5 ص 503.

[185] مجمع الزوائد – الهيثمي ج 10 ص 41.

وربما قيل أن إرادة الحصر الحقيقي في تلك الرواية لم تتعين، فكان الحصر هنا حصرٌ إضافي، أي غرضه قد تعلق في وقت ما بذكر الأربعة، ثم تغير غرضه وذكر غيرهم!

أقول: وكيف يعلم من يقرأ حديثهم بعد ألف سنة بأن إرادتهم كانت حصراً إضافياً ولم تكن حصراً حقيقياً؟ هنا ضاعت الحقيقة بين الإرادات المتباينة!

4 – موقف الصحابي عبد الله بن مسعود: قال اليعقوبي (ت 292 هـ): "جمع عثمان القرآن وألّفه، الطوال مع الطوال، والقصار مع القصار من السور، وكتب في جميع المصاحف من الآفاق حتى جُمعت، ثم سلقها بالماء الحار والخل، وقيل أحرقها، فلم يبقَ مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود. وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر، وكتب إليه عثمان: أن أشخصه، إنه لم يكن هذا الدين خبالاً وهذه الأمة فساداً. فدخل المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: أنه قد قدمت عليكم دابةُ سوء، فكلمه ابن مسعود بكلامٍ غليظٍ، فأمر به عثمان، فجزَّ برجله حتى كسر له ضلعان"[186].

هنا لابد من تعليق على ما ذكره اليعقوبي:

أ – رُويت في وصف ابن مسعود روايات متعددة عن المدرستين: مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء، ولكن الحق إن لابن مسعود مواقف عظيمة من القرآن الكريم ومن أهل البيت (ع)، أهمها:

---

[186] تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 170.

موقفه الأول: قراءة أربع وأربعين سورة من القرآن على أعلم الأمة بعد النبي (ص) علي بن أبي طالب (ع) بحسب تعبيره.

وموقفه الثاني مع الخليفة الثالث المذكور آنفاً.

وموقفه الثالث إدانته الإختلاف في القراءة، وما فيه من إشارات يفهمها اللبيب. ففي الرواية "عن الأعمش قال سمعتُ أبا وائل يحدّث عن عبد الله يعني ابن مسعود قال: سمعتُ القراءة، فوجدناهم متقاربين، أقرأوا ما عُلّمتم، وإياكم والتنطع والإختلاف، فإنما هو كقول أحدهم: هلّم وتعال وأقبل"[187]. وهو مطابقٌ لرأي أئمة أهل البيت (ع)، خصوصاً الإمام الصادق (ع).

إجمالاً كانت لابن مسعود مواقف متميزة من أجل إحقاق الحق، والحفاظ على كتاب الله.

ب – الكلام الغليظ: ما هو الكلام الغليظ الذي قاله ابن مسعود للخليفة الثالث بحيث اقتضى الأمر أن يضربه برجله حتى يكسر له ضلعان، وهو من صحابة رسول الله (ص)؟ لم نعثر على دليل يفسر لنا فحوى كلام ابن مسعود ذاك.

ج – هل من الإنصاف معاملة أصحاب رسول الله (ص) من حملة القرآن بتلك الطريقة؟ لا يجد طالبُ الحقيقة تفسيراً عقلياً يُفسر ذلك!

---

[187] السنن الكبرى – البيهقي ج 2 ص 385.

وعلى أية حالٍ، فقد حُفِظَ القرآن الكريم بالوعد الآلهي المنصوص بحفظ الذكر الحكيم، ومرت تلك المراحل، والقرآن مصانٌ بحروفه وكلماته وآياته، وترتيبه ونسقه كما وعد الله تعالى.

علي بن أبي طالب (ع) في كتب تاريخ القرآن:

وإذا كان علي بن أبي طالب (ع) من رسول الله (ص) في تلك المنزلة القريبة، فأين اسمه في تاريخ القرآن والقراءات؟ ولماذا لم يُذكر إلا عابراً وبصورة هامشية، وكأنه لم يكن حاضراً مع النبي (ص) في سلمه وحربه؟

أين علي (ع) في كتب تلك المدرسة؟ حاولت مدرسة الخلفاء حذف اسم علي بن أبي طالب (ع) من الوجود الذهني للمسلمين عبر تجاهلها شبه التام لدوره في قراءة القرآن على رسول الله (ص) مباشرة، وجمعه (ع) في حياته (ص). ولذلك ترى أن اسم علي (ع) وأهل بيته (ع) لا يُذكر إلا اضطراراً!

قال البغوي (ت 516 هـ): إن زيد بن ثابت شَهِدَ العَرْضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نُسخ وما بقي، وكتبها له (ص) وقرأها عليه، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده عمر وأبو بكر وجمعه، وولاه عثمان كَتب المصاحف[188].

[188] شرح السنّة ج 4 ص 526.

وورد أيضاً أن رسول الله (ص) أرسل جماعة من القرّاء إلى المدينة لتعليم القرآن. روى البخاري باسناده عن أبي إسحق عن البراء قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي (ص) مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال، ولما فتح (ص) مكة ترك معاذ بن جبل للتعليم وكان الرجل إذا هاجر إلى المدينة دفعه النبي (ص) إلى رجل من الحفظة ليعلمه القرآن. وكثر عدد الحفظة في عهد رسول الله (ص)، وقتل في عهده (ص) في بئر معونة زهاء سبعين من القراء. قال محمد بن أبي نصر الكرماني (ت 563 هـ) كما في (الإتقان في الصحيح): إن الذين قتلوا في غزوة بئر معونة من الصحابة – وكان يقال لهم القرّاء – كانوا سبعين رجلاً[189].

وذكر أبو عبيدة في (كتاب القراءات) القرّاء من أصحاب النبي (ص)، فعدّ من المهاجرين الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالماً، وأبا هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة [وهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص]، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة. ومن الأنصار: عبادة بن الصامت، ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد. وصرّح أن بعض هؤلاء كمَّلَ القرآن بعد النبي (ص)[190].

---

[189] فيض القدير – المناوي ج 3 ص 576.

[190] الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 249.

بينما ساق السخاوي (ت 643 هـ) أسماءً أخرى ممن قرأ القرآن في عهده (ص)، فقال: "عرف من قرّاء الصحابة كثيرون، منهم: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد الأنصاري، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر، وأبو أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، ومُجمِّع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب بن أبي السائب المخزومي، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة"[191].

تسائل أحد علماء الأزهر بإنصاف عن دور علي (ع)، وقال: "من أغرب الأمور، ومما يدعو إلى الحيرة أنهم لم يذكروا اسم علي رضي الله عنه فيمن عهد إليهم بجمع القرآن وكتابته، لا في عهد أبي بكر ولا في عهد عثمان! ويذكرون غيره ممن هم أقل منه درجة في العلم والفقه! فهل كان عليّ لا يحسن شيئاً من هذا الأمر؟ أو كان من غير الموثوق بهم؟ أو ممن لا يصح استشارتهم أو إشراكهم في هذا الأمر؟

اللهم إن العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون عليّ أول من يُعهد إليه بهذا الأمر، وأعظم من يشارك فيه، وذلك بما أتيح له من صفات ومزايا لم تتهيأ لغيره من بين الصحابة جميعاً. فقد رباه النبي (ص) على

---

[191] جمال القراء وكمال الإقراء – السخاوي. ج 2 ص 424.

عينه، وعاش زمناً طويلاً تحت كنفه، وشهد الوحي من أول نزوله إلى يوم انقطاعه، بحيث لم يند عنه آية من آياته"[192].

ثم يسترسل ليجد إجابة تقنعه بتساؤله المشروع، فيقول: " فإذا لم يدعَ إلى هذا الأمر الخطير فإلى أي شيء يدعى؟!

وإذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوغوا بها تخطيهم إياه في أمر خلافة أبي بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيها؛ فبأي شيء يعتذرون من عدم دعوته لأمر كتابة القرآن؟ فبماذا نعلل ذلك؟ وبماذا يحكم القاضي العادل فيه؟ حقاً إن الأمر لعجيب وما علينا إلا أن نقول كلمة لا نملك غيرها وهي: لك الله يا علي! ما أنصفوك في شيء!"[193]. وفي هذا الكلام كفاية وغنى.

بقيت نقطة مهمة أودّ أن أذكرها وهي إنه كلما إزداد ذكر أعداد الذين حفظوا القرآن كلياً أو جزئياً في حياة رسول الله (ص)، أورثنا ذلك الإزدياد: الإطمئنان إلى تواتر النص القرآني الصحيح الصادر عنه (ص).

ترتيبُ القرآن توقيفٌ من النبي (ص):

أجمع علماء المسلمين من الفريقين على أن ترتيب القرآن الكريم هو توقيفٌ من النبي (ص). ولا يُعتدّ بمن شذّ عن هذا الرأي، لأن أراءهم إجتهادات شخصية لا ترقى إلى مستوى الدليل.

---

[192] أضواء على السنّة – محمود أبو رية (ت 1390 هـ) ص 222.

[193] المصدر السابق ص 222.

والدليل العقلي يؤيد التوقيف، لأن كتاباً إلهياً بضخامة القرآن الكريم لابد وأن يكون مصوناً قد أشرف رسول الله (ص) على ضبطه وحفظه من عبث اليد البشرية. وهكذا قال فقهاء المسلمين إن "الإجماع على أن ترتيب الآيات في سورها واقعٌ بتوقيفه (ص) وأمره، من غير خلافٍ في هذا بين المسلمين"[194].

مدرسة أهل البيت (ع):

نقل المجلسي (ت 1111 هـ) " عن ابن عباس والسدي، لما نزل قوله تعالى: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)[195]، قال رسول الله (ص): (ليتني أعلم متى يكون ذلك)، فنزلت سورة النصر فكان يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزولها، فيقول: (سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه). فقيل له في ذلك، فقال (ص): (أما أن نفسي نُعيتْ إلي)، ثم بكى بكاءً شديداً، فقيل: يا رسول الله أوَ تبكي من الموت وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال (ص): (فأين هول المطلع، وأين ضيقة القبر، وظلمة اللحد، وأين القيامة والأهوال) فعاش بعد نزول هذه السورة عام"[196].

ثم نزلت آيات القرآن تترى، حتى إذا لم يبق على وفاة رسول الله (ص) إلا سبعة أيام نزل قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

---

[194] الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 172.

[195] سورة الزمر: الآية 30.

[196] بحار الأنوار ج 22 ص 471. مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 234.

تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)[197]، فكانت هذه الآية على بعض الروايات آخر آية من القرآن الكريم، نزل بها جبرئيل (ع) وقال للنبي (ص): (ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة)[198].

وهذا يدلُّ على أن النبي (ص) كان مأموراً بجمع القرآن وترتيبه بنظام السور والآيات في حياته.

وفي روايات أخر إن آخر آية نزلت كانت في الثامن عشر من شهر ذي الحجة في السنة العاشرة للهجرة في غدير خم وهي: (...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ...)[199]، فاكتمل دين الإسلام بنزول القرآن الكريم، ونبوة رسول الله محمد (ص)، وولاية أهل البيت (ع)[200].

ثم توفي رسول الله (ص) والقرآن مكتملٌ كتابةً وترتيباً وجمعاً، وبالجملة فإن ترتيب القرآن توقيفي من النبي (ص)، وإلى ذلك أشار مصنّف (الميزان في تفسير القرآن) (ت 1402 هـ) إلى أن القرآن الموجود اليوم بأيدينا هو القرآن الذي جاء به رسول الله محمد (ص) وقرأه على الناس المعاصرين له. تحدى القرآن الكريم العرب خصوصاً والبشرية عموماً بالبلاغة والفصاحة على أن يأتوا بمثله في ذلك الزمان. واليوم نرى أن

---

[197] سورة البقرة: الآية 280.

[198] تفسير التبيان ج 2 ص 369.

[199] سورة المائدة: الآية 3.

[200] راجع تفسير الميزان ج 5 ص 194- 200 ، حيث ساق المصنف (ت 1402 هـ) روايات عديدة حول هذا الموضوع.

القرآن الذي اشتمل على نظم عجيب بديع لا يشابهه شيء من كلام أهل البلاغة والفصاحة شعراً كان أو نثراً، خطبةً كان أو رسالةً. وهذا النظم موجود في جميع الآيات التي نقرأها اليوم[201].

مدرسة الخلفاء:

أقرَّ مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ) بأن: "ترتيب الآيات في السور هو من النبي (ص)، ولما لم يأمر بذلك في أول [سورة] براءة تُركت بلا بسملة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمرٌ واجبٌ، وحكمٌ لازمٌ، فقد كان جبرئيل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا"[202].

و مصنِّف (الإنتصار) لا يدع شكاً في ذلك ويقول: "الذي نذهب إليه أن جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه، ولم ينسخه، ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو الذي بين الدفتين، الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زُيّد فيه شيء، وأن ترتيبه ونظمه ثابتٌ على ما نظمه الله تعالى، ورتب عليه رسوله (ص) من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، ولا أخّر منه مقدم ..."[203].

---

[201] تفسير الميزان ج 12 ص 104 – 105.

[202] البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 256.

[203] الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 175.

" ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة – على ما هي عليه اليوم في المصحف – توقيفٌ من الله تعالى، وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها (ص)"[204].

بينما اختار أبو جعفر النحاس (ت 338 هـ) رأياً قال فيه: "المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله (ص)، وروي ذلك عن علي بن أبي طالب (ع)"[205]. وهو الرأي الصحيح. ويزيد الكرماني (ت 505 هـ) على ذلك، ويقول: "أن ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ"[206].

ويضع أبو بكر الأنباري (ت 328 هـ) الفكرة بصورة ثانية، ويقول: " أُنزل القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فُرِّقَ في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر، ويقف جبرئيل (ع) النبي (ص) على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، كله عن النبي (ص)، فمن قدَّمَ سورة أو أخرّها فقد أفسد نظم الآيات"[207]. وهذا مطابق لما قرأناه من موقف أهل البيت (ع).

فقد "كان رسول الله (ص) يقول: (ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن)، وكان جبرئيل (ع) يقف على مكان الآيات"[208].

---

[204] نقله ابن حجر في فتح الباري ج 8 ص 658.

[205] البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 258.

[206] البرهان في توجيه متشابه القرآن – الكرماني ص 16.

[207] البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 260.

[208] تفسير القرطبي ج 1 ص 60.

" واستدلوا على ذلك بأن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كُتب في عهد عثمان، ولم يُخالف منهم أحداً، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالِفة بمخالفتهم، ولكنهم عدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعاً"[209].

أقول: إن مصحف عثمان مطابقٌ للمصحف الذي كتبه الإمام علي (ع)، ولو افترضنا أنه كان مخالفاً لكان (ع) أول المعترضين على ذلك. لكن الإمام (ع) أمضى ما فعله الخليفة الثالث. ولم نجد اعتراضاً من أحد عدا ما قرأناه من عبد الله بن مسعود.

وكان "ابن مسعود يقول في سور (بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء): أنهَّن من العتاق الأول، وهنَّ من تلادي[210،211]. فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها، وعن واثلة بن الأسقع أن النبي (ص) قال: (أُعطيتُ مكان التوراة السبع الطوال[212]، وأُعطيتُ مكان الزبور المئين[213]، وأُعطيت مكان الإنجيل المثاني[214]، وفُضِّلْتُ بالمفصَّل[215])[216].

---

[209] مناهل العرفان ج 1 ص 354.

[210] أنهن من العتاق الأول، وهنَّ من تلادي: "يعني من قديم ما أخذتُ من القرآن، وذلك أن هذه السور نزلت بمكة" (فضائل القرآن – الهروي حديث رقم 385).

[211] صحيح البخاري ج 8 ص 654.

[212] السبع الطوال: هي سور البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، ويونس.

عقّب أبو جعفر النحاس على الحديث فقال: "وهذا الحديث يدلُّ على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي (ص)، وأنه مؤلف من ذلك الوقت"[217].

ولم يتخل مالك بن أنس (ت 179 هـ) عن هذا الرأي، فقال: "إنما أُلِّفَ القرآنُ على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله (ص)"[218].

وكذلك ابن حجر (ت 852 هـ) قال: "ومما يدل على أن ترتيب المصحف كان توقيفياً: ما روي عن أوس الثقفي قال: كنتُ في الوفد الذي أتوا النبي (ص) أسلموا من ثقيف... الحديث، وفيه: قُلنا ما أمكثكَ عنّا يا رسول الله؟ قال (ص): طرأ عليَّ حزبٌ من القرآن فأردتُ أن لا أخرُجَ حتى أقضيه. قال: فسألنا أصحابَ رسول الله (ص) حين أصبحنا: قلنا: كيف تحزِّبُون القرآن؟ قالوا: نحزِّبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاثَ عشرة سورة، وحزب المُفصّلِ من قافْ

---

[213] المئين: السور القرآنية التي تبلغ آياتها مائة آية أو ما يقاربها. مثل سورة يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وغيرها.

[214] المثاني: سووة الفاتحة، وهي سبع آيات. وتسمى السبع المثاني.

[215] المفصَّل: يُطلق على السور ابتداءً من سورة ق حتى نهاية المصحف، وهي سور طوال، وأوساط، وقصار.

[216] مسند أبو داود الطيالسي ج 1 ص 136. دلائل النبوة – البيهقي ج 5 ص 475.

[217] البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 258.

[218] المقنع في رسم مصاحف الأمصار – الداني ص 18.

حتى يُختَم. فهذا يدلُّ على أن ترتيب السور على ما هو المصحف الآن كان في عهد النبي (ص)"[219].

للتوضيح قيل باستحباب قراءة القرآن مرة في كل سبعة أيام. و"بيانه: ثلاث: البقرة، وآل عمران، والنساء. وخمس: المائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال، وبراءة. وسبع: يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، والنحل. وتسع: سبحان [الإسراء]، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، والحج، والمؤمنون، والنور، والفرقان. وإحدى عشرة: الشعراء، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والم السجدة، والأحزاب، وسبأ، وفاطر، ويس. وثلاث عشرة: الصافات، وص، والزمر، وغافر، وحم السجدة [فصلت]، حم عسق [الشورى]، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، والقتال [محمد]، والفتح، والحجرات. ثم بعد ذلك حزب المفصّل، وأوله سورة ق"[220]، فتُختم عندها تلاوة القرآن في سبعة أيام.

وأيده السيوطي (ت 911 هـ) بالقول: "ومما يدلُّ على أنه توقيفي كون الحواميم[221] رتبت ولاءً[222]، وكذا الطواسين[223]، ولم ترتب

---

[219] الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 219.

[220] البرهان في علوم القرآن – الزركشي ج 1 ص 247.

[221] الحواميم: سبع سور متوالية تبدأ بحرفي الحاء والميم (حم)، وهي: سورة غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

[222] رُتبت ولاءً: أي متتابعة.

[223] الطواسين: هي السور التي تبدأ بـ (طسم) أو (طس) وهي: (طسم) سورة الشعراء، و (طس) سورة النمل، و(طسم) سورة القصص.

المسبحات[224] ولاءً، بل فُصِلَ بين سورها، وفُصِلَ بين (طسم)[225] الشعراء و(طسم)[226] القصص بـ (طس...)[227] النمل مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء، وأُخرِّت (طس...)[228] النمل عن القصص.

وقد سُئل ربيعة: لِمَ قُدّمتْ البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضعٌ وثمانون سورة بمكة، وإنما أُنزلتا بالمدينة؟ فقال: قُدِّمتا وأُلِّفَ القرآن على علمٍ ممن ألَّفه به، ومن كان معه فيه، واجتماعهم على علمهم بذلك، فهذا مما يُنتهى إليه، ولايُسأل عنه"[229].

وتلخيص الفكرة على رأي الكرماني (ت 505 هـ): " وعلى هذا الترتيب كان يعرضه (ص) على جبريل (ع) كل سنة، أي: ما كان يجتمع عنده منه، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين" [230].

وهكذا نُقل عن أبي عبد الرحمن السلمي (ت 73 هـ): " قرأ زيد بن ثابت على رسول الله (ص) في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سُميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله (ص)، وقرأها

---

[224] المسبحات: قيل سور أولها: سبّح، أو يسبّح، أو سبحان.

[225] سورة الشعراء: الآية 1.

[226] سورة القصص: الآية 1.

[227] سورة النمل: الآية 1.

[228] سورة النمل: الآية 1.

[229] الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 219.

[230] الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 219.

عليه، وشهد العَرْضة الأخيرة، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتبة المصاحف" [231].

وبكلمة، فإن ترتيب القرآن الكريم بآياته وسوره توقيفٌ من النبي (ص) أجمع عليه فقهاء المسلمين؛ وهذا جزءٌ لا يتجزأ من التعهد الآلهي بحفظ آخر الكتب السماوية إلى هذا العالَم.

نقطة أخيرة:

بقيت نقطة أخيرة نمرُّ عليها بإختصار حتى يكتمل الموضوع، وهي المزاعم المتعلقة بقضايا النقص والتغيير في اللفظ أو ما سُمي بوقوع التحريف ذكرتها أغلب المصادر الحديثية. فقد ردّها السيد الطباطبائي (ت 1402 هـ) في (الميزان في تفسير القرآن) جزء 12 صفحة 104 – 133، وفنّدها بدلائل علمية. وإنما أحجمنا عن ذكرها لأن أغلب الروايات في قضية التحريف دخيلة مُرادها إبطال حجة القرآن كمعجزة آلهية، ولو بطُلت حجية القرآن وكونه محفوظاً من قبل الله تعالى لأختلَّ نظام الرسالة السماوية واختلّت النبوة الشريفة. تلك الروايات مخالِفة للدلالة القطعية للقرآن كما قال الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[232]،

---

[231] البرهان من علوم القرآن ج 1 ص 237. وشرح السنّة ج 4 ص 525 – 526.

[232] سورة الحجر: الآية 9.

(... وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)[233].

[233] سورة فصلت: الآيات 41- 42.

أشارة عامة

حتى نفهم طبيعة القراءات القرآنية، وندرك مناشئها وأسباب ظهورها وتأثيرها لابد من دراسة تلك القراءات من الزاوية التاريخية، والأصولية، والأداءية. ثم لابد من فهم مجتمع المسلمين في القرن الأول الهجري بأفراده، ولهجاته، وثقافته. وهو زمنٌ حَفَلَ بحضور أئمة أهل البيت (ع) بقوة في الساحة الإجتماعية والدينية. فقد كانوا (ع) صمام الأمان لحفظ القرآن الكريم قراءةً، وكتابةً، وتفسيراً.

فهنا ثلاثة أبعاد للقراءات نبحثها في الفصول التالية، وهي:

الفصل الثاني: البُعد التاريخي.

الفصل الثالث: البُعد الأصولي.

الفصل الرابع: البُعد الصوتي.

الفصل الثاني

القراءات القرآنية: البُعد التاريخي

مقدمة. البُعد التاريخي في القراءات: الفترة الأولى: عهد النبي (ص). الثانية: عهد الإمام علي بن أبي طالب (ع). الثالثة: عهد أئمة الهدى: الحسن، والحسين، والسجاد (ع). الرابعة: عهد الإمامين الباقر والصادق (ع). الخامسة: عهد الإمام الكاظم (ع) ومن بعده. أئمة القراءات في القرن الثاني الهجري وما بعده. دلالات اشتراك المدرستين في حفظ القرآن الكريم.

مقدمة

اختلف المؤرخون في معرفة أسباب اختلاف القراءات القرآنية، وأرجعوها إجمالاً إلى ثلاثة أمور، الأول: إختلاف لهجات القبائل العربية في الإمالة، والإدغام، والإشمام. الثاني: اجتهادات القرّاء أنفسهم في التقديم، والتأخير، والإبدال. الثالث: الحديث النبوي الخاص بالأحرف السبعة الذي فُسِر على أنه قراءات سبع!

وأصبح علم القراءة القرآنية في القرون المتقدمة مذهباً يتزاحم على طلبه طلاب العلم، ويحاولون النهل من إمام القراءة، الذي خالف غيره في نطق الحروف القرآنية، أو في نطق هيئاتها.

نقطة مهمة نحب أن نذكرها في بداية الحديث عن القراءات القرآنية هو أن الأصل الذي نسير عليه في هذا البحث هو أن قراءة أئمة أهل البيت (ع) للقرآن الكريم قراءة توقيفية، أي متوقفة على قراءة النبي (ص) عن جبرئيل (ع). فعندما نقول هذه قراءة أهل البيت (ع) فهي قراءة النبي (ص) للقرآن الكريم، بشرط صحة سند الرواية التي نقلتها.

البُعد التاريخي في القراءات

لاشك أن القرآن الكريم نزل لإسعاد البشرية من خلال تنظيم علاقتها العقلية والروحية مع رب العالمين، ومن خلال بناء القيم الأخلاقية بين الناس، ومن خلال بناء نظرة الإنسان للكون والوجود المحيط به. وكتابٌ ألهي بضخامة القرآن الكريم لابد أن يحمله أُناس بمستوى الأمانة التاريخية المُلقاة عليهم، فكان بيت النبوة (ع) أهلاً لحفظ القرآن الكريم.

ظلَّ القرآن محفوظاً قراءةً وكتابةً وتفسيراً، في قلوبهم (ع) منذ أن نزل به الوحي على خاتم الأنبياء (ص). ودليل ذلك تفانيهم (ع) في حفظ الكتاب الألهي مُصاناً من التبديل والتغيير. وكان رسول الله (ص) يتلقى القرآن بمنطوق الوحي فيقرأه على المسلمين من حوله (ص). فلم تكن هناك قراءات في الصدر الأول إلا في لهجات العرب، كما تبين لنا ذلك في الفصل السابق.

وإذا جعلنا أئمة أهل البيت (ع) الأصل في موضوع القراءات باعتبارهم صنو القرآن على ضوء حديث الثقلين، فإننا نستطيع تقسيم زمن القراءات إلى خمس فترات:

الفترة الأولى: عهد النبي (ص): من البعثة حتى سنة 11 هـ.

الفترة الثانية: عهد الإمام علي بن أبي طالب (ع): سنة 11 – 40 هـ.

الفترة الثالثة: عهد أئمة الهدى: الحسن، والحسين، والسجاد (عليهم السلام): سنة 40 – 95 هـ.

الفترة الرابعة: عهد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام): سنة 95 – 148 هـ.

الفترة الخامسة: عهد الإمام الكاظم (ع) وما بعده من أئمة الهدى (ع): سنة 148 هـ وما بعدها.

مبادئ هذا الفصل:

لابد من تحديد جملة مبادئ لهذا الفصل تُعيننا على الوصول إلى حقائق القراءات، ومقدار صلتها بأهل البيت (ع)، وهي:

الأول: حددنا كل فترة بضابطة محددة وهي حياة النبي (ص) أو حياة الإمام (ع) من أئمة أهل البيت (ع). واخترنا للقرّاء سنة وفاتهم لتكون مقياساً زمنياً لتحديد الفترة.

الثاني: إذا قرأ القارئ على أحد أئمة العترة الطاهرة (ع)، فمن أجل تسهيل مسار البحث آثرنا أن نعتبره من مدرسة أهل البيت (ع) حتى لو لم يكن في الظاهر مصرِّحاً بولائه لهم (ع). فقد كان منهجنا في البحث هو التفتيش عن قرائن تقنعنا بأن موالاته كانت موالاةً قلبية لهم، وإنما ضمرها خوفاً على حياته أو خشيةً على سلامة القرآن من التحريف.

الثالث: كلُّ من ذُكر في كتب مدرسة الخلفاء بلقب صحابي أو تابعي، ذكرناه بذلك اللقب، وإن كان لدينا تحفظٌ على تلك الألقاب والإصطلاحات، إلا أن تصميم البحث أقتضى ذلك.

الرابع: قسمّنا مدارس القراءة القرآنية إلى مدرستين لا ثالث لهما، وهما: مدرسة أهل البيت (ع) التي إلتزمت بمنهج الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي ضبط القرآن على رسول الله (ص) مباشرة إقراءً وعَرْضاً. والقراءة فيها بين القراء متطابقة أو متقاربة على الأقل. ومدرسة الخلفاء التي اختلفت فيها القراءات إلى حد ما.

الفترة الأولى: عهد النبي (ص)

وهي فترة تعليم النبي (ص) عليَّ بن أبي طالب (ع) القرآن لفظاً وتفسيراً من بداية البعثة حتى سنة 11 هـ ، أي مدة ثلاث وعشرين سنة[234]، وهي فترة نزول القرآن الكريم. وقد أسهبنا القول فيها سابقاً.

وإذا أخذنا بما قاله الذهبي (ت 748 هـ) فيمن حفظ القرآن زمن النبي (ص) لكان لمدرسة أهل البيت (ع)، ولمدرسة الخلفاء نصيبٌ مشتركٌ منها.

فإذا اعتبرنا الإمام علي بن أبي طالب (ع) عميد مدرسة أهل البيت (ع) بعد النبي (ص)، وألحقنا به عبد الله بن مسعود الذي قرأ على رسول الله (ص)، وقرأ على الإمام (ع) أيضاً، وكان يصفُ علياً (ع) بأنه أعلم الأمة بعد النبي (ص)، لكانت المدرستان كالتالي:

مدرسة أهل البيت (ع): ورائدها الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي قرأ القرآن تلقيّاً ودرساً على النبي (ص) مباشرةً؛ وتلميذه عبد الله بن مسعود الذي قرأ على علي (ع) جزءً من القرآن كما قرأ بالأصل جزءً آخر على النبي (ص)[235].

---

[234] الذريعة إلى تصانيف الشيعة – الطهراني ج 6 ص 267.

[235] المسترشد ص 278.

تعلّم الإمام (ع) القراءة والكتابة في مكة، وكان كاتباً للوحي، وقد وردت رواية عن الإمام الباقر (ع) قال فيها: (كان جبرئيل يُملي على النبي (ص)، وهو يُملي على علي عليه السلام)[236].

وعلّق ابن شهرآشوب (ت 558 هـ) على ذلك المعنى بالقول: "أفلا يكون علي (ع) أعلم الناس وكان مع النبي (ص) في البيت والمسجد يكتب وحيه، ومسائله، ويسمع فتاواه، ويسأله. وروي أن النبي (ص) كان إذا نزل عليه الوحي ليلاً لم يصبح حتى يُخبر به علياً (ع)، وإذا أُنزل عليه نهاراً لم يمسِ حتى يُخبر به علياً"[237].

وإلى ذلك أشار ابن عبد ربه (ت 328 هـ) في (العقد الفريد): "فمن أهل هذه الصناعة [يقصد صناعة الكتاب] علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله (ص) يكتب الوحي"[238].

وقد أحتج (ع) حول معرفته بالقرآن المجيد وعلومه على جماعة من المهاجرين والأنصار، فقال (ع): (يا طلحة إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد (ص) عندي بإملاء رسول الله (ص)، وكل حلال وحرام، أو حدّ، أو حكم، أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، عندي مكتوب بإملاء رسول الله (ص)، وخط يدي حتى إرش الخدش[239])[240].

---

[236] بحار الأنوار ج 18 ص 270.

[237] مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 315.

[238] العقد الفريد ج 3 ص 5.

[239] أرش الخدش: دية الجرح البسيط.

[240] الإحتجاج – الطبرسي ج 1 ص 223.

وكان (ع) يقول: (ما دَخَلَ رأسي نومٌ ولا غَمَضَ [جفني] على عهد رسول الله (ص) حتى علمتُ من رسول الله (ص) ما نزل به جبرئيل في ذلك اليوم من حلال أو حرام أو سنّة، أو أمر أو نهي، وفيما نزل، وفيمن تنزّل...)[241].

وهذا ما يؤكده سُليم بن قيس (ت 76 هـ): "جلستُ إلى علي (ع) بالكوفة في المسجد، والناس حوله، فقال (ع): (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فو الله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرأنيها رسول الله (ص)، وعلّمني تأويلها). فقال ابن الكواء: فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟ فقال (ع): (بلى، يحفظ عليَّ ما غبتُ، فإذا قدمتُ عليه قال (ص) لي: (يا علي: أنزلَ الله بعدك كذا وكذا) فيقرأنيه، وتأويله كذا وكذا فيعلمنيه)[242].

وبالإجمال، فإنّ علياً (ع) كان يكتب الوحي في كل مرة ينزل فيه، وكان يحفظ آياته عن ظهر قلب، وكان يدوّن القرآن مع هامش يذكر فيه العام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمجمل والمبيّن، والمُحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والرخص والعزائم، والآداب والسنن.

ولم يكن عليٌّ (ع) وحده كاتباً للوحي، بل كان معه كتّابٌ آخرون كتبوا الوحي. قال الرافعي (ت 1356 هـ): "واتفقوا على أن من كتب القرآن وأكمله، وكان قرآنه أصلاً للقرآنات المتأخرة: علي بن أبي طالب، وأُبي بن

---

[241] بصائر الدرجات – الصفار ص 217.

[242] كتاب سُليم بن قيس ص 331.

كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود"[243]. والمروي أيضاً أن رسول الله (ص) أوصاه (ع) بحفظ القرآن بعد وفاته (ص)، قائلاً: (يا علي هذا كتاب الله خذه إليك)[244]. فجمعه علي (ع) في ثوب، فمضى إلى منزله. ومنزله هو حجرة فاطمة الزهراء (ع) المجاورة لحجرات النبي (ص) في مسجد المدينة. فلما قُبض النبي (ص) جلس (ع) فألّفه[245] كما أنزله الله تعالى، وكان به عالماً[246].

مدرسة الخلفاء: وهي المدرسة التي لم تساند إمامة أهل البيت (ع) لسببٍ من الأسباب، وبعض روادها كانوا محبين لأهل البيت (ع) إلا أنهم لم يقرأوا على علي بن أبي طالب (ع)، وكان منهم:

1 – الصحابي أبيّ بن كعب بن قيس (ت 32 هـ).

2 – الصحابي أبو الدرداء الأنصاري (ت 32 هـ).

3– الصحابي عثمان بن عفان (ت 35 هـ).

4 – الصحابي أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري (ت 44 هـ).

5 – الصحابي زيد بن ثابت بن ضحاك الأنصاري (ت 45 هـ).

وسوف نترجم لحياتهم في الفترتين الثانية والثالثة.

---

[243] إعجاز القرآن – الرافعي ص 35.

[244] بحار الأنوار ج 40 ص 155.

[245] التأليف: الجمع، ومنه قوله تعالى: (... فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ...) سورة آل عمران: الآية 103.

[246] مناقب آل أبي طالب ج 1 ص 319.

الفترة الثانية: عهد الإمام علي بن أبي طالب (ع)

وهي الفترة الواقعة بين وفاة رسول الله (ص) واستشهاد الإمام علي بن أبي طالب (ع): (من سنة 11 هـ لحد سنة 40 هـ). شهدت تلك الفترة الزمنية إضطراباً، وفتناً كثيرةً، كالسقيفة وما تلاها من أحداث وحروب. كان الإمام (ع) في تلك الفترة الحرجة الحامي الأصيل لكتاب الله تعالى، فهو (ع) وإن لم يُذكر في مصادر جمع القرآن، وتدوينه، وقراءته إلا اليسير، إلا أن دوره (ع) كان حاسماً في حفظ القرآن وصيانته من خلال تلاميذه الذين تعلموا القراءة الصحيحة لكتاب الله تعالى ونشروها باسلوب التلقي، وفي أكثر الأحيان بهدوء ومن دون إعلان.

يقول (ع) واصفاً نفسه: (سلوني عن كتاب الله، فإنه ليست آية إلا وقد عرفتُ بليلٍ نزلت أم بنهارٍ، في سهلٍ أو جبلٍ)[247]. (والله ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إنّ ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلقاً)[248].

بمعنى أن الإمام (ع) كان عضد رسول الله (ص) الأيمن في معرفة القرآن وفقهه، وكان يعرف كتاب الله المجيد بدقائقه وحروفه وكلماته، وآياته وسوره، بحيث كان يتذكر وقت نزول الآيات في ليلٍ أو نهارٍ، وكان يعرف مكان نزولها. وهو (ع) صادقٌ بدون أدنى شك. فأين هذا القول من

---

[247] وسائل الشيعة ج 1 ص 62.

[248] وسائل الشيعة ج 1 ص 61.

قول مدرسة الخلفاء بأنها خافت على ضياع القرآن في صدور الناس ومخابئ البيوت بعد وفاة النبي (ص)؟!

"والقرّاء السبعة إلى قراءته (ع) يرجعون، فأما حمزة والكسائي فيعولان على قراءة علي (ع) وابن مسعود، وليس مصحفهما مصحف ابن مسعود، فهما يرجعان إلى علي (ع) ويوافقان ابن مسعود فيما يجري مجرى الأعراب، وقد قال ابن مسعود: ما رأيتُ أحداً أقرأ من علي بن أبي طالب (ع) للقرآن.

وأما عاصم فقرأ على أبي عبد الرحمن السُلمي، وقال أبو عبد الرحمن: قرأت القرآن كله على علي بن أبي طالب (ع)، فقالوا أفصح القراءات قراءة عاصم، لأنه أتى بالأصل وذلك أنه يُظهر ما أدغمه غيره، ويحقق من الهمز ما ليّنه غيره، ويفتح من الألفات ما أماله غيره. والعدد الكوفي منسوب إلى علي (ع)، وليس في الصحابة من ينسب إليه العدد غيره"[249]. وسوف نبحث العدد الكوفي لآيات القرآن في مجلد السياقات الفنية للمخطوطة القرآنية بإذنه تعالى.

مدرسة أهل البيت (ع): إلتزمت مجموعة طيبة من الصحابة المؤمنين والتابعين بحديث الثقلين، وتمسكت بعروة القرآن الكريم وعرفت فضائل أهل البيت (ع)، وتتلمذت على يد أمير المؤمنين (ع)، وكان الظرف لا يسمح للجميع بإعلان معارضتهم لما جرى في السقيفة بعد وفاة رسول الله (ص)،

[249] مناقب آل أبي طالب ج 2 ص 52.

فآثروا الكتمان، لكنهم أخذوا علوم القرآن في القراءة، والرسم، والتفسير من الإمام أمير المؤمنين علي (ع). ومع أن هؤلاء القرّاء قد عاشوا زمن الإمام علي (ع) إلا أن زمن وفاتهم، عدا ابن مسعود، يدعونا لعدّهم من قرّاء الفترة الثالثة فسوف نذكر أسماءهم هنا، ونفصّل في تراجم بعضهم في الفترة الثالثة. ومن هؤلاء:

1 – الصحابي عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ).
2 – الصحابي عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري (ت 61 هـ).
3 – الصحابي حبيب بن مظاهر الأسدي (ت 61 هـ).
4 – الصحابي كنانة بن عتيق التغلبي (ت 61 هـ).
5 – التابعي برير بن خضير الهمداني ت 61 هـ).
6 – التابعي نافع بن هلال الجملي (ت 61 هـ).
7 – الصحابي عبد الله بن عباس (ت 68 هـ).
8 – التابعي أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ).
9 – الصحابي أبو عبد الرحمن السُلمي (ت 73 هـ).
10 – التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت 83 هـ).

ترجمة قرّاء هذه الفترة:

1 – الصحابي عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ). قرأ القرآن على رسول الله (ص)، وعلى علي بن أبي طالب (ع)، كما ورد في الروايات المتعددة، ومنها: " روى المسعودي (ت 160 هـ)، قال: حدثنا يحيى بن سالم العبدي، عن صالح بن أبي الأسود، عن هاشم بن البريد، عن بنان الطائي، عن

عبد الله بن مسعود، قال: قرأتُ سبعين سورة من فلق رسول الله (ص) كما أنزلت، وزيد بن ثابت له ذأبة يرعى الأبل، وقرأتُ بقية القرآن على خير خلق الله بعد نبي الله علي بن أبي طالب (ع)"[250].

"عبد الله بن مسعود بن عامل بن حبيب الهذلي جليل القدر، كبير الشأن، عظيم المنزلة، كان من فقهاء الصحابة، وأحد حفاظ القرآن، قرأ القرآن والسنّة، رُوي أنه أخذ سبعين سورة من القرآن من في رسول الله (ص)، وبقيته من أمير المؤمنين (ع). كان مع النبي (ص) ليلة الجن، وإنه صلى القبلتين، وشهد بدراً، وأحداً، والخندق، وبيعة الرضوان، وسائر المشاهد مع رسول الله (ص)... وبعثه عمر إلى الكوفة ليقرءهم القرآن، ويعلمهم الشرائع والأحكام، فكتب إلى أهلها: أني قد بعثتُ عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله (ص) من أهل بدر فاقتدوا بهما، وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي.

فبثّ عبد الله فيهم علماً كثيراً، وفقّه منهم جماً غفيراً. وكان من الذين شهدوا جنازة أبي ذر، وباشروا تجهيزه. وهو من المعروفين بولاية أهل البيت (ع)، وشهد الصلاة على فاطمة (ع) ودفنها. وكان من الذين أنكروا على أبي بكر خلافته، ونكيره على الثالث وما جرى عليه من الضرب والإهانة مسطور في السير والتواريخ"[251].

---

[250] المسترشد ص 278.

[251] تحف العقول – ابن شعبة الحراني ص 428.

قال الهيثمي (ت 707 هـ): "عن عبد الله يعني ابن مسعود قال: كنا نتحدث عن أفضل أهل المدينة علي بن أبي طالب (ع)، وعنه قال: قرأت على رسول الله (ص) سبعين سورة، وختمتُ القرآن على خير الناس علي بن أبي طالب (ع)"[252].

وكان قبله ابن عساكر الدمشقي (ت 571 هـ) قد ذكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (ع): "عن زاذان عن ابن مسعود قال: قرأت على رسول الله (ص) تسعين سورة، وختمتُ القرآن على خير الناس بعده، فقيل له: من هو؟ قال: علي بن أبي طالب (ع)"[253].

وأوردها القندوزي (ت 1294 هـ) في كتابه: " قال ابن مسعود: "قرأتُ سبعين سورةً من فيّ رسول الله (ص)، وقرأتُ البقية على أعلم هذه الأمة بعد نبينا (ص) علي بن أبي طالب (ع)"[254]. والظاهر أن اختلاف الروايات التي ذكرت: سبعين، وتسعين إنما هو تصحيفٌ لتشابه الكلمتين كتابةً عندما يغيب الإعجام.

والفكرة لخصها ابن مسعود بكلمة بليغة، هي: "ما رأيتُ أحداً أقرأ من علي بن أبي طالب (ع) للقرآن"[255].

ولذلك عُدّتْ قراءة ابن مسعود أقرب القراءات إلى أهل البيت (ع).

---

[252] مجمع الزوائد ج 9 ص 119، ص 291.

[253] تاريخ دمشق – ابن عساكر ج 3 ص 33.

[254] ينابيع المودة ج 2 ص 276.

[255] مناقب آل أبي طالب ص 52.

تولى ابن مسعود قضاء الكوفة وبيت المال في خلافة عمر بن الخطاب، وصدراً من خلافة عثمان قبل وفاته. أوصى بأن لا يصلي عليه عثمان. وعندما توفي ابن مسعود ودُفن، قالوا بان عثمان لم يُعلَمْ بدفنه، فلما علِم غضب لعدم إعلامه![256].

تتلمذ عليه[257]:

أ – علقمة بن قيس.

ب – الأسود بن يزيد النخعي.

ج – مسروق بن الأجدع.

د – أبو عبد الرحمن السلمي، الذي تتلمذ أيضاً على علي بن أبي طالب (ع).

مدرسة الخلفاء:

وفيها ممن قرأ على رسول الله (ص) تلقياً أو عَرْضاً:

1 – الصحابي أُبيّ بن كعب بن قيس (ت 32 هـ)، شهد العقبة، وبدراً، وجمع القرآن في حياة رسول الله (ص)[258]. ولأُبيّ بن كعب " في الكتب الستة نيف وستون حديثاً "[259].

---

[256] راجع المستدرك – الحاكم النيسابوري ج 3 ص 313، والإستيعاب – ابن عبد البر ج 1 ص 73، والبداية والنهاية ج 7 ص 163.

[257] النشر في القراءات العشر – ابن الجزري ج 1 ص 6، والإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 202، ومناهل العرفان ج 1 ص 414.

قال فيه ابن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع الهجري) في (تحف العقول): "أبي بن كعب الأنصاري الخزرجي المكنى بأبي المنذر من فضلاء الصحابة، سيد القرّاء، كان يكتب الوحي، شَهِدَ بدراً، والعقبة مع السبعين، وبايع رسول الله (ص)، وآخى (ص) بينه وبين سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأنه من الأثنى عشر الذين أنكروا على أبي بكر خلافته، وأرادوا تنزيله عن منبر رسول الله (ص)، وأنكر عليه تقدمه وجلوسه في مجلس رسول الله (ص)، قال له: لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) في وصيته، وأول من صدف عن أمره، وردَّ الحق إلى أهله تسلم..."[260].

انتقد أُبيّ بن كعب الخليفةَ الثاني في مناقشة بينهما قائلاً: " إنه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالأسواق"[261].

أقول: أُرجح أن أُبيّ بن كعب كان أقرب إلى معرفة حقيقة أهل البيت (ع)، لكنه لم يستطع التصريح بولائه للإمام علي (ع)، للشواهد التالية:

الأول: تحسس مرارة آثار السقيفة بعد وفاة النبي (ص)، فقال: " كنا مع النبي (ص) ووجوهنا واحــدة، فلما توفي رسول الله (ص) نظرنا هكذا

---

[258] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج 8 ص 628، والبرهان من علوم القرآن ج 1 ص 304.

[259] سير أعلام النبلاء ج 1 ص 402.

[260] تحف العقول ص 428.

[261] سير أعلام النبلاء ج 1 ص 364.

وهكذا" [262]. أي لما فارَقَنا (ص) اختلفت وجوهُنا يميناً وشمالاً. وهذا كلامٌ يتسم برؤية الواقع رؤية صادقة، فهو وإن لم يضع اللوم على صقور السقيفة إلا أنه شخّص الواقع الإسلامي بعد وفاة رسول الله (ص) تشخيصاً واقعياً، بعد أن ظهر له حب الناس للسلطة حتى وإن كانت فيها مخالفة لتعاليم رسول الله (ص).

الثاني: ومن كلماته التي كان لها مغزى، ولم يقلها غيره من الصحابة، عندما هلك أهل العقبة، وفي رواية: هلك أهل العقدة[263] قيل أنهم من المنافقين، وقيل أنهم من قريش، قال: " ورب الكعبة – ثلاثاً – هلكوا وأهلكوا. أما والله ما عليهم آسى، ولكن آسى على من يُهلِكونَ من المسلمين" [264].

الثالث: قال الذهبي (ت 748 هـ) وهو يذكر حادثةً مفادها أن نفراً قرأوا قرآناً وأضافوا فيه: " قال عمر [بن الخطاب]: من أقرأكم هذا؟ قالوا: أُبي بن كعب. فدعا به، فلما أتى، قال: أقرءوا. فقرءوا كذلك. فقال أُبي: والله يا عمر إنك لتعلم أني كنتُ أحضرُ ويغيبون، وأدني ويحجبون، ويُصنعُ بي ويُصنعُ بي، ووالله لئن أحببت لألزمنَّ بيتي، فلا أحدّث شيئاً، ولا أقرئ أحداً حتى أموت. فقال عمر: اللهم غفراً! إنا لنعلم أن الله قد جعل عندك علماً فعلّم الناس ما علمت"[265].

---

[262] أمالي المحاملي ص 359.

[263] مسند أحمد ج 5 ص 140.

[264] العمدة – ابن البطريق ص 342.

[265] سير أعلام النبلاء ج 1 ص 397.

والرواية غامضة، فهل كان أُبيّ يقرأ قراءة مغايرة كما توحي الرواية؟ أم أن أُبي أراد أن يحتجَّ عليهم بعلي (ع) وعلمه بالقرآن؟ أم أنه كان يقرأ آية الوضوء مثلاً بالكسر أي بمسح القدمين؟ ولِمَ أقرّه عمر على الإختلاف في القراءة في البداية رغم استنكاره بدايةً ؟

الرابع: " عن أسلم المنقري قال: سمعتُ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزي يحدث عن أبيه قال: لما وقع الناس في أمر عثمان قلتُ لأُبيّ بن كعب: أبا المنذر ما المخرج من هذا الأمر؟ قال: " كتاب الله، وسنّة نبيّه ما استبان لكم فاعملوا به، وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالِمه"[266].

وقوله: "وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالِمه" هو كلامٌ خطيرٌ! فمن هو العالِم بكتاب الله تعالى؟ وإذا قال المدعي أن العالِم بكتاب الله هو الخليفة الثالث فالرواية هي سؤالهم عن الفتنة في زمنه، فكيف يكون ما وقع الناس في أمره هو نفسه عالِماً بالقرآن؟! فينحصر فهم الموضوع في أنه كان يقصد من رآه يتعلم القرآن بين يدي رسول الله (ص) وهو علي بن أبي طالب (ع).

وكلامه هذا كان زمن ما سُمي بالفتنة في عهد عثمان، وقد توفي أُبيّ بن كعب زمن خلافة عثمان، أي أنه شاهدَ ما آلَ إليه وضع المسلمين بعد تخليهم عن وصية رسول الله (ص).

الخامس: كان أبي بن كعب من الذين خالفوا الخليفة الثاني فيما ذهب إليه من تحريم ما ورد في قوله تعالى: (... وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا

---

[266] المستدرك على الصحيحين ج 3 ص 303.

بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً...)[267]، وأقاموا على تحليلها إلى أن مضوا لسبيلهم: عبد الله بن عباس، وأبي بن كعب، وعمران بن حصين، وسعيد بن جبير[268]. وفي ذلك دلالة على قوة فهمه للقرآن الكريم هو ومن ذُكِرَ من أقرانه.

وزبدة القول أن الدلائل القوية تدلُّ على استنكاره لما حصل بعد وفاة رسول الله (ص) من أحداث، ولا يُستبعَد أن يكون موالياً لأهل البيت (ع) في قلبه وكان أميناً على القرآن، نقله كما تعلّمه من رسول الله (ص). لكنه لم يقرأ على علي بن أبي طالب (ع)، فوضعنا اسمه في هذه المدرسة.

2 – الصحابي أبو الدرداء الأنصاري (ت 32 هـ)، قيل أنه أحد الذين جمعوا القرآن على عهد النبي (ص)[269]. ولاّه معاوية بن أبي سفيان قضاء دمشق بأمرٍ من عمر بن الخطاب. واصبح مقرأ دمشق في خلافة عثمان[270].

3 – الصحابي عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية (ت 35 هـ). الخليفة الثالث بعد وفاة النبي (ص). كان تاجراً في الجاهلية، وتعلّم التجارة

---

[267] سورة النساء: الآية 24.

[268] المسائل السروية – الشيخ المفيد ص 32.

[269] سير أعلام النبلاء ج 2 ص 336.

[270] سير أعلام النبلاء ج 2 ص 336.

من أبيه، وكان من رجالات بني أمية الذين كانت لهم مكانة في قريش قبل الإسلام.

بداية إختلاف القراءات:

أُرجع السبب في اختلاف القراءات القرآنية إلى اختلاف اللهجات واللغات عند العرب، ولكن نظرة متأنية للقبائل العربية زمن النبي (ص) ولغاتها تشير إلى أن لغات العرب لم تكن متفاوتة إلى ذلك الحد. نعم كانت هناك لهجات لقبائل تختلف في الإمالة، والإشمام، والتخفيف عند التقاء الهمزتين، ونحوها. لكن لا تقتضي أن توصف بتعدد اللغات، أو على أنها سبعة أحرف كما قيل.

والظاهر أن اختلاف القراءات بدأت بالظهور في تلك الفترة الزمنية، وتجذرت وتطورت في النصف الثاني من القرن الهجري الأول. ذكر كتاب (القراءات) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ) أسماء من نُقلت عنهم القراءات، فمن المهاجرين: "سالم مولى حذيفة (ت 12 هـ)، وأبو بكر (ت 13 هـ)، وعمر بن الخطاب (ت 23 هـ)، وابن مسعود (ت 32 هـ)، وعثمان بن عفان (ت 35 هـ)، وحذيفة (ت 35 هـ) ، وطلحة (ت 36 هـ)"[271].

وذكرَ آخرين توفوا لاحقاً. ثم ساقَ أسم علي بن أبي طالب (ت 40 هـ) ضمنهم! علماً أن قراءته كانت الأصل ولم تكن لتختلف عن قراءة

[271] النشر في القراءات العشر ج 1 ص 6.

رسول الله (ص)، فهي لا تعدُّ قراءة منفردة! و"من الأنصار: أُبي بن كعب (ت 20 هـ)، وأبو الدرداء (ت 32 هـ)، ومعاذ بن جبل (ت 33 هـ) ..."[272].

وبعث عثمان بن عفان (ت 35 هـ) أيام خلافته، إلى كل مصر من الأمصار، مصحفاً من المصاحف الموحدة ومقرِئاً خاصاً يُقرئ الناس، لأن الأصل في تعليم القرآن الكريم هو السماع والمشافهة، ولذلك كان العلمُ في القراءة هو التعلم على استاذ يُقرئ التلاميذ. وكان ذلك في حدود سنة 30 للهجرة كما ورد عن السجستاني (ت 316 هـ)[273] وهم:

1 – عبد الله بن السائب المخزومي (ت حدود 70 هـ) إلى مكة.

2 – أبو عبد الرحمن السُلمي (ت 73 هـ) إلى الكوفة. وكان عمر بن الخطاب قد بعث ابن مسعود من قبله إلى الكوفة لتولي القضاء وبيت المال.

3 – عامر بن عبد قيس (ت 55 هـ) إلى البصرة.

4 – المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت بعد سنة 70 هـ) إلى الشام.

5 – زيد بن ثابت (ت 45 هـ) عينه مقرءاً في المدينة.

وفي نهاية عصر التابعين تفرغت مجموعة من الناس للقراءة، وضبط التلاوة "فصاروا أئمة يُقتدى بهم ويُرحل إليهم"[274]. و"رُويَ عن أبي

---

[272] النشر ج 1 ص 6.

[273] المصاحف – السجستاني ج 1 ص 205.

[274] النشر ج 1 ص 8.

عمرو قوله عندما سأله الأصمعي عن آيتين متماثلتين خطأً وهما: (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ)[275]، و(وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ)[276] كيف يُعرف نطقهما؟ فقال: ما يعرف ذلك إلا أن يسمع من المشايخ الأولين"[277].

وكان الرسم القرآني أنذاك خالياً من النقط، ومجرداً من الحركات أو الشكل.

الفترة الثالثة: عهد أئمة الهدى: الحسن، والحسين، والسجاد (ع)

تشمل تلك الفترة: القراءة القرآنية زمن أئمة أهل البيت: الحسن بن علي، والحسين بن علي، والسجاد علي بن الحسين (عليهم السلام): (من سنة 40 هـ لحد سنة 95 هـ). كانت فترة إنتقالية في مدرسة الخلفاء بين الصحابة الذين رؤوا النبي (ص) وقراؤا عليه القرآن وبين الطبقة الأولى من التابعين الذين تعلموا قراءة القرآن ممن صحب رسول الله (ص). أما القراءة في مدرسة أهل البيت (ع) فقد استمرت كما هي نقلاً عن علي (ع) عن رسول الله (ص) عن الوحي.

---

[275] سورة الصافات: الآية 108.

[276] سورة الصافات: الآية 113.

[277] السبعة في القراءات – ابن مجاهد ص 48.

مدرسة أهل البيت (ع):

وفيهم من أعلام الصحابة والتابعين الذين تعلّموا على النبي (ص)، وعلى علي بن أبي طالب (ع)، وأعلنوا ولاءهم لأهل البيت (ع)، بل استشهد بعضهم في واقعة الطف مع الإمام الحسين الشهيد (ع) سنة 61 هـ، ومنهم:

1 – الصحابي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم (ت 68 هـ)، حبر الأمة وتُرجمان القرآن. تولى إمارة البصرة في عهد الإمام علي (ع)، وتعلم التفسير والقراءة منه (ع). وله أقوال كثيرة في فضائل أهل البيت (ع)، وكان من رواة حديث الغدير، حيث فسره بالخلافة والوصاية بعد النبي (ص). كفَّ بصره بعد واقعة الطف سنة 61 هـ لكثرة بكائه على الحسين (ع) وأصحابه، وتوفي سنة 68 هـ.

قال ابن عباس: " جلَّ ما تعلمتُ من التفسير من علي بن أبي طالب (ع). وقال: عليٌّ (ع) عَلِمَ علماً علّمه رسول الله (ص)، ورسول الله (ص) علّمه الله تعالى. فعلم النبي (ص) من علم الله تعالى، وعلم علي (ع) من علم النبي (ص)، وعلمي من علم علي (ع). وما علمي وعلم أصحاب محمد (ص) في علم علي بن أبي طالب (ع) إلا كقطرةٍ في سبعة أبحر"[278]. وقال: "أعطي علي (ع) تسعة أعشار العلم، وإنه لأعلمهم

[278] بحار الأنوار ج 89 ص 105 – 106.

بالعُشر الباقي"[279]. وكانت الصحابة ترجع إلى علي (ع) في أحكام الكتاب، وتأخذ عنه القراءة القرآنية.

2 – التابعي أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ)، اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني. قرأ القرآن على عثمان وعلي (ع) كما قال أبو عمر الداني[280]. وكان فقيهاً شاعراً قاضياً بالبصرة، وكان من أصحاب علي (ع)، ومن أصحاب الحسن والحسين والسجاد (عليهم السلام). وهو من سادات التابعين، عالِمٌ في النحو وآداب العربية، تعلم على يد الإمام علي (ع)[281]، ووضع النقاط على الحروف بأمرٍ من أمير المؤمنين (ع). وُلِدَ قبل البعثة وآمن بالإسلام لكنه لم يرَ النبي (ص) فُعدَّ في طبقات التابعين. صحب الإمام أمير المؤمنين (ع)، حيث ولاّه إمارة البصرة في خلافته، وشهد معه حروب الجمل وصفين والنهروان.

ووضع قواعد النحو: باب الفاعل والمفعول به، والمضاف والمضاف إليه، وحروف النصب والرفع والجر والجزم[282].

قرأ عليه: نصر بن عاصم الليثي، وولده أبو حرب، وحمران بن أعين، ويحيى بن يعمر[283].

---

[279] الإستيعاب ج 2 ص 462.

[280] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 82.

[281] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 82.

[282] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 83.

[283] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 82.

و"كان أبو الأسود من المتحققين بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ومحبته، وصحبته، ومحبة ولده"[284]. وفي (الكنى والألقاب) قال الشيخ القمي (ت 1359 هـ): "أبو الأسود الدؤلي: أحد الفضلاء الفصحاء من الطبقة الأولى من شعراء الإسلام وشيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)"[285]. توفي عن (85) عاماً.

وسوف نعود إلى ترجمته في بحوث رسم القرآن بإذنه تعالى.

3 – الصحابي أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُلمي (ت 73 هـ): من الموالين لأهل البيت (ع)، قرأ القرآن على الإمام أمير المؤمنين (ع). كما قرأ على آخرين، حسبما ذكره الذهبي (ت 748 هـ). فقال أن "أبا هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وعبد الله بن عياش، وأبا عالية الرياحي قرؤوا على أُبي بن كعب. وأن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي قرأ على عثمان، وأن الأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس أخذا القراءة عَرْضاً عن ابن مسعود، وأن أبا عبد الرحمن السلمي عرض على عثمان، وعلي (ع)، وابن مسعود"[286].

وقد قرأ أبو عبد الرحمن على عليّ بن أبي طالب (ع)، ونفى أن يكون قد قرأ على عثمان بن عفان كما سيأتي بإذنه تعالى.

---

[284] إنباه الرواة – القفطي ج 1 ص 39 – 50.

[285] الكُنى والألقاب – القمي ج 1 ص 43.

[286] معرفة القراء ج 1 ص 2.

4 – التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت 83 هـ). سمع القرآن من صحابة الأنصار حتى أتقن قراءته، " قال بشر بن الوليد: سمعتُ القاضي أبا يوسف يقول: ما ولي القضاءَ أحدٌ أفقه في دين الله، ولا أقرأ لكتاب الله، ولا أقوَل حقاً بالله، ولا أعفَّ عن الأموال من ابن أبي ليلى"[287].

قرأ على علقمة بن قيس[288]، الذي قرأ على عبد الله بن مسعود، الذي قرأ على رسول الله (ص) وعلي بن أبي طالب (ع).

صحب عبدُ الرحمن بن أبي ليلى الإمامَ علي بن أبي طالب (ع)، وسكن الكوفة[289]. قال ابن خلكان (ت 681 هـ): "وشهد وقعة الجمل، وكانت راية علي بن أبي طالب (ع) معه"[290].

ولما استقرت الأمور لبني أموية، واستعملوا الحجاج بن يوسف الثقفي (ت 95 هـ) والياً على العراق، أراد الحجاج استعمال ابن أبي ليلى على القضاء، لكنه تراجع، وضربه نكايةً له لصحبته علي بن أبي طالب (ع)، وحاول إجباره على سبّ عليّ. ولم يشفعه حفظه للقرآن الكريم، ولم يسعفه كونه أحد أئمة القراء!

قال في (الطبقات الكبرى): " لما قدم الحجاج أراد أن يستعمل عبد الرحمن بن أبي ليلى على القضاء، فقال له حوشب إن كنت تريد أن تبعث علي بن أبي طالب على القضاء فافعل! قال: أخبرنا قبيصة، عن عقبة

---

[287] سير أعلام النبلاء ج 6 ص 313.

[288] سير أعلام النبلاء ج 6 ص 311.

[289] سير أعلام النبلاء ج 6 ص 311.

[290] وفيات الأعيان – ابن خلكان ج 3 ص 126.

قال: حدثنا همام بن عبد الله التيمي قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى مضروباً، عليه سراويل أفواف[291]، ضربه الحجاج...

حدثنا الأعمش قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وقد أوقفه الحجاج، وقال له: إلعن الكذابين: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد. قال: فقال عبد الرحمن: لعن الله الكذابين. ابتدأ فقال [أي توقف ثم قال]: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير، والمختار بن أبي عبيد. قال الأعمش: فعلمتُ أنه حين ابتدأ فرفعهم لم يلعنهم.

قال: أخبرنا أبو معاوية الضرير قال: حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه كان إذا سمعهم يذكرون علياً (ع) وما يحدثون عنه قال: قد جالسنا علياً (ع) وصحبناه، فلم نره يقول شيئاً مما يقول هؤلاء، أو لا يكفي علياً (ع) أنه ابن عم رسول الله (ص) وختنه على ابنته، وأبو حسن وحسين، شهد بدراً، والحديبية"[292].

وبسبب ولائه لأمير المؤمنين علي (ع) فقد قدحوه بضعفه في الحديث، "قال أحمد: كان يحيى بن سعيد يضعّف ابن أبي ليلى. قال أحمد: كان سيء الحفظ، مضطرب الحديث، وكان فقهه أحب إلينا من

---

[291] أفواف: جمع فَوْف، وهو القطن أو الثياب الرقاق من أثواب اليمن (لسان العرب ج 11 ص 240).

[292] الطبقات الكبرى ج 6 ص 112.

حديثه"[293]. ومغزى كلامهم واضح، وهو أنهم كانوا لا يحبون ولاءه لعلي بن أبي طالب (ع).

ومن أخباره أنه عندما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (ت 83 هـ) على الحجاج، صحبه ابن أبي ليلى[294] حتى قُتل معه في واقعة دير الجماجم سنة 83 هـ[295].

5 – الصحابي عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي (ت 61 هـ) رأى النبي (ص)، وأخلص في موالاته لأمير المؤمنين (ع). علّمه علي بن أبي طالب (ع) " القرآن ورباه " [296].

والذي يهمنا في البحث أنه قرأ القرآن على علي أمير المؤمنين (ع)، وكان صادقاً في ولائه وقرائته، وذكْرُ سيرته يؤكد صدْقه، ومن ذلك ما ذكره ابن حجر (ت 852 هـ) في الإصابة قائلاً: "ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاة أنه أحد النفر الذين شهدوا بيعة الغدير في الرحبة، وسمع رسول الله (ص) يقول: (ألا إن الله عزوجل وليي، وأنا ولي المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وأعنْ من أعانه)[297].

---

[293] سير أعلام النبلاء ج 6 ص 311.

[294] الطبقات الكبرى ج 6 ص 112.

[295] سير أعلام النبلاء ج 12 ص 321.

[296] الحدائق الوردية ص 122 .

[297] اليقين – ابن طاووس ص 352.

ولما نشد علي (ع) الناس في الرحبة من سمع النبي (ص) يقول يوم غدير خم ما قال. فقام بضعة عشر رجلاً منهم: أبو أيوب الأنصاري، وأبو عمرة بن محصن، وأبو زينب، وسهل بن حنيف، وخزيمة بن ثابت، وعبد الله بن ثابت، وحبش بن جنادة السلولي، وعبيد الله بن عازب، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وثابت بن وديعة الأنصاري، وعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري، فقالوا: نشهد إنا سمعنا رسول الله (ص) يقول: كما تقدم"[298]. فكان عبد الرحمن بن عبد ربه أحد المؤمنين الصادقين الذين نصروا الله تعالى ورسوله (ص) بقولة الحق في علي بن أبي طالب (ع). إستشهد هذا القارئ الجليل مع الإمام الحسين (ع) في كربلاء سنة 61 هـ.

لم يرد ذكره في أئمة القراء، لولائه لأهل البيت (ع) واستشهاده معهم (ع).

6 – الصحابي حبيب بن مظاهر بن رئاب بن الأشتر الأسدي (ت 61 هـ). أختص بأمير المؤمنين علي (ع) وتتلمذ على يديه، ولازمه في سلمه وحروبه كلها، وكان من حملة علومه (ع). كان سيد القرّاء في الكوفة حافظاً للقرآن كله. ذكره الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) في رجاله من أصحاب الإمام علي (ع)[299]، وعدّه أيضاً من أصحاب الإمام الحسن

---

[298] الإصابة ج 4 ص 276 –277.

[299] رجال الشيخ الطوسي ص 60.

(ع)[300]، من غير توصيف بالأسدي. ذكره البرقي (ت 274 هـ) من أصحاب أمير المؤمنين علي (ع) ومن شرطة خميسه[301]. صحب علياً (ع) في جميع حروبه وكان من خاصته، ومن أصفياء أصحابه وحملة علومه.

ومع أنه كان سيد القرّاء في الكوفة، وقد تعلّم القراءة من الإمام أمير المؤمنين علي (ع)، إلا أنه لم يُذكر في أئمة قرّاء القرآن الكريم.

استشهد مع الإمام الحسين (ع) في كربلاء سنة 61 هـ وكان له من العمر 75 عاماً.

7 – التابعي كنانة بن عتيق التغلبي (ت 61 هـ)، من قراء الكوفة، وعبّادها. قيل أنه شهد أحداً هو وأبوه (عتيق) فارس رسول الله (ص)، وقد ذكره ابن عقدة في تاريخه. ولم أجد فيما لدي من مصادر مصدراً يوثق ذلك. والظاهر أنه تتلمذ على يدي علي (ع)، ولا دليل روائي على قرائته القرآن على علي أمير المؤمنين (ع). ولكن من المؤكد أن كنانة بن عتيق كان " من أصحاب الإمام الحسين (ع) قتل معه في كربلاء "[302].

عدّه الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) من رجاله[303]. ذُكِرَ في زيارة الحسين (ع) الرجبية: (السلام على كنانة بن عتيق)[304].

---

[300] رجال الشيخ الطوسي ص 93.

[301] التحرير الطاووسي ص 178.

[302] رجال الشيخ الطوسي ص 104 رقم 1031.

[303] رجال الطوسي ص 104.

لم يذكر في أسماء أئمة القراء.

8 – التابعي برير بن خضير الهمداني (ت 61 هـ)، كان من شيوخ قراء القرآن في جامع الكوفة، ومن تلامذة الإمام أمير المؤمنين علي (ع)، ومن أشراف أهل الكوفة. لم يرَ النبي (ص) لسببٍ من الأسباب، مع أنه قد قارب الأربعين عند وفاته (ص)، ولذلك عُدّ من التابعين.

قال برير للإمام الحسين (ع) ليلة عاشوراء وقد أذن لهم بالذهاب: "والله يابن رسول الله لقد منَّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، تُقطع فيك أعضاؤنا، حتى يكون جدك يوم القيامة بين أيدينا شفيعاً لنا، فلا أفلح قومٌ ضيعوا ابن بنت نبيهم، وويلٌ لهم ماذا يلقون به الله، وأُفٍّ لهم يوم ينادون بالويل والثبور في نار جهنم"[305].

قُتل مع الحسين (ع) وله تسعون سنة في واقعة الطف سنة 61 هـ. قتله – على كبر سنّه (رض) – جندي من جنود عبيد الله بن زياد اسمه كعب بن جابر الأزدي، فلما رجع كعب إلى الكوفة بعد المعركة قالت له أخته النوار بنت جابر: أعنتَ على ابن فاطمة (ع)، وقتلتَ سيد القرّاء، لقد أتيتَ عظيماً من الأمر، والله لا أكلمك من رأسي كلمة أبداً"[306].

---

[304] بحار الأنوار ج 98 ص 273.

[305] اللهوف في قتلى الطفوف – ابن طاووس ص 48.

[306] مقتل الحسين (ع) – أبو مخنف ص 129.

كان برير سيد القرّاء في مسجد الكوفة، لكنه لم يُذكر في أسماء أئمة قرّاء القرآن الكريم!

9 – التابعي نافع بن هلال الجملي المرادي (ت 61 هـ)، كان "نافع سيداً شريفاً شجاعاً، وكان قارئاً [للقرآن]، كاتباً من حملة الحديث، ومن أصحاب أمير المؤمنين (ع)[307]، وحضر معه في حروبه الثلاثة في العراق، وخرج إلى الحسين (ع)، قاتل معه (ع) في كربلاء حتى كُسرت عضداه وأُخذ أسيراً ثم قُتل صبراً"[308]. ورد اسمه في زيارة الناحية: السلام على نافع بن هلال الجملي المرادي[309].

10 – نصر بن عاصم الليثي البصري (ت 89 هـ)، كان فقيهاً، فصيحاً، عالِماً بالعربية. ذُكر فيمن قرأ القرآن الكريم. وهو من تلامذة أبي الأسود الدؤلي الكناني (ت 69 هـ) الذي أخذ منه وضع النقاط على الحروف في اللغة العربية.

كان نصر بن عاصم الليثي قارئاً في البصرة، وله تلامذة منهم: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأبو عمرو بن العلاء، وغيرهم.

---

[307] شرح الأخبار – القاضي النعمان ج 3 ص 247.

[308] الأعلام – الزركلي ج 8 ص 6.

[309] المزار – الشهيد الأول ص 151.

نُسِبَ إليه وضع علم النحو[310]، وتنقيط المصحف، ولكن التحقيق أن أستاذه أبو الأسود الدؤلي أخذ علم رسم المصحف من الإمام أمير المؤمنين (ع). فسنده يرجع إلى علي (ع).

11 – التابعي سعيد بن جبير الأسدي (ت 95 هـ) القارئ، الحافظ، المفسِّر، درس القرآن والعلم (الفقه والتفسير والحديث) على عبد الله بن عباس وآخرين في المدينة. سكن الكوفة، ونشر العلم فيها. وكان مؤمناً، موالياً لأهل البيت (ع)، وعن "القاسم الأعرج قال: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش[311].

وصفه الشيخ المفيد (ت 413 هـ) بالقول: "سعيد بن جُبير الوالبي، مولاهم الكوفي، المقرئ الفقيه، أحد الأعلام، سمع من ابن عباس، وعدي بن حاتم"[312].

روى عن أبي عبد الرحمن السلمي (ت 74 هـ)، وقرأ عليه أبو عمر بن العلاء وطائفة، وكان يُقيم الليل، ويكثر من الصيام، وربما ختم قراءة القرآن في أقل من ثلاثة أيام[313]. قتله الحجاج بن يوسف الثقفي.

نذكر جزءً من الحوار الذي دار بينهما قبل استشهاده، ليتبين لنا مدى علاقة سعيد بن جبير بالقرآن الكريم، وبفهمه لمعانيه:

---

[310] البداية والنهاية ج 8 ص 343.

[311] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 333.

[312] المسائل الصاغانية – الشيخ المفيد ص 37.

[313] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 322.

الحجاج: ما اسمك؟

سعيد: سعيد بن جُبير.

الحجاج: بل أنت شقي بن كُسير.

سعيد: بل أمي كانت أعلم باسمي منك.

الحجاج: شقيتَ أنت، وشقيتْ أمك.

سعيد: الغيب يعلمه غيرك.

الحجاج: لأبدلنّك بالدنيا ناراً تلظى.

سعيد: لو علمتُ أن ذلك بيدك لأتخذتك إلهاً.

الحجاج: ما قولك في محمد؟

سعيد: نبي الرحمة وإمام الهدى.

الحجاج: فما قولك في علي بن أبي طالب، أهو في الجنة أم في النار؟

سعيد: لو دخلتها فرأيتُ أهلها لعرفت.

الحجاج: فما قولك في الخلفاء؟

سعيد: لست عليهم بوكيل.

الحجاج: فأيهم أعجب إليك؟

سعيد: أرضاهم لخالقي.

الحجاج: فأيهم أرضى للخالق؟

سعيد: علم ذلك عنده.

الحجاج: أبيتَ أن تَصْدُقَنِي؟

سعيد: إني لم أحب أن أكذبك.

الحجاج: ويلك يا سعيد!

سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

الحجاج: أي قتلة تريد أن أقتلك؟

سعيد: إختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلتك قتلة في الآخرة.

الحجاج: أتريد أن أعفو عنك؟

سعيد: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عُذر.

الحجاج: اذهبوا به فاقتلوه.

فلما خرجوا ليقتلوه بكى ابنه وصديق له، فقال لهم: فلا تبكوا. كان في علم الله أن يكون هذا، ثم تلا: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)[314].

الحجاج: اقتلوه.

سعيد: (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[315].

الحجاج: وجهوه لغير القبلة.

سعيد: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ...)[316].

الحجاج: كبوه على وجهه.

---

[314] سورة الحديد: الآية 22.

[315] سورة الأنعام: الآية 79.

[316] سورة البقرة: الآية 115.

سعيد: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ)[317]، مات[318] شهيداً والقرآن رطبٌ على لسانه.

الدلالات المستخلَصة من قراءة مدرسة أهل البيت (ع):

ويمكن استخلاص مجموعة من الدلالات من خلال ملاحظة من قرأ على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مباشرة أو بواسطة تلامذته، منها:

أولاً: يُلحظ مما ذكرنا ومما سيأتي في هذه الموسوعة بإذنه تعالى أن القراءات المختلفة – غير الشاذة – لها منشأ لغوي وقرآني. وحتى لو افترضنا وجود خلافٍ يسيرٍ في القراءات، فإنها لا تتعدى لهجات القبائل العربية كالإدغام، والإمالة، والإختلاس، والترقيق والتفخيم، ونحوها، أو استناد بعض القرّاء إلى دليل قرآني في القراءة. وهذا يعني أن القرآن كتاب سماوي يمكن أن يُقرأ وربما يُفسر بأساليب متعددة. وهذا لون من ألوان الإعجاز في القرآن المجيد. وما عارضه أئمة أهل البيت (ع) هو القراءات الشاذة في الإبدال والزيادة والنقصان التي تفضي إلى تغيير المعنى.

ثانياً: أن السؤال المهم الذي نحاول الإجابة عليه من خلال البحث هو: هل يمكن لتلميذ عليٍّ (ع) الثقة الصادق أن يتعلم القرآن منه (ع) وهو لا يؤمن بولايته (ع) ؟ بمعنى: هل هناك تلازمٌ بين القراءة القرآنية على علي

---

[317] سورة طه: الآية 55.

[318] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 330 – 333.

(ع) وبين الولاية له (ع) ؟ وبتعبير ثالث: هل يمكن للتلميذ أن يتعلم قراءة عليٍّ (ع) ويصرُّ على نصب العداء له (ع) ؟

والجواب على ذلك: أنه غير ممكن. أي أن الذي يقرأ على عليٍّ (ع)، مدة طويلة غالباً بحيث تستوعب قراؤته ما بين الدفتين عمراً، لابد وأن يسمع منه (ع) معاني الدين وأهداف القرآن في الحياة، ويسمع منه أيضاً طبيعة الملازمة بين القرآن الكريم وأهل البيت (ع)، وإلا فلا أمير المؤمنين (ع) يسمح بأن يهدر وقته بتلك الطريقة، ولا التلميذ نفسه يبقى حجارة صماء لا تتحرك.

نضرب مثلاً تقريبياً إلى ما نريد من معنى، وهو خبر البصري عندما جاء إلى الإمام الصادق (ع) طالباً العلم بعد أن بلغ عمره التسعين ونيفاً، وكان تلميذاً عند مالك بن أنس. قال له الإمام الصادق (ع): (ليس العلمُ بالتعلم، إنما هو نورٌ يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يُفهمك...)[319]. وحقيقة العبودية أن يكون متقياً لا يرى لنفسه أمام الله شيئاً.

فالذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع) القرآن، وكان في نفسه طالباً حقيقة العبودية لله، وطالباً علم القرآن كي يُعلّم الناس القراءة الصحيحة، وكان يدعو الله تعالى بأن يفتح قلبه للمعرفة القرآنية لابد وأن

---

[319] بحار الأنوار ج 1 ص225.

يفتح الله عليه أبواب العلم القرآني، وينقذه من الوحول في وحل القراءات الشاذة.

ثالثاً: من الضروري أن نركّز على الحد الأدنى لشخصية المتعلِّم على يد الإمام أمير المؤمنين (ع)، وهي الوثوق منه بعدم تحريف قراءة القرآن. فالقراءة الصحيحة قد لا تكون متلازمة أحياناً مع الموالاة الظاهرية. لكننا نلحظ أن أغلب من قرأ القرآن على الإمام علي (ع) كان موالياً لأهل البيت (ع)، بحده الأدنى وهو القلب دون اللسان.

رابعاً: كان الاختلاف في القراءات أمراً اجتهادياً من قبل القرّاء، ولم يكن أمراً توقيفياً. ولو كان أمرأ من النبي (ص) لكتبه الإمام علي بن أبي طالب (ع) على هامش مصحفه كما كتب الناسخ والمنسوخ، وموارد النزول. وهذا يدلُّ على أن القراءات المتباينة قد أستحدثت تدريجياً فيما بعد أي في منتصف القرن الأول، واستفحل أمرها في القرن الثاني الهجري.

مدرسة الخلفاء:

ومنهم:

1 – الصحابي أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري (ت 44 هـ). ولاّه عمر بن الخطاب على البصرة، وولاّه عثمان بن عفان على الكوفة. عزله الإمام علي (ع) عن ولاية الكوفة. حفظ أبو موسى الأشعري القرآن، وقرأه

على النبي (ص)[320]. أنضمّ إلى علي بن أبي طالب (ع) بعد مقتل عثمان، ثم أُختير ليكون أحد الحكمين في صفين.

2 – الصحابي زيد بن ثابت بن ضحاك الأنصاري (ت 45 هـ). رأى النبي (ص) وهو صغير السن، وشارك في بدر وأحد وبقية المشاهد. قيل أنه كان أحد النفر الذين جمعوا القرآن كما ورد عن أنس: "جمع القرآن على عهد النبي (ص) أربعة كلهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وزيد بن ثابت"[321].

كان زيد يحب عثمان بن عفان ولم يشهد مع علي بن أبي طالب (ع) شيئاً من حروبه ضد معاوية وأهل الشام، إلا أن ذلك لم يمنعه من إظهار مكانة علي (ع)، فهو يرى أفضليته على غيره، ويُظهر حبه، قال ابن عبد البر (ت 463 هـ): "كان عثمان يحب زيد بن ثابت، وكان زيد عثمانياً، ولم يكن فيمن شهد شيئاً من مشاهد علي (ع) مع الأنصار، وكان مع ذلك يفضّل علياً (ع)، ويُظهر حبه"[322].

3 – ومما نُقل عنهم القراءة من المهاجرين: سعد بن زيد القرشي (ت 51 هـ)، وعمرو بن العاص (ت 58 هـ)، وأبو هريرة (ت 59 هـ)، ومعاوية بن أبي سفيان (60 هـ)، وعبد الله بن عمر (ت 63 هـ)، وعبد الله بن عمرو

---

[320] سير أعلام النبلاء ج 2 ص 381

[321] صحيح البخاري ج 9 ص 384.

[322] الإستيعاب ج 1 ص 160.

بن العاص (ت 65 هـ)، وعبد الله بن الزبير (ت 73 هـ)، وحفصة (ت 45 هـ)، وعائشة (ت 58 هـ)، وأم سلمة (ت 62 هـ). ومن الأنصار مجمع بن جارية، وأبو زيد، وأنس بن مالك (ت 91 هـ)[323].

4 – ثم أقبل نفر من الأمصار الخمسة: المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام على المصحف العثماني رسماً، وقراءته وفقاً لما تعلموه من أساتيذهم في القراءة، فكانوا، ولا نكرر من ذكرنا اسمه سابقاً:

أولاً: في المدينة: معاذ بن الحارث (ت 63 هـ)، وسعيد بن المسيب (ت 94 هـ)، وعروة بن الزبير (ت 95 هـ).

ثانياً: في مكة: عُبيد بن عُميرات (ت 74 هـ).

ثالثاً: في الكوفة: عمر بن شرحبيل[324] (ت بعد 60 هـ)، وعلقمة بن قيس (ت 62 هـ)، ومسروق بن الأجدع (ت 63 هـ)، وعبيد بن عمرو السلماني (ت 72 هـ)، والأسود بن يزيد النخعي (ت 75 هـ)، وعمرو بن ميمون (ت 75 هـ)، وعبيد بن نضلة (ت حدود 75 هـ)، وزر بن حبيش (ت 82 هـ)، والربيع بن خيثم (ت قبل 90 هـ).

رابعاً: في البصرة: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت 90 هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (ت 90 هـ).

خامساً: في الشام: المخزومي (ت بعد سنة 70 هـ)[325].

---

[323] النشر في القراءات العشر ج 1 ص 6.

[324] عمر بن شرحبيل، أبو ميسرة تابعي. ذكره الشهيد الثاني: مجهول (معجم رجال الحديث – السيد الخوئي ج 14 ص 45).

[325] النشر في القراءات العشر ج 1 ص 8.

أسباب إهمال ذكر القراء الموالين لأهل البيت (ع):

لم تذكر المصادر الحديثية الموالية للدولة الأموية أن من أصحاب الإمام الحسين (ع)، ممن استشهدَ معه في عاشوراء سنة 61 هـ، كانوا من سادة القرّاء وأئمتهم. وربما كان لإهمال ذكر القرّاء الموالين لأهل البيت (ع) أسباب، منها:

الأول: أنهم كانوا موالين لأهل البيت (ع)، فذكْرِهم في قراءة القرآن لا تنفع تلك السياسة التي أرادت تفكيك حديث الثقلين، أي عزل أهل البيت (ع) عن القرآن عزلاً عقلياً عند المسلمين.

الثاني: أن قراءة الموالين لأهل البيت (ع) للقرآن لم تكن من القراءات الشاذة المنهي عنها. فكان يكفي لقارئ من شيعة أهل البيت (ع) أن يُقال له: كان قارئاً للقرآن، لأنه لم يكن هناك اختلاف جوهري في قراءة أتباع أهل البيت (ع).

خصوصاً وإنّ الإمام الصادق (ع) كان قد أصابَ بضرسٍ قاطعٍ تأويلات تعدد الأحرف في القرآن، فقال (ع): (كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد)[326]، فكان ذلك الحديث درعاً حصيناً لحفظ القرآن الكريم من أسنّة القراءات الشاذة.

الثالث: أن اختلاف القراءات في مدرسة الخلفاء كان في جزءٍ منها أنهم كانوا يجتهدون في القراءة ولم يكن لهم مرجِعٌ يرجعون إليه، كما هو الحال في أئمة أهل البيت (ع) الذين كانوا هم المرجع بعد رسول الله (ص) في

---

[326] الكافي ج 2 ص 630.

من والاهم، وأمتدت في حياتهم (ع) السنّة النبوية الشريفة لأنهم نقلوها إلى الأمة بعد وفاة النبي (ص).

الرابع: من خلال إستقراء الحوادث التاريخية، يبدو أن حادثة الطف ومقتل الحسين (ع) سنة 61 هـ عجّلت من انتهاج سياسة جديدة من قبل الأمويين تقوم على أساس إشغال المسلمين بالقراءات القرآنية المتباينة، وإبعادهم عن الإلتزام بأهل البيت (ع). فاصبح للقراءات القرآنية أئمة يُعترف بهم مقابل أئمة أهل البيت (ع).

وأصبح الذوق الإجتماعي العام يستسيغ قراءات متعددة للقرآن الكريم، وتأويلات لم تدرْ بخلدِ أحدٍ من قبل، مثل التقديم والتأخير في كلمات القرآن، كما سيأتي بإذنه تعالى. فكان من نصيب قرّاء أهل البيت (ع) الإهمال.

الفترة الرابعة: عهد الإمامين الباقر والصادق (ع)

تلك الفترة تشمل: القراءة القرآنية زمن الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق (عليهما السلام): (من سنة 95 هـ – 148 هـ). إزداد عدد قرّاء القرآن في كلتا المدرستين. وقام الإمامان الصادقان (ع) بدور مهم في تثبيت القراءة الصحيحة عن رسول الله (ص) عبر تلامذتهما (ع).

مدرسة أهل البيت (ع):

وكانت مدرسة أهل البيت (ع) في قراءة القرآن من نهايات القرن الأول وحتى منتصف القرن الثاني الهجري غنيةٌ بالمقرئين، ومنهم:

1 – التابعي عطاء بن يسار (ت 103 هـ)، قتله الحجاج سنة 103 هـ وهو ابن 84 سنة. قال "أبو داود: سمع عطاء من ابن مسعود. روى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن أبا حازم قال: ما رأيتُ رجلاً كان ألزم لمسجد رسول الله (ص) من عطاء بن يسار"[327]. و"عطاء بن يسار: روى عن أبي جعفر الباقر (ع)..."[328]. وابن مسعود (ت 32 هـ) قرأ على رسول الله (ص)، وعلي بن أبي طالب (ع).

فيكون طريق قراءة عطاء بن يسار إلى أئمة أهل البيت (ع) بلا واسطة إلى الإمام الباقر (ع)، وبواسطة ابن مسعود إلى علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص) عن الوحي.

2 – التابعي طاووس بن كيسان (ت 106 هـ) من قرّاء القرآن، وكان من خواص ابن عباس[329]. عُرِفَ بزهده في الحياة، وجرأته في وعظ السلاطين. وسُمي بطاووس فإنما "لُقِّبَ به لأنه كان طاووس القرّاء"[330]. قال السيد الخوئي (ت 1413 هـ) في ترجمته: "طاووس بن كيسان: أبو عبد الرحمن اليماني من أصحاب الإمام السجاد (ع) " [331].

كان طاووس بن كيسان إذن من الموالين لأهل البيت (ع)، ويثبت ذلك أن أبا نعيم " أخرج بإسناده عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن

---

[327] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 449.

[328] معجم رجال الحديث ج 12 ص 160.

[329] وفيات الأعيان ج 2 ص 509.

[330] تذهيب تهذيب الكمال – الذهبي ج 4 ص 385.

[331] معجم رجال الحديث ج 9 ص 155.

طاووس، عن بريدة، عن النبي (ص) قال: (من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه). قال أبو نعيم: غريب من حديث طاووس، لم نكتبه إلا من هذا الوجه!"[332].

3 – التابعي عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (ت 117 هـ). أخذ القراءة عَرْضاً عن ابن عباس، وعبد الله بن عياش، وآخرين كأبي هريرة. وكان كاتباً للمصاحف. عن أبي النضر أن الأعرج كان أعلم الناس بأنساب قريش، وقيل أنه أخذ العربية عن أبي الأسود الدؤلي (ت 69 هـ) تلميذ الإمام أمير المؤمنين علي (ع). مات عبد الرحمن بن هرمز في مصر، وربما جاوز الثمانين.

طريقه في القراءة يرجع إلى أئمة أهل البيت (ع) بواسطة.

4 – عاصم بن أبي النجود (ت 127 هـ). قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب (ع)، وآخرين، عن النبي (ص).

ستأتي ترجمته ضمن أئمة القراءات في القرن الثاني.

5 – حمران بن أعين الشيباني (ت 130 هـ) من قرّاء القرآن المعروفين، ومن علماء اللغة والنحو، صحب الإمام السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام) وروى عنهم. وفي رسالة أبي غالب الرازي: "حمران بن أعين لقي سيدنا سيد العابدين علي بن الحسين (ع)، وكان حمران من أكبر مشايخ الشيعة المفضَّلين الذين لا يشك فيهم، فكان أحد حملة القرآن، ومن يُعدّ

---

[332] حلية الأولياء – أبو نعيم ج 4 ص 23.

ويذكر اسمه في كتب القرآن، وروي أنه قرأ على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام، وكان مع ذلك عالماً بالنحو واللغة"[333].

وعن الإمام الصادق (ع) قال فيه وفي رجل آخر: (ما وجدتُ أحداً أخذ بقولي، وأطاع أمري، وحذا حذو أصحاب آبائي غير رجلين رحمهما الله: عبد الله بن أبي يعفور، وحمران بن أعين، أما أنهما مؤمنانِ خالصانِ من شيعتنا، أسماؤهم عندنا في كتاب أصحاب اليمين الذي أعطى الله محمداً صلى الله عليه وآله)[334].

قال الذهبي (ت 748 هـ) في ترجمة حمران: "حمران بن أعين الكوفي، روى عن أبي الطفيل وغيره، وقرأ عليه حمزة، كان يتقن القرآن. قال أبو حاتم: شيخ، وقال أبو داود: رافضي"[335]. و"حمران بن أعين أخو زرارة ممدوح معظم"[336].

طريقه في القراءة يرجع إلى أهل البيت (ع) بدون واسطة.

6 – أبان بن تغلب الكوفي (ت 141 هـ)، من الثقات، أدرك الإمام السجاد والباقر والصادق (عليهم السلام)، وبلغ منزلة عظيمة عند الإمام الصادق[337]. تعلم قراءة القرآن على يد عاصم بن أبي النجود، وطلحة بن

---

[333] تاريخ آل زرارة – الزراري ص 103.

[334] إختيار معرفة الرجال – الكشي ج 2 ص 412.

[335] ميزان الإعتدال في نقد الرجال – الذهبي ج 1 ص 604.

[336] رجال ابن داود – ابن داود الحلي ص 85 رقم 528.

[337] رجال النجاشي ص 7 – 8.

مصرف، وسليمان الأعمش؛ وهو أحد الثلاثة الذين ختموا القرآن على الأعمش[338]. وكان من وجوه القراء وله قراءة خاصة مشهورة[339].

أقول: ربما قصد بالقراءة الخاصة المشهورة طريقة عذبة في تجويد القرآن الكريم، وليست طريقة مختلفة في الإدغام، والإمالة، والترقيق، والتفخيم، ونحوها.

ذكره الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) نقلاً عن "محمد بن موسى بن أبي مريم صاحب اللؤلؤ قائلاً: ما أحدٌ منه يقرأ القرآن"[340].

طريقه في القراءة يرجع إلى أهل البيت (ع) بواسطة عاصم بن أبي النجود.

7 – حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي (ت 156 هـ) كان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد (عاصم). وكان عابداً خاشعاً، مجوّداً القرآن. أخذ القراءة عن الإمام جعفر الصادق (ع) بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب (ع)، كما ورد في كتاب (التيسير والمستنير). وقراءة حمزة ينتهي سندها إلى علي بن أبي طالب (ع)، وعبد الله بن مسعود عن رسول الله (ص)[341].

طريقه في القراءة يرجع إلى أهل البيت (ع) بدون واسطة.

---

[338] غاية النهاية – ابن الجزري ج 4 ص 1. وبغية الوعاة ج 1 ص 404.

[339] رجال النجاشي ص 7– 8.

[340] الفهرست – الطوسي ص 7.

[341] راجع في ترجمته: معرفة القراء الكبار ج 1 ص 93، والنشر في القراءات العشر ج 1 ص 166، والأعلام ج 2 ص 308.

8 – علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189 هـ). لُقبّ بالكسائي لأنه أحرم في كساء. أخذ القراءة عن الإمام جعفر الصادق (ع) وعن آخرين[342]. قال عنه أبو بكر بن الأنباري: إجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالنحو، وأوحدهم في الغريب، وأوحد الناس في القرآن، فكانوا يكثرون عنده فيجمعهم ويجلس على كرسي، ويتلو القرآن من أوله إلى آخره[343].

طريقه في القراءة يرجع إلى أئمة أهل البيت (ع) بلا واسطة.

9 – أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي (ت 194 هـ)، وقيل الكاهلي الكوفي الخياط. كان زاهداً، عابداً، مقرئاً للقرآن، بل كان شيخ قراء الكوفة في زمنه. قيل أنه من مدرسة الخلفاء، إلا أن الدلائل تشير إلى محبته لأهل البيت (ع) وربما ولائه لهم (ع). روى عنه أحمد بن حنبل، وسفيان الثوري وغيرهم[344].

10 – قتيبة الأعشى (لم نعثر على تاريخ وفاته) من أصحاب الإمام الصادق (ع)، و"كان قارئا شيعياً من قراء الكوفة، من رواة أبي بكر بن عياش، وأبو بكر من رواة عاصم، ذكره النجاشي والشيخ ووثقوه"[345].

---

[342] تهذيب التهذيب ج 7 ص 313.

[343] راجع في ترجمته: معرفة القراء الكبار ج 1 ص 100، والنشر ج 1 ص 172، والأعلام ج 5 ص 94.

[344] رجال البرقي ص 43. معجم رجال الحديث ج 21 ص 67.

[345] من لا يحضره الفقيه – الصدوق ج 3 ص 179.

روى الحكم بن مسكين عن قتيبة الأعشى قال: قلتُ لأبي عبد الله (ع): "إني أقرأ القرآن فتُهدى إلي الهدية فأقبلها؟ قال (ع): (لا). قلتُ: إن لم أشارطه؟ قال (ع): (أرأيت إن لم تقرأه أكان يهدى لك؟)، قلتُ: لا. قال (ع): (فلا تقبله)[346]. وحمله الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) على الكراهة[347].

مدرسة الخلفاء:

في تلك الفترة كان النفر من القراء من الأمصار الخمسة:

1 – في المدينة: عمر بن عبد العزيز (ت 101 هـ)، وسالم بن عبد الله بن عمر (ت 106 هـ)، وسليمان بن يسار (ت 107 هـ)، ومسلم بن جندب (ت 110 هـ)، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت 124 هـ)، وزيد بن أسلم (ت 130 هـ)، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130 هـ)، ثم شيبة بن نصاح (ت 130 هـ)، ثم نافع بن أبي نُعيم (ت 169 هـ).

2 – في مكة: مجاهد بن جبر (ت 103 هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت 115 هـ)، وعبد الله بن أبي مُليكة (ت 117 هـ)، وعبد الله بن كثير (ت 120 هـ)، وحُميد بن قيس الأعرج (ت 130 هـ)، ومحمد بن محيصن (ت 123 هـ)، وعكرمة مولى ابن عباس (ت قبل 200 هـ).

3 – في الكوفة: إبراهيم بن يزيد النخعي (ت 96 هـ)، وعامر بن شراحبيل الشعبي (ت 105 هـ)، والحارث بن قيس الجعفي (روى عن ابن مسعود)،

---

[346] من لا يحضره الفقيه ج 3 ص 179.

[347] الإستبصار – الشيخ الطوسي ج 3 ص 66

وأبو زرعة بن عمرو بن جرير، ويحيى بن وثاب (ت 103 هـ)، وسليمان الأعمش (ت 148 هـ).

4 – في البصرة: أبو رجاء العطاردي (ت 105 هـ)، والحسن البصري (ت 110 هـ)، ومحمد بن سيرين (ت 110 هـ)، وقتادة بن دعامة (ت 117 هـ)، ثم عاصم الجحدري (ت 128 هـ)، وعبد الله بن أبي إسحاق (ت 129 هـ)، وعيسى بن عمر (ت 149 هـ)، وأبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ)، ومعاذ بن معاذ العنبري (ت 196 هـ)، وجابر بن زيد الأزدي (لم تُعرف سنة وفاته).

5 – في الشام: خليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء (لم تُعرف سنة وفاته)[348]، وعبد الله بن عامر (ت 118 هـ)، وعطية بن قيس الكلابي (ت 121 هـ)، واسماعيل بن عبد الله المهاجر، ثم يحيى بن الحارث الذماري (ت 145 هـ)، ثم شريح بن يزيد الحضرمي (ت 203 هـ).

صناعة البديل عن أهل البيت (ع): (علم القراءات الجديد)

تكرس الإتجاه العام في تلك الفترة بصناعة علم اسمه علم القراءات، بحيث يُشار إلى رموزه إشارة العظماء، ويُبعَد عنه أئمة أهل البيت (ع)، خصوصاً زمن الإمام محمد الباقر (ع) والإمام جعفر الصادق (ع). كان في ذلك محاولة لتفكيك الإرتباط المُحكم بين أهل البيت (ع) والقرآن الكريم الذي جاء به حديث الثقلين عن رسول الله (ص)، وصدّقه عملهم.

---

[348] النشر في القراءات العشر ج 1 ص 8.

قال ابن الجزري (ت 833 هـ) يصف تلك الفترة من القرن الثاني الهجري: " تجرد قومٌ للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا في ذلك أئمة يُقتدى بهم، ويُرحل إليهم، ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة نُسبت إليهم"[349].

ولكن الحقيقة أن نشر القراءات المتعددة وتدوينها كان يُراد منه أن يكون الثقل الأصغر هو علم القراءات، وأعلامُه القراء العشر، ومادته الأحرف السبعة؛ وبذلك حاولوا وضع الثقل الأصغر الحقيقي الذي أوصى به رسول الله (ص) وهم أهل بيت النبوة (ع) جانباً في زاوية محصورة بعيدة عن ثقل القرآن الكريم.

الفترة الخامسة: عهد الإمام الكاظم (ع) ومن بعده

القراءة زمن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) ومن بعده من أئمة الهدى (ع): (من سنة 148 هـ وما بعدها). في تلك الفترة هدأت ظاهرة حمى إمامة القراءات بين الناس، وبرزت ظاهرة من روى عنهم.

مدرسة أهل البيت (ع):

نذكر أسماء قرّاء تلك الفترة إستطراداً ثم نفصّل في تراجمهم، وهم:

1 – يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت 205 هـ).

---

[349] النشر ج 1 ص 8.

2 – من روى عن عاصم بن أبي النجود (ت 127 هـ)، وهما:

أ – حفص بن سليمان الأسدي (ت 180 هـ).

ب – أبو بكر شعبة بن عياش (ت 193 هـ).

3 – من روى عن حمزة بن حبيب بن عمارة (ت 156 هـ)، وهما:

أ – خلف بن هشام البزاز (ت 229 هـ).

ب – خلاد بن خالد (ت 220 هـ).

4 – من روى عن علي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ)، وهما:

أ – الليث بن خالد (ت 240 هـ).

ب – حفص بن عمرو الدوري (ت 246 هـ).

5 – من روى عن خلف بن هشام البزاز (ت 229 هـ)، وهما:

أ – إسحاق بن إبراهيم المروزي (ت 286 هـ).

ب – إدريس بن عبد الكريم الحداد (ت 292 هـ).

6 – من روى عن يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ)، وهما:

أ – محمد بن المتوكل اللؤلؤي المعروف بـ (رويس) (ت 238 هـ).

ب – روح عبد المؤمن الهذلي (ت 235 هـ).

7 – من روى عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع (ت 130 هـ)، وهما:

أ – عيسى الحذاء المعروف بابن وردان (ت 160 هـ).

ب – سليمان بن مسلم الزهري (ت 170 هـ).

8 – من روى عن ابن كثير (ت 120 هـ). وابن كثير قرأ على عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عباس قرأ على علي (ع). وآثرنا أن نضعه في المدرستين، لأن بعض مصادر القراءات قالت بأن عبد الله بن عباس قرأ

على أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت[350] فقط. ومصادر أخرى أوثق قالت أن ابن عباس قرأ على علي بن أبي طالب (ع).

مدرسة الخلفاء:

نذكر أسماء قراء تلك الفترة استطراداً ثم نفصل في تراجمهم، وهم:

1 – من روى عن عبد الله بن عامر الدمشقي (ت 118 هـ)، وهما:

أ – هشام بن عمار الدمشقي (ت 245 هـ).

ب – عبد الله بن أحمد الدمشقي (ت 242 هـ).

2 – من روى عن عبد الله بن كثير (ت 120 هـ)، وهما:

أ – أحمد بن محمد بن أبي بزة (ت 250 هـ).

ب – محمد بن عبد الرحمن المكي (ت 291 هـ).

3 – من روى عن أبي عمرو بن العلاء (ت 154 هـ)، وهم:

أ – يحيى بن المبارك (ت 202 هـ).

ب – حفص بن عمر الدوري (ت 246 هـ). وهذا غير حفص بن سليمان الأسدي الكوفي (ت 180 هـ)، ربيب عاصم بن أبي النجود.

ج – صالح بن زياد السوسي (ت 261 هـ).

4 – من روى عن نافع بن عبد الرحمن (ت 199 هـ)، وهما:

أ – عيسى بن ميناء الملقب بـ (قالون) (ت 220 هـ).

ب – عثمان بن سعيد الملقب بـ (ورش) (ت 197 هـ).

---

[350] تهذيب التهذيب ج 5 ص 37.

أئمة القراءات في القرن الثاني الهجري وما بعده
(إشتراك المدرستين)

لاشك أن الإمام الصادق (ع) (ت 148 هـ) كان على علمٍ بما كان يجري من قراءات متباينة للقرآن الكريم، وعندما سُئِلَ عن إختلاف القراءات، وهل أن القرآن نزل على سبعةِ أحرفٍ؟ قال (ع): (كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرفٍ واحدٍ من عند الواحد)[351]. و(أنَّ القرآن واحدٌ، نزل من عند واحد، ولكن الإختلاف يجيء من قبل الرواة)[352].

وأصبح الاختلاف في القراءات من قبل الرواة مادة القرن الثاني الهجري، وحديث الناس. وبدل أن يتوجهوا إلى تعلم معاني القرآن الكريم، استهلكوا جهدهم وطاقتهم في قراءات متعددة لا طائل منها.

توفي القراء السبعة في القرن الثاني الهجري، ولكن رواتهم عاشوا حتى القرن الثالث. وعندها حُصِرت القراءات في السبع في القرن الثالث الهجري، أي في حدود زمن الإمام الرضا (ع) (ت 203 هـ). ثم أُضيفت لها قراءات ثلاث أخر فاصبحت عشراً. وأُهملت القراءات الجديدة التي جاءت بعدها واعتبروها شاذة! ولو فُسحَ المجال للقراءات الجديدة الشاذة بالإستمرار لأستمرت إلى يومنا هذا.

فمن أئمة القراءات السبع:

---

[351] الكافي ج 2 ص 630.

[352] الكافي ج 2 ص 630.

1 – عبد الله بن عامر الدمشقي: مقرأ الشام (ت 118 هـ). قرأ القرآن على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وعبد الله بن عمر بن المغيرة المخزومي، وأبي الدرداء، عن عثمان بن عفان. قال "الهيثم بن عمران: كان عبد الله بن عامر رئيس أهل المسجد زمان الوليد بن عبد الملك، وكان يزعم أنه من حمير، وكان يُغمَز في نسبه. وقال العجلي والنسائي: ثقة. وقال أبو عمرو والداني: ولي قضاء دمشق بعد بلال بن أبي الدرداء... اتخذه أهل الشام إماماً في قراءته واختياره"[353]. وفي (طبقات القراء): "وقد ورد في اسناده تسعة أقوال أصحها أنه قرأ على المغيرة. ونقل عن بعض أنه قال: لا يدري على من قرأ"[354].

وراوياه هما:

الأول: هشام بن عمار الدمشقي (ت 245 هـ) الذي أُختلف في توثيقه فقال يحيى بن معين: ثقة، وقال النسائي: لا بأس به، والدارقطني قال: صدوق كبير المحل[355]، بينما قال الآجري نقلاً عن أبي داود: أنه حدّث بأربعمائة حديث مسند ليس لها أصل، وقال ابن وارة: عزمتُ زماناً لأن أمسك عن حديث هشام لأنه كان يبيع الحديث[356].

---

[353] تهذيب التهذيب ج 5 ص 274.

[354] (غاية النهاية في) طبقات القراء – ابن الجزري ج 1 ص 404.

[355] طبقات القراء ج 2 ص 354.

[356] تهذيب التهذيب ج 11 ص 52.

الثاني: عبد الله بن أحمد الدمشقي (ت 242 هـ) ويُعرف باسم: بشير بن ذكوان. أخذ القراءة عن أيوب بن تميم. قال أبو عمرو الحافظ: وقرأ على الكسائي حين قدم الشام[357].

خلاصة التوثيق: اضطراب الأقوال في توثيق عبد الله بن عامر الدمشقي، وفي توثيق راوياه أيضاً.

2 – عبد الله بن كثير المكي (ت 120 هـ) مقرأ مكة. فارسي الأصل. "قرأ على عبد الله بن السائب، وضعّف أبو العلاء الهمداني ذلك وقال: إنه ليس بمشهور عندنا. وقرأ على مجاهد بن جبر، ودرباس مولى عبد الله بن عباس"[358]. و"قرأ عبد الله بن السائب على أُبي بن كعب، وعمر بن الخطاب، وقرأ مجاهد على ابن السائب، وعبد الله بن عباس، وقرأ درباس على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وقرأ أُبي بن كعب وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت على النبي (ص)"[359]. وثقه علي بن المديني وقال: "كان ثقة. ووثقه ابن سعد وقال: ثقة"[360].

أقول: وقرأ ابن عباس على الإمام علي بن أبي طالب (ع) أيضاً، كما ذكرنا ذلك سابقاً.

ولعبد الله بن كثير راويان، بوسائط، هما:

---

[357] طبقات القراء ح 1 ص 403.

[358] طبقات القراء ج 1 ص 443 – 445.

[359] النشر ج 1 ص 120 – 121.

[360] تهذيب التهذيب ج 5 ص 37.

الأول: أحمد بن محمد بن أبي بزة المكي (ت 250 هـ)، فارسي أسلم على يد السائب بن أبي السائب المخزومي. وفي (طبقات القراء): استاذ محقق ضابط متقن"[361].

الثاني: محمد بن عبد الرحمن المكي (ت 291 هـ) المعروف بـ (قنبل). "أخذ القراءة عَرْضاً عن أحمد بن محمد بن عون النبّال، وهو الذي خلّفه بالقيام بها بمكة، وروى القراء عن البزي. انتهت رئاسة الاقراء بالحجاز إلى قنبل. وولي الشرطة فخربت سيرته"[362].

خلاصة التوثيق: عدم الإتفاق على توثيقه، وكذلك راوياه. إلا أن طريقه يرجع إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع) بواسطة وهو عبد الله بن عباس.

3 – عاصم بن أبي النَجُود (بن بهدلة) الكوفي (ت 127 هـ). قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت عن النبي (ص). "قال أبو بكر بن عياش: قال لي عاصم: ما أقرأني أحدٌ حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكنتُ أرجع من عنده فأعرض على زُرّ بن حُبيش. وقال حفص: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب، وما كان من القراءة

---

[361] طبقات القراء ج 1 ص 119.

[362] لسان الميزان ج 5 ص 349.

التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زُرّ بن حُبيش عن ابن مسعود"[363].

وراوياه بغير واسطة هما:

الأول: حفص بن سليمان الأسدي الكوفي (ت 180 هـ)، كان ربيب عاصم أي ابن زوجته الثانية. أجمعوا على ضعفه في الحديث[364]. قال الذهبي: "أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها ... " [365].

الثاني: أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الحناط الأسدي (ت 193 هـ). قال ابن الجزري: "عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، وعلى عطاء بن السائب، وأسلم المنقري"[366]. قال ابن سعد: "كان ثقة صدوقاً عارفاً بالحديث والعلم، إلا أنه كثير الغلط"[367].

خلاصة التوثيق: اتفقوا على وثاقته في القراءة، واختلفوا في راوياه. ويكفيه أنه قرأ على الإمام علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص). وربما قُدِحَ في نقله الحديث لأنه كان موالياً لعليٍّ (ع) ويذكر مناقبه!

4 – أبو عمر بن العلاء بن عمار بن العريان (ت 154 هـ) مقرئ البصرة. قرأ في مكة على مجاهد، وابن كثير، وفي المدينة على أبي جعفر، وفي

---

[363] طبقات القراء ج 1 ص 348.

[364] تهذيب التهذيب ج 2 ص 401.

[365] طبقات القراء ج 1 ص 254.

[366] طبقات القراء ج 1 ص 325.

[367] تهذيب التهذيب ج 12 ص 35.

البصرة على يحيى بن يعمر والحسن البصري، وفي الكوفة على عاصم . قال أبو معاوية الأزهري في التهذيب: "كان من أعلم الناس بوجوه القراءات، وألفاظ العرب، ونوادر كلامهم، وفصيح أشعارهم"[368].

وراوياه بواسطة يحيى بن المبارك اليزيدي هما: الدوري، والسوسي.

أ – يحيى بن المبارك (ت 202 هـ)، مدحه "ابن الجزري وقال: نحوي مقرئ، ثقة علاّمة كبير. نزل بغداد وعُرف باليزيدي لصحبته يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، فكان يؤدب ولده"[369]. وعنه أخذ كل من الدوري، والسوسي.

ب – حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري (ت 246 هـ). قال "ابن الجزري: ثقة، ثبت، كبير، ضابط، أول من جمع القراءات. قال الدارقطني: ضعيف، وقال العقيلي: ثقة"[370].

ج – صالح بن زياد السوسي (ت 261 هـ). قال "ابن الجزري: ضابط، محرر، ثقة. أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن أبي محمد اليزيدي، وهو من أجلّ أصحابه"[371].

خلاصة التوثيق: اتفقوا على وثاقة أبي عمر بن العلاء، وأُختلف في توثيق حفص بن عمر الدوري.

---

[368] تهذيب التهذيب ج 12 ص 178.

[369] طبقات القراء ج 2 ص 375.

[370] تهذيب التهذيب ج 2 ص 408.

[371] طبقات القراء ج 1 ص 332.

5 – حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي (ت 156 هـ). "أخذ القراءة عَرْضاً عن سليمان الأعمش، وحمران بن أعين. وفي كتاب (الكفاية الكبرى والتيسير) عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وطلحة بن مصرف، وفي كتاب (التيسير) عن مغيرة بن مقسم ومنصور وليث بن أبي سليم، وفي كتاب (التيسير والمستنير) عن جعفر بن محمد الصادق (ع)، قال أبو حنيفة لحمزة: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض"[372].

و"قال العجلي: ثقة رجل صالح. وقال ابن سعد: كان رجلاً صالحاً عنده أحاديث وكان صدوقاً صاحب سُنّة ... " [373].

ولقراءة حمزة راويان بواسطة، هما:

الأول: خلف بن هشام البزاز البغدادي (ت 229 هـ). "قال ابن الجزري: أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، وابتدأ في الطلب وهو ابن ثلاث عشر، وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً. قال ابن اشته: كان خلف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفاً"[374]. إختار لنفسه قراءة انفرد بها.

الثاني: خلاد بن خالد (ت 220 هـ). قال ابن الجزري: إمام في القراءة، ثقة، عارف، محقق، أستاذ. أخذ القراءة عَرْضاً عن سليم، وهو من أضبط أصحابه وأجلّهم"[375].

---

[372] طبقات القراء ج 1 ص 261.

[373] تهذيب التهذيب ج 3 ص 27.

[374] طبقات القراء ج 1 ص 272.

[375] طبقات القراء ج 1 ص 274.

خلاصة التوثيق: طريق حمزة يتصل بلا واسطة إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص). وسوف نبحث لاحقاً مخالفة خلف بن هشام البزاز المزعومة لاستاذه حمزة في مائة وعشرين حرفاً كما ذكرت الرواية!

6 – نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم مقرئ المدينة (ت 199 هـ). "قال ابن الجزري: أحد القراء السبعة والأعلام، ثقة، صالح، أصله من اصبهان. أخذ القراءة عَرْضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة. قال سعيد بن منصور: سمعتُ مالك بن أنس يقول: قراءة أهل المدينة سنّة، قيل له: قراءة نافع؟ قال: نعم"[376].

ولقراءة نافع راويان بلا واسطة:

الأول: عيسى بن ميناء بن وردان الملقب بـ (قالون) (ت 220 هـ). قيل أنه ربيب نافع، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته. فإنّ قالون باللغة الرومية جيد. قال عبد الله بن علي: إنما يكلّمه بذلك لأن قالون أصله من الروم، كان جد جده عبد الله من سبي الروم. أخذ القراءة عَرْضاً عن نافع"[377].

[376] تهذيب التهذيب ج 10 ص 407.

[377] طبقات القراء ج 1 ص 615.

الثاني: عثمان بن سعيد الملقب بـ (ورش) (ت 197 هـ). "قال ابن الجزري: انتهت إليه رئاسة الإقراء في الديار المصرية في زمانه، وله اختيار خالف فيه نافعاً، وكان ثقة، حجة في القراءة"[378].

خلاصة التوثيق: اتفقوا على وثاقته، ووثاقة راوياه.

7 – علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189 هـ). "قال ابن الجزري: الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة بن حبيب الزيات. أخذ القراءة عَرْضاً عن حمزة أربع مرات وعليه اعتماده. وقال أبو عبيد في كتاب القراءات: كان الكسائي يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً. أخذ القراءة عن حمزة الزيات مذاكرة، وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعيسى بن عمرو الأعمش، وأبي بكر بن عياش، وسمع منهم الحديث، ومن سليمان بن أرقم، وجعفر الصادق (ع)، والعزرمي، وابن عيينة"[379]. والظاهر أنه كان يتخير القراءات فيأخذ ما يراه صحيحاً مطابقاً لقراءة الإمام الصادق (ع)، ويدع القراءة الشاذة عن قراءة أهل البيت (ع).

وللكسائي راويان بغير واسطة هما:

---

[378] طبقات القراء ج 1 ص 502.

[379] تهذيب التهذيب ج 7 ص 313.

الأول: الليث بن خالد البغدادي (ت 240 هـ). "قال ابن الجزري: ثقة، معروف، حاذق، ضابط"[380].

الثاني: حفص بن عمر الدوري (ت 246 هـ). وقد تقدم الكلام عنه في ترجمة أبي عمرو بن العلاء، لأنه روى عنه وعن الكسائي.

خلاصة التوثيق: اتفقوا على توثيقه ورواياه.

لابد من الإشارة إلى أنه قرأ على الإمام جعفر الصادق (ع) المتصلة قراءته بأمير المؤمنين (ع) عن النبي (ص).

هؤلاء هم القراء السبعة، أصحاب القراءات السبع. وقد أحاطت القصيدة اللامية المعروفة بالشاطبية للقاسم بن فِيرُّة (ت 590 هـ) بأسمائهم، وأسماء رواتهم.

وبقية العشرة، هم الثلاثة المتممين: خلف، ويعقوب، ويزيد بن القعقاع.

8 – خلف بن هشام البزار (ت 229 هـ). تقدمت ترجمته بإعتباره راوياً عن حمزة.

ولقراءته راويان هما:

الأول: إسحاق بن إبراهيم المروزي (ت 286 هـ). "قال ابن الجزري: ثقة"[381].

---

[380] طبقات القراء ج 2 ص 34.

[381] طبقات القراء ج 1 ص 155.

الثاني: إدريس بن عبد الكريم الحداد (ت 292 هـ). "قال ابن الجزري: إمام ضابط، متقن، ثقة. سُئل عنه الدارقطني فقال: ثقة، وفوق الثقة بدرجة"[382].
خلاصة التوثيق: خالف خلف بن هشام البزاز أستاذه حمزة بن حبيب في مائة وعشرين حرفاً[383]، كما ذكرنا سابقاً.

9 – يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت 205 هـ). "قال ابن الجزري: أحد القراء العشرة. وقال يعقوب: قرأت على سلام في سنة ونصف، وقرأت على شهاب بن شرنفة المجاشعي في خمسة أيام. وقرأ شهاب على مسلمة بن محارب المحاربي في تسعة أيام، وقرأ مسلمة على أبي الأسود الدؤلي على علي بن أبي طالب (ع)"[384]. و"قال أحمد وأبو حاتم: صدوق. وذكره ابن حيان في الثقات. وقال ابن سعد: ليس هو عندهم بذاك الثبت"[385].

وراوياه هما:

الأول: محمد بن المتوكل اللؤلؤي المعروف بـ "رويس" (ت 238 هـ): " قال ابن الجزري: مقرئ حاذق ضابط مشهور أخذ القراءة عَرْضاً عن يقعوب الحضرمي"[386].

---

[382] طبقات القراء ج 1 ص 154.
[383] طبقات القرّاء ج 1 ص 272.
[384] طبقات القراء ج 2 ص 38.
[385] تهذيب التهذيب ج 11 ص 382.
[386] طبقات القراء ج 2 ص 234.

الثاني: روح عبد المؤمن الهذلي (ت 235 هـ). قال ابن الجزري: مقرئ جليل ثقة ضابط مشهور. عرض على يعقوب الحضرمي، وهو من أجلّة أصحابه"[387].

خلاصة التوثيق: يعقوب بن إسحاق الحضرمي ثقة قرأ بوسائط على علي بن أبي طالب (ع)، عن النبي (ص).

10 – أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت 130 هـ). قال ابن الجزري: " أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر. عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعبد الله بن عباس، وأبي هريرة. قال يحيى بن معين: كان إمام أهل المدينة في القراءة فسُمّي القارئ بذلك، وكان ثقة قليل الحديث"[388]. كان ذلك زمن الإمام الصادق (ع) (ت 148 هـ).

ولأبي جعفر راويان هما:

الأول: عيسى الحذّاء المعروف بابن وردان (ت 160 هـ). "قال ابن الجزري: إمام قارئ حاذق، وراوٍ محقق ضابط. عرض على أبي جعفر، وشيبة، ثم عرض على نافع"[389].

الثاني: سليمان بن مسلم الزهري المعروف بابن جماز (ت بعد 170 هـ). "قال ابن الجزري: مقرئ جليل ضابط"[390].

---

[387] طبقات القراء ج 1 ص 285.

[388] طبقات القراء ج 2 ص 382.

[389] طبقات القراء ج 1 ص 616.

[390] طبقات القراء ج 1 ص 315.

خلاصة التوثيق: اتفقوا على توثيقه، وكذلك توثيق راوياه. وقراءته على ابن عباس يعني إتصالها بقراءة علي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص).

دلالات إشتراك المدرستين في حفظ القرآن

هناك دلالات أو علامات قوية تخص الحقائق التي ذكرناها آنفاً ينبغي شرحها ومناقشتها حتى تتبلور نتيجة البحث التاريخي حول القراءات القرآنية. ومن تلك الدلالات:

الدلالة الأولى: إذا أردنا أن نأخذ القراءة القرآنية بميزان حديث الثقلين فإننا نجد أن سبعة قراء من مجموع عشرة من أئمة القراءات قرؤا بصورة مباشرة أو بواسطة على أئمة أهل البيت (ع) كالإمام علي بن أبي طالب (ع) والإمام جعفر الصادق (ع).

هنا أشتركت المدرستان بإرادة الله تعالى وتعهده بحفظ القرآن الكريم، بنشر القراءة القرآنية الصحيحة الواردة عن رسول الله (ص).

ولنلحظ فيما يلي أسماء القرّاء في كلا المدرستين:

مدرسة أهل البيت (ع):

1 – عبد الله بن كثير (ت 120 هـ) قرأ على ابن عباس (ت 68 هـ) الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع). وقد أشرنا إلى الإختلاف في عدّه من هذه المدرسة.

2 – عاصم بن أبي النجود (ت 127 هـ) قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي (ت 73 هـ) الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع) مباشرة.

3 – أبو عمر بن العلاء (ت 154 هـ) قرأ على عاصم (ت 127 هـ) الذي قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي (ت 73 هـ) الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع) مباشرة.

4 – حمزة بن حبيب (ت 156 هـ) قرأ على الإمام جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

5 – علي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ) قرأ على الإمام جعفر الصادق (ع).

6 – يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ) قرأ على شهاب الذي قرأ على سلمة الذي قرأ على أبي الأسود الدؤلي الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع).

7 – أبو جعفر بن يزيد القعقاع (ت 130 هـ) قرأ على ابن عباس (ت 68 هـ) الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع).

مدرسة الخلفاء:

1 – عبد الله بن عامر الدمشقي (ت 118 هـ).

2 – نافع بن عبد الرحمن (ت 199 هـ).

3 – خلف بن هشام البزاز (ت 229 هـ).

فتكون نسبة القراءة سبعة من عشرة يرجع أصلها إلى أهل البيت (ع)، أو قل أن سبعين بالمائة من القرّاء كانوا يقرأون قراءة الإمام علي بن

أبي طالب (ع) الذي قرأها على رسول الله (ص) مباشرةً رطبةً من فمّه الشريف (ص).

الدلالة الثانية: أن الطريق العلمي لدراسة القراءات – إبتداءً – لا يتم إلا بدراسة تراجم أئمة القراءات العشر من مصادرهم، ومعرفة الآراء حولهم من الوثاقة إلى عدمها، ومن الإقرار على علمهم عند بعض إلى الإقرار على جهلهم عند الآخر، ثم إستخلاص النتيجة بتواتر القراءات من عدمه، وهل ترتبط الأحرف السبعة الواردة في حديث النبي (ص) بالقراءات السبع أو العشر أم ماذا؟!!

ليس هناك إختلاف بين المسلمين جميعاً على تواتر القرآن الكريم قطعاً، ولكن الخلاف هو هل أن القراءات السبع أو العشر متواترة أم أنها أخبار آحاد. أستدل السيد الخوئي (ت 1413 هـ) على عدم تواتر القراءات، بالأمور التالية:

" الأول: إن استقراء حال الرواة يورث القطع بأن القراءات نقلت إلينا بأخبار الآحاد. وقد اتضح ذلك فيما أسلفناه في تراجمهم فكيف تصح دعوى القطع بتواترها عن القرّاء. على أن بعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته.

الثاني: إن التأمل في الطرق التي أخذ عنها القرّاء، يدلنا دلالة قطعية على أنّ هذه القراءات إنما نقلت إليهم بطريق الآحاد.

الثالث: اتصال أسانيد القراءات بالقرّاء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد حتى لو كانت رواتها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فإن كل قارىء إنما ينقل قراءته بنفسه.

الرابع: احتجاج كل قارىء من هؤلاء على صحة قراءته، واحتجاج تابعيه على ذلك أيضاً، وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على أن القراءات تستند إلى اجتهاد القراء وآرائهم، لأنها لو كانت متواترة عن النبي (ص) لم يحتج في إثبات صحتها إلى الإستدلال والإحتجاج.

الخامس: أن في إنكار جملة من أعلام المحققين على جملة من القراءات دلالة واضحة على عدم تواترها، إذ لو كانت متواترة لما صح هذا الإنكار فهذا ابن جرير الطبري أنكر قراءة ابن عامر، وطعن في كثير من المواضع في بعض القراءات المذكورة في السبع، وطعن بعضهم على قراءة حمزة، وبعضهم على قراءة أبي عمرو، وبعضهم على قراءة ابن كثير. وإنّ كثيراً من العلماء أنكروا تواتر ما لا يظهر وجهه في اللغة العربية، وحكموا بوقوع الخطأ فيه من بعض القراء، وقد تقدم في ترجمة حمزة إنكار قراءته من إمام الحنابلة أحمد، ومن يزيد بن هارون، ومن ابن مهدي، ومن أبي بكر بن عياش، ومن ابن دريد"[391].

ولم يكن السيد الخوئي (ت 1413 هـ) وحيداً في رأيه، بل كان الزركشي (ت 794 هـ) من قبله يؤمن بأن القراءة الصحيحة متوقفة على النص من النبي (ص) وليست إختيارية، وكان الزرقاني (ت 1122 هـ) قد فنّد التلازم بين القرآن والقراءات، لكون القرآن متواتراً، والقراءات أخبار آحاد.

---

[391] البيان في تفسير القرآن ص 151- 152.

وإختار الزركشي (ت 794 هـ) بأنّ القراءات توقيفية، أي أنها متوقفة على النص ولا يجوز تغييرها، "خلافاً لجماعة منهم الزمخشري (ت 538 هـ)، حيث ظنوا أنها اختيارية، تدور مع اختيار الفصحاء، واجتهاد البلغاء، وردّ على حمزة قراءة (وَالْأَرْحَامَ)[392] بالخفض، ومثل ما حكي عن أبي زيد، والأصمعي، ويعقوب الحضرمي أنهم خطّئوا حمزة في قراءته: (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ)[393] بكسر الياء المشددة، وكذلك أنكروا على أبي عمرو إدغامه الراء في اللام في (يَغْفِرْ لَكُمْ)[394]. وقال الزجاج: إنه غلط فاحش... "[395].

أقول: إن قراءة حمزة (وَالْأَرْحَامَ)[396] بالخفض، (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ)[397] بكسر الياء المشددة ربما إفتراءٌ عليه، يؤيده قول سفيان الثوري: " ما قرأ حمزة من كتاب الله إلا بأثر"[398] ، أي بدليل شرعي عن النبي (ص) أو أهل بيته (ع).

قال الزرقاني (ت 1122 هـ): "يبالغ بعضهم في الإشادة بالقراءات السبع، ويقول من زعم أن القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقوله كفر،

---

[392] سورة النساء: الآية 1.

[393] سورة إبراهيم: الآية 22.

[394] سورة نوح: الآية 4.

[395] البرهان في علوم القرآن ج 1 ص 469 – 470.

[396] سورة النساء: الآية 1.

[397] سورة إبراهيم: الآية 22.

[398] تهذيب الكمال – المزي ج 7 ص 322.

لأنه يؤدي إلى عدم تواتر القرآن جملة، ويعزى هذا الرأي إلى مفتي البلاد الأندلسية الاستاذ أبي سعيد فرج ابن لب، وقد تحمس لرأيه كثيراً وألف رسالة كبيرة في تأييد مذهبه. والرد على من رد عليه، ولكن دليله الذي استند إليه لا يسلم. فإن القول بعدم تواتر القراءات السبع لا يستلزم القول بعدم تواتر القرآن، كيف وهناك فرق بين القرآن والقراءات السبع، بحيث يصح أن يكون القرآن متواتراً في غير القراءات السبع، أو في القدر الذي اتفق عليه القرّاء جميعاً. أو في القدر الذي اتفق عليه عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب قرّاءً كانوا أو غير قُرّاء" [399].

الردُّ على الدليل:

ليس هناك أدنى شك من عدم تواتر القراءات، إلا أن الإستدلالات التي طُرحت في المقام لدينا ردٌّ عليها نلخصه في النقاط التالية:

أولاً: أن الكثير من الرواة قد طُعِنَ بسيرتهم بسبب ولائهم لأهل البيت (ع)، وليس لضعف قراءاتهم. فقد ذكروا أن فلاناً جيد في القراءة، ضعيفٌ في الحديث، ومن ذلك:

حفص بن سليمان الأسدي الكوفي (ت 180 هـ) أجمعوا على ضعفه في الحديث[400].

---

[399] مناهل العرفان – الزرقاني ص 248.

[400] تهذيب التهذيب ج 2 ص 401.

أبو بكر شعبة بن عياش (ت 193 هـ) قالوا عنه: إنه كان كثير الغلط[401].

حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري (ت 246 هـ)، قال الدارقطني عنه: ضعيف[402].

خلف بن هشام البزاز (ت 229 هـ)، قال ابن اشته: خالَفَ حمزة في مائة وعشرين حرفاً[403]. وربما أُريد أن يُطعن بإستاذه حمزة أكثر من طعنهم بخلف بن هشام.

يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ). قال ابن سعد: ليس هو عندهم بذاك الثبت[404].

فلا يمكن الأخذ بتضعيف القوم والطعن بوثاقة القرّاء الذين قرؤا على أئمة أهل البيت (ع).

ثانياً: إذا كان طريق بعض القرّاء إلى أئمة أهل البيت (ع) الثلاثة: علي بن أبي طالب، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق (عليهم السلام) صحيحاً، فهذا يدلُّ على صحة القراءة المسندة إلى رسول الله (ص).

ذلك أن من وظيفة الإمام (ع) أن يعلّم الناس القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، ومن أهم متطلبات الإمامة الكبرى في الأمة أن يكون الإمام المعصوم (ع) عالِماً علماً شمولياً بقراءة القرآن، ومعرفة معانيه الواقعية

---

[401] تهذيب التهذيب ج 12 ص 35.

[402] تهذيب التهذيب ج 2 ص 408.

[403] طبقات القراء ج 1 ص 272.

[404] تهذيب التهذيب ج 11 ص 382.

فضلاً عن معانيه الظاهرية. ولو رجعنا إلى كلام الإمام علي (ع) في القرآن: (والله ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيما أُنزلت، وأين نزلت، وأن ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً سؤولاً)[405]، و(ما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ...)[406]. لرأينا مدى مطابقة ما ذهبنا إليه مع واقع علمه بالقرآن الكريم.

ثالثاً: لم يصلنا من أئمة أهل البيت (ع) النهي عن الأخذ بقراءة أحد القرّاء من تلامذتهم (ع)، وهذا يورث القطع بأنهم (ع) كانوا يعلمون بأن القراءة الصحيحة سوف تصل إلى المكلفين. ولذلك قالوا (ع): (أقرأوا كما عُلّمتم)[407].

رابعاً: أن إحتجاج كل قارئ على صحة قراءته ربما توحي أحياناً إلى صحة قراءة تلاميذ أهل البيت (ع). ولاشك أن تلاميذهم (ع) كانوا يحاولون إقناع المخاطَبين بصحة قرائتهم وإتصالها بالنبي (ص). فإحتجاج القرّاء بصحة قرائتهم ربما كانت لأهداف دينية صحيحة، كأن يكون تصحيح الشواذ من القراءات. وتلك وظيفةٌ دينيةٌ تُلزم القارئ بتصحيح الآخرين.

خامساً: ربما كان إنكار البعض لقراءة حمزة والطعن بها مثلاً هو إنكارٌ لأعلمية الإمام الصادق (ع). فلابد من البحث ملياً في الموضوع قبل الحكم عليه.

---

[405] حلية الأولياء ج 1 ص 67.

[406] الكافي ج 1 ص 64.

[407] وسائل الشيعة ج 6 ص 161.

فهم لا يستطيعون الردّ على الإمام الصادق (ع) مباشرة لأن علمه في القرآن الكريم، والحديث الشريف جليٌّ للعيّان، فما أيسرها أن يقدحوا بتلامذته الذي بذل فيهم مهجته ليتقنوا قراءة القرآن كما نزل على رسول الله (ص).

إجمالاً فإن القراءات المختلفة، على افتراض وجودها، عند تلامذة أئمة أهل البيت (ع)، إنما هي تعبيرٌ عن الإختلاف في كيفية قراءة الكلمة، من إدغام أو إمالة أو ترقيق ونحوها، لا الإختلاف في أصلها أو في إبدالها.

الدلالة الثالثة: علم القراءة القرآنية علمٌ توقيفي أي لا يستند على الإجتهاد وعمل النظر، فهو عمل استنساخي إذا صح التعبير، وأنت ترى أن تلاميذ أهل البيت (ع) لم يغيروا في القراءات برأيهم. وقد ذكرنا ما قالوه عن قراءة حمزة بن حبيب الكوفي ورددنا عليه.

ولو اعترض علينا معترِضٌ وقال بأن أبا حنيفة النعمان (ت 150 هـ) قد قرأ على الإمام الصادق (ع) سنتين باعترافه: لولا السنتان لهلك النعمان[408]، ثم اجتهد في رأيه بعيداً عن منهج أهل البيت (ع)؟ فكيف تفسرون ذلك؟

نقول بأن منهج القراءة القرآنية يختلف عن منهج الإستنباط الفقهي حيث أُستخدمت في الفقه وسائل مستحدثة مثل القياس، والإستحسان،

[408] التحفة الأثنا عشرية – الآلوسي ص 8.

والمصالح المرسلة ونحوها. أما في القراءة القرآنية فالتلميذ يتعلم من استاذه طريق القراءة وأداء الحروف والحركات، ويُفترض أن لا يُغيّر بها.

أن أقوى قرينة على إن أئمة أهل البيت (ع) كانوا مطمئنين على صحة القراءة الغالبة في عصورهم هو قولهم (ع): (أقرأوا كما عُلمتم)[409]، أي لا تضيفوا إضافةً في القراءة أو التفسير من عندكم على كتاب الله تعالى. وهو يدلُّ على يقينهم بأن الله هو الحافظ لكتابه المجيد، وعلمهم بأن أغلب القرّاء قد قرأوا عليهم (ع). ولاشك أن إيمانهم بأن الله هو حافظ القرآن، كما أشار تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[410]، (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[411] أعظم وسيلة للإطمئنان على سلامة القرآن الكريم.

وكان أئمة أهل البيت (ع) يعلّمون أصحابهم قراءة القرآن كما تعلموه من جدهم رسول الله (ص)، فقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب (ع) أنه علّم: عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ)، وعبد الله بن عباس (ت 68 هـ)، وأبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ)، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُلمي (ت 73 هـ)، وعبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي (ت 61 هـ)، وحبيب بن مظاهر الأشتر الأسدي (ت 61 هـ).

---

[409] وسائل الشيعة ج 6 ص 161.

[410] سورة الحجر: الآية 9.

[411] سورة الإسراء: الآية 88.

والإمام الباقر (ع) علّم عطاء بن يسّار (ت 103 هـ)، وحمران بن أعين الشيباني (ت 130 هـ).

والإمام الصادق (ع) علّم حمزة بن حبيب بن عمارة (ت 156 هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189 هـ)، وهما من أئمة القراءات السبع في مدرسة الخلفاء.

الدلالة الرابعة: أن مدرسة الخلفاء قدحت بقراء تلامذة أهل البيت (ع) لا في قراءة القرآن، بل في الحديث. ذكرنا ذلك قبل قليل، ونضيف في هذه الدلالة أنهم قالوا عن حفص (ت 180 هـ): "أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها، بخلاف حاله في الحديث"[412]. وقالوا عن أبي بكر بن عياش (ت 193 هـ): أنه "كان ثقة صدوقاً عارفاً بالحديث والعلم، إلا أنه كثير الغلط"[413].

والذين كانوا أولياءً لعلي (ع) أو لبقية أئمة أهل البيت (ع) وصفوهم بضعف الحديث، مثلاً: حمزة بن حبيب الكوفي (ت 156 هـ) الذي قرأ على الإمام جعفر الصادق (ع)، بحيث قال سفيان الثوري: " ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر"[414]. بينما قالت عنه مدرسة الخلفاء: "قال الساجي: صدوق، سيء الحفظ، ليس بمتقن في الحديث. وقد ذمّه

---

[412] طبقات القراء ج 1 ص 254.

[413] تهذيب التهذيب ج 12 ص 35.

[414] تهذيب الكمال – المزي ج 7 ص 322.

جماعة من أهل الحديث في القراءة"[415]، لأنه قرأ على الإمام جعفر الصادق (ع)، فاستحق كل ذلك الذم. ولو كانت قراءته شاذة فعلاً لذمّه الإمام الصادق (ع) نفسه، ولكن لم يحصل ذلك أبداً.

وطالما أن هذا الكتاب يتناول القراءات القرآنية، فإن البحث في الحديث الشريف له موضعٌ آخر. وعدم القدح بقراءة تلامذة أهل البيت (ع) يعني إقراراً لهم بصحة قرائتهم القرآنية. وهذا دليلٌ على إشتراك المدرستين في حفظ القراءة الصحيحة للقرآن الكريم إلى اليوم، بل إلى الأبد.

[415] تهذيب التهذيب ج 3 ص 27.

الفصل الثالث

القراءات القرآنية: البُعد الأصولي

مقدمة. موقع أئمة أهل البيت (ع) في القراءات. الآثار المترتبة على عدم الأخذ بأهل البيت (ع) في القراءة القرآنية. عوامل نشوء الإختلاف في القراءات. أصول القراءة القرآنية على ضوء حديث الثقلين. آثار القراءة الصحيحة على الأحكام الشرعية.

مقدمة

نقصد بالبُعد الأصولي في القراءات القرآنية: القواعد والأصول التي أُستند عليها في القراءات، والمشاكل التأسيسية لعلم القراءات. فمن تلك المشاكل: عدم ثبوت الأحرف السبعة كقراءات، ومشكلة الإعتزاز بالقبلية عند العرب، والاجتهاد أو القياس اللغوي عندهم. أما أصول القراءة القرآنية على ضوء حديث الثقلين فنبحث فيها: مرجعية أهل البيت (ع) في قراءة القرآن، وبطلان تعدد القراءات إذا أوجب ذلك تعدد القرآن، وكون أغلب القراءات القرآنية زمن الإمامين الباقر (ع) والصادق (ع) بالخصوص إنما كانت في الواقع لتلامذتهم (ع).

القراءات القرآنية: موقع أئمة أهل البيت (ع) فيها

عندما أشار الإمام الصادق (ع) إلى القراءات القرآنية، وقال للسائل: (أقرأ كما يقرأ الناس)[416]، ومن بعده عندما قال الإمام الرضا (ع) لمّا سُئل عن التوحيد: (كل من قرأ قل هو الله أحد، وآمن بها فقد عرف التوحيد) فقيل: كيف يقرؤها؟ قال (ع): (كما يقرأ الناس)[417]، فإننا نستقرأ أنهما (ع) كانا يعلمان ما كان يقرأ الناس في زمانهما. وفي ذلك مجموعة من الأدلة، ومنها:

---

[416] الكافي ج 2 ص 633.

[417] وسائل الشيعة ج 6 ص 70.

الأول: أن بعض أئمة القراءات الذين ذكرتهم الروايات كانوا قد قرأوا على الإمام محمد الباقر والإمام جعفر الصادق (ع) مباشرة أو على الإمام علي بن أبي طالب (ع) بواسطة. وقد ذكرنا أسماءهم في الفصل السابق. ونختصر أسماءهم هنا لعلاقته ببحثنا: فمن قرأ على الإمام علي (ع): عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبو الأسود الدؤلي، وأبو عبد الرحمن السلمي وغيرهم. ومن قرأ على الإمام الباقر (ع): عطاء بن يسّار، وحمران بن أعين. ومن قرأ على الإمام الصادق (ع): حمزة بن حبيب، والكسائي.

الثاني: أن الإمام الصادق (ع) كان عالماً بالقرآن – قراءةً ورسماً ومعنىً – عن آبائه الطاهرين (ع) عن سيد المرسلين محمد (ص). وهذا العلم من أساسيات عصمة الإمام من أهل البيت (ع). ورمزٌ ديني كالإمام (ع) لابد أن يعلم حقيقة القراءات في زمنه.

الثالث: لو كانت في زمن الإمام الصادق (ع) قراءات شاذة من تلامذته لأدانها الإمام (ع) ونهانا عنها، وهو المكلّف بتوضيح المسائل وكشف الملابسات في قضية الدين عامة، ومنها قراءة القرآن وتفسيره بالخصوص. ولوصَلنا خبر تلك الإدانة قطعاً، تواتراً أو خبر آحاد على الأقل. ولكن لم يحصل ذلك. فلم تكن هناك قراءة شاذة في مدرسة أهل البيت (ع).

الرابع: عندما سُئل أئمة الهدى (عليهم السلام) عن صحة الزعم بأن القرآن نزل على سبعةِ أحرفٍ، قالوا (ع): (كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرفٍ واحدٍ من عند الواحد)[418]. و(إنَّ القرآن واحدٌ، نزل من عند واحد، ولكن

---

[418] الكافي ج 2 ص 630.

الإختلاف يجيء من قبل الرواة)[419]. كان جواب مدرسة أهل البيت (ع) واضحاً وقاطعاً، فالقرآن نزل على حرفٍ واحدٍ، وقراءةٍ واحدةٍ. فتعدد القراءات القرآنية بما يُفضي إلى تعدد المعاني أمرٌ مرفوضٌ شرعاً. نعم هناك ضوابط شرعية في القراءات، كما سنرى بإذنه تعالى.

الخامس: لو آمنت الأمة بطريقة أهل البيت (ع) الذين نزل عندهم القرآن الكريم، القائلة بأن القرآن نزل بحرف واحد، وصيغة واحدة، لوضعتْ اللفظَ جانباً، وتوجهتْ نحو المعنى، الذي هو الأصل في نزول القرآن الكريم. ولو صرفوا جهدهم في التقرب من أهل البيت (ع)، والتدبر في فهم القرآن على ضوء أقوالهم (ع)، لكان للمسلمين شأنٌ آخر بين أمم الأرض.

خصوصاً وأن أغلب أهل العلم قرروا بأن (القرآن) هو الوحي المنزل الذي لا ينقطع عن التواتر، وأن (القراءات) هي إختلافٌ للألفاظ المذكورة في القرآن بكيفية التخفيف، أو التشديد، أو الإمالة، أو الخطاب على نحو الجمع أو الإفراد، وهي آحاد وليس فيها تواتر.

قيل أن "للقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان. فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد (ص) للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل هي مشهورة... والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة. أما تواترها عن النبي (ص) ففيه نظر، فإن اسنادهم

---

[419] الكافي ج 2 ص 630.

بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد"[420].

أقول: وما قيمة تواتر القراءات عن القرّاء السبعة إذا لم تكن متواترة عن النبي (ص)؟

حتى إن الأدباء المتأخرين رفضوا أية صلة بين الأحرف والقراءات، قال مصنف كتاب (في الأدب الجاهلي): "وليست هذه القراءات بالأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن، إنما هي شيء وهذه الأحرف شيء آخر... والحق أن ليست القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير، إنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها"[421]. وهذا الرأي ذكره السيوطي (ت 911 هـ) في (الإتقان)، والطبري (ت 310 هـ) في (جامع البيان)، حيث قال الأخير: " أن اختلاف القرّاء فيما اختلفوا فيه من رفع حرف، ونصبه، وجرّه، وتسكين حرف وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة عن الحديث بمعزلٍ"[422].

السادس: وإن سلكنا سلوك السائل الذي لا يعرف معنى علم القراءات، وسَئلْنا: ما هو علم القراءات؟ لكان الجواب المقتَضب: هو العلمُ بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم. والجواب المفصَّل: هو العلمُ الذي يُعلَم منه إتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في التحريك والتسكين، والفصل

---

[420] البرهان ج 1 ص 465.

[421] في الأدب الجاهلي – طه حسين ص 95.

[422] جامع البيان – الطبري ج 1 ص 65.

والوصل، والحذف والإثبات[423]، أو هو علمٌ في قراءةٍ تُنسب إلى إمامٍ من أئمة القراءات ممن أجمع عليه جماعة، وأخذتْ عنه القراءة.

ولو سَئلْنا: ما هي فائدته وغايته؟ لكان الجواب: هو معرفة ما يقْرأ به كلٌّ من أئمة القراءات وأساطين القرّاء. وهل علمُ اختلاف القرّاء يوصلنا إلى معرفة القرآن الكريم؟ الجواب: كلا. ذلك لأن قراءة (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)[424] مثلاً بإظهار الألف أو إمالتها في كلمة (وَجَاءَ) لا يأتي بجديدٍ على المعاني، فلماذا أفتتن الناس في القرن الأول الهجري بالقراءات القرآنية ولم يضعوا لها ضابطاً؟ سيتبين لنا الجواب في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

الآثار المترتبة على الاجتهاد
في القراءة القرآنية

تركت ظاهرة الاجتهاد في قراءة القرآن آثاراً عديدةً، منها: تشتت القراءات، وتفرق القرّاء إلى جماعات ترجع في القراءة إلى قبائلها أو أمصارها، وبروز الاختلافات في تطبيق بعض أحكام الشريعة.

ومن خلال دراسة الآراء المتباينة للقراء نستقرأ أن أغلب اجتهاداتهم في القراءة، في التقديم والتأخير والإبدال والزيادة والنقصان، قد ذهبت أدراج الرياح، ولم يبقَ إلا الأصل الذي جاء به النبي (ص). أي أن القرآن بقي

---

[423] النشر ج 1 ص 23-24 .

[424] سورة الفجر: الآية 22.

محفوظاً بين الدفتين. وتلك معجزة القرآن التي وعدنا الله تعالى بحفظه من أي تبديل. كان ذلك بفضل تدوين الإمام علي (ع) للقرآن في عهد النبي (ص) من بداية النزول وإرشاده الخليفة الثالث إلى كتابة مصحف واحد هو المصحف الإمام مطابقاً لنسخته (ع) وعليه استُنسخت نسخ الأمصار، وتعليمه (ع) تلامذته كابن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبو عبد الرحمن السُلمي، وغيرهم.

ورد عن رسول الله (ص) أنه قال: (لو أن الناس قرأوا القرآن كما أنزل الله ما اختلف إثنان)[425].

فمن مشاكل القراءات المتعددة:

أولاً: إمكانية الإختلاف بين القرّاء أنفسهم:

كان ابن مجاهد (ت 324 هـ) يستخدم الإصطلاحات التي تعبّر عن الإختلاف بين القرّاء أنفسهم، ومنها: الغلط والخطأ، والوهم، وليس بشيء، ولا يجوز لغة[426].

ومثالٌ حيٌّ على ما اختلف فيه القرّاء هو: الإختلاف في الإدغام. فقد ولّد الإدغام إختلافاً كبيراً بينهم، لأنه لم يُبنَ على أصل نحوي أو شرعي، بل كان جوهرُ الخلافِ إستحسانياً ذوقياً، وفي ذلك أمثلة:

---

[425] تفسير القمي ج 2 ص 451.

[426] السبعة في القراءات – ابن مجاهد ص 409 ، 494.

المثال الأول: ذكر مصنف (إتحاف فضلاء البشر) طبيعة الخلاف في جزءٍ من الإدغام، فعدّدها قائلاً:

" أولها: (بَيَّتَ طَائِفَةٌ)[427] ادغم التاء منه في الطاء: أبو عمرو، وحمزة.

ثانيها: (لَا تَأْمَنَّا)[428]، أجمع الأئمة العشرة على إدغام النون في النون، واختلفوا في اللفظ به. فقرأ أبو جعفر بإدغامه ادغاماً محضاً، من غير إشارة وسيأتي له إبدال الهمزة الساكنة، وافقه الشنبوذي، عن الأعمش.

والباقون بالإشارة، واختلفوا فيها، فبعضهم يجعلها روماً [429]، فيكون ذلك إخفاءً، لا إدغاماً صحيحاً، لأن الحركة لا تسكن رأساً بل يضعف صوت الحركة، وبعضهم يجعلها إشماماً، وهو عبارة عن ضم الشفتين، إشارة إلى حركة الفعل، مع الإدغام الصريح.

قالوا: وتكون الإشارة إلى الضمة بعد الإدغام فيصح معه حينئذٍ الإدغام.

والروم اختيار الداني، وبالإشمام قطع أكثر أهل الأداء.

قال ابن الجزري: وإياه أختار، مع صحة الروم عندي، وافقهم ابن محيصن، والحسن، واليزيدي.

وعن المطوعي عن الأعمش، الإظهار المحض، فينطق بنونين أولاهما مضمومة، والثانية مفتوحة.

---

[427] سورة النساء: الآية 81.

[428] سورة يوسف: الآية 11.

[429] الروم هو: تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها.

ثالثها: (مَا مَكَّنِّي)[430]. قرأ ابن كثير بإظهار النون، والباقون بالإدغام.
رابعها: (أَتُمِدُّونَنِ)[431]. أدغم النون في النون حمزة، وكذا يعقوب، والباقون بالإظهار، وهي بنونين في جميع المصاحف.
خامسها: (أَتَعِدَانِنِي)[432]. أدغم هشام النون في النون، وافقه الحسن، وابن محيصن، بخلف عنه. والباقون بالإظهار وهي كذلك في جميع المصاحف"[433].

المثال الثاني: في قولـــه تعالى: (يَطُـوفُ عَلَيْهِـمْ وِلْـدَانٌ مُخَلَّـدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ...)[434]، ثم قال: (وَحُورٌ عِينٌ)[435]. أكثر القرّاء السبعة يرون أن الصواب فيها الرفع على تقدير (وعندهم حورٌ عين)، وهم: نافع، وابن كثير، وعاصم في رواية أبي عمرو، وابن عامر[436].

قرأها بالجر: حمزة، والكسائي، وفي رواية المفضل بن محمد الضبي، عن عاصم[437].

---

[430] سورة الكهف: الآية 95.
[431] سورة النمل: الآية 36.
[432] سورة الأحقاف: الآية 17.
[433] إتحاف فضلاء البشر ج 1 ص 123 – 124.
[434] سورة الواقعة: الآية 17 – 18.
[435] سورة الواقعة: الآية 22.
[436] السبعة في القراءات ص 622. حجة القراءات ص 695.
[437] السبعة في القراءات ص 622. الكشف عن وجوه القراءات ج 2 ص 304.

أقول: أُخذت قراءة عاصم في رواية أبي عمرو، وابن عامر، وأكثر القرّاء السبعة بالضم، وما عداها فهو تكلّف، وربما نُسِبت إليهم.

وقد حُكي عن أُبيّ بن كعب، وعيسى بن عمر الثقفي، والنخعي أنهم كانوا ينصبون فيقرأون (وحوراً عيناً) على تقدير إضمار فعلٍ، فكأنه قال: ويزوجون حوراً عيناً[438].

المثال الثالث: في تأويل قوله تعالى: (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا. فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا)[439]: "حدثني أحمد بن يوسف، قال: أخبرنا القاسم، قال: حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم أنه قرأها (بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) منصوبة الصاد والدال، وقال: بين الجبلين، وللعرب في الصدفين: لغات ثلاث، وقد قرأ بكل واحدة منها جماعة من القراء:

الفتح في الصاد والدال، وذلك قراءة عامة لقرّاء أهل المدينة والكوفة. والضم فيهما، وهي قراءة أهل البصرة. والضم في الصاد وتسكين الدال، وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة. والفتح في الصاد والدال أشهر هذه اللغات"[440].

---

[438] الجامع لأحكام القرآن ج 17 ص 205.

[439] سورة الكهف: الآية 96 – 97.

[440] جامع البيان ج 18 ص 114، 116.

واستحسن الطبري (ت 310 هـ) القراءة بالفتح في الصاد والدال، وقال: "والقراءة بها أعجب إليّ، وإن كنت مستجيزاً القراءة بجميعها، لاتفاق معانيها، وإنما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلّة"[441].

أقول: ألا يجدر بأن لا يكون الإستحسان دليلاً على صحة القراءة القرآنية!! لكنه جَبَرَ استحسانه برأي سليم وهو إتفاق المعاني في تلك الألفاظ.

وقوله تعالى: (قَالَ انْفُخُوا)[442]: " يقول عز ذكره، قال للفعلة: انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد. وقوله: (حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا)[443] وفي الكلام متروك، وهو: فنفخوا، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد ناراً (قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا)[444] فاختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة (قَالَ آتُونِي) [445] بمد الألف من (آتوني) بمعنى: أعطوني قطراً أفرغ عليه. وقرأه بعض قراء الكوفة، قال (ائتوني) بوصل الألف، بمعنى جيئوني قطراً أفرغ عليه، كما يقال: أخذت الخطام، وأخذت بالخطام[446]، وجئتك زيداً، وجئتك بزيد. وقد يتوجه معنى ذلك إذا قرئ كذلك إلى معنى أعطوني، فيكون كأن قارئه أراد مد الألف من

---

[441] جامع البيان ج 18 ص 114، 116.

[442] سورة الكهف: الآية 96.

[443] سورة الكهف: الآية 96.

[444] سورة الكهف: الآية 96.

[445] سورة الكهف: الآية 96.

[446] الخِطامُ: الزِمام، وهو ما يوضع على خَطْم الجمل ليُقاد به.

آتوني، فترك الهمزة الأولى من آتوني، وإذا سقطت الأولى همَّزَ الثانية. وقوله: (أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا)[447] يقول: أصب عليه قطراً، والقطر: النحاس"[448].

ثانياً: إمكانية التصادم بين القرّاء وعلماء النحو: وكان الإجتهاد في بعض القراءات، وعدم التواتر فيها جعل الإصطدام بين القرّاء والنحويين أمراً ممكناً. ولاشك أن القرآن الكريم حفظ اللغة العربية من الإندثار. ولكن الإجتهاد غير المسبوق في القراءات، والحرية في تعليل الكلمات العربية وتفسيرها، وَضَعَ أهل النحو وأهل القراءة في موضع التصادم.

ومن أمثلة ذلك: كانت القاعدة عند أهل النحو والصرف أنه لا يجمع بين ساكنين إلا إذا كان الأول حرف علّة، مداً أو ليناً. إلا أن القراء قالوا بجوازه واستندوا على ذلك بحديثٍ للنبي (ص): (نعمّا المال الصالح للرجل الصالح)[449].

قال ابن الحاجب المالكي (ت 646 هـ) بعد نقله التعارض بين قولي القرّاء والنحويين: " والأولى الرد على النحويين في منع الجواز، فليس قولهم بحجة، إلا عند الإجماع، ومن القراء جماعة من أكابر النحويين؛ فلا يكون إجماع النحويين حجة، مع مخالفة القراء لهم، ثم ولو قدر أن القراء ليس فيهم نحوي، فإنهم ناقلون لهذه اللغة، وهم مشاركون للنحويين في نقل

---

[447] سورة الكهف: الآية 96.

[448] جامع البيان ج 18 ص 116.

[449] النشر في القراءات العشر ج 2 ص 235 – 236.

اللغة، فلا يكون إجماع النحويين حجة دونهم، وإذا ثبت ذلك كان المصير إلى قول القراء أولى، لأنهم ناقلوها عمن ثبتت عصمته عن الغلط في مثله، ولأن القراءة ثبتت متواترة، وما نقله النحويون آحاد، ثم لو سلم أنه ليس بمتواتر، فالقراء أعدل، وأكثر، فكان الرجوع إليهم أولى"[450].

أقول:

أولاً: أنّ ما ذكره ابن الحاجب سليمٌ في مبدأه، ذلك إن قراءة القرآن أمرٌ متوقفٌ على النص، وليس للنحاة دورٌ في تصحيح ما جاء به الوحي. وفي رواية ابن مقسم النحوي (ت 355 هـ)، وكان عالماً في النحو، قرأ القرآن بحروفٍ مخالفةٍ للمشهور إعتماداً على أن لها وجهاً في العربية، كما جاء في (لسان الميزان): " أنه قرأ قوله تعالى في سورة يوسف: (فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا)[451]، يقال: أنه قرأها: (نجباً) بالباء[452]، فأزالها عن وجوه الإعجاز، وجمالية البيان، وكان جزاؤه أن استدعاه الحاكم فاستتابه، فتاب، ورجع.

ثانياً: أن القرّاء أعدل بشرط ثبوت رجوعهم إلى الأصل، وعدم تكلّفهم بقراءات إضافية لم يرد فيها نصٌ عن النبي (ص)، أو إمضاءٌ من أهل البيت (ع).

---

[450] النشر ج 1 ص 292.

[451] سورة يوسف: الآية 80.

[452] لسان الميزان ج 5 ص 130.

فبعضٌ من النحويين عابوا على قراءة القرّاء، وقالوا أنها تخالف اللغة العربية، فكان " قومٌ من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم، وحمزة، وابن عامر قراءات بعيدة عن العربية، وينسبونهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك؛ فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية، وقد رد المتأخرون كابن مالك على من عاب عليهم بأبلغ ردّ، واختار جواز ما وردت به قراءاتهم في العربية"[453].

ثالثاً: وإذا كان الأخذ بحديث رسول الله (ص) وسيلة من وسائل ضبط اللغة العربية، وهو أمرٌ صحيحٌ شرعاً، فلِمَ لم يؤخذ من أئمة أهل البيت (ع) – وهم عترة النبي (ص) من قمم البلاغة والفصاحة – ما يُعين القرّاء على ضبط القراءة القرآنية؟

نستنتج مما سبق أن أغلب الإجتهادات في القراءات قد طوتها صفحة النسيان، ولم يبقَ منها إلا قراءة القرآن الأصلية التي نزل بها الوحي. وهذا لاشك إعجازٌ للقرآن سنده التعهد الآلهي بحفظه مصوناً بين الدفتين، على الرغم من استحسانات البعض من القرّاء ومن ترجيح أذواقهم!

حتى أن الإختلاف في الإدغام الكلي والجزئي بين حرفين أصبح جزءً من تاريخ القراءات، ولم يؤثر بحالٍ على فحوى كلام الله المجيد.

---

[453] الإقتراح في أصول النحو – السيوطي ص 49.

ثالثاً: الإختلاف في تطبيق بعض الأحكام الشرعية: وأهمها الإختلاف في قراءة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...)[454]. فاختلف في قراءة (وأرجلكم) بالنصب أو بالجر.

والإختلاف في قوله تعالى: (... وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ...)[455]، فقُرأ بسكون الطاء وضم الهاء: (يطْهُرن)، وقُرأ بتشديد الطاء والهاء وفتحهما (يطَّهَّرن).

والإختلاف في وجوب إضافة البسملة على بدايات السور عدا سورة براءة.

وسوف يأتي الحديث مفصلاً عنها في هذا الفصل بإذنه تعالى.

رابعاً: مشكلة النقل بروايتين مختلفتين: ومع أن أهل البيت (ع) حرصوا على تعليم أصحابهم القراءة القرآنية الصادرة عن النبي (ص)، إلا أن الأمر لم يخلو من إضافات غير صحيحة إلى متن الروايات، مثال ذلك: "قرأ عاصم في رواية حفص عنه (يطْهُرن) بسكون الطاء وضم الهاء. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر والمفضل (يطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما"[456].

---

[454] سورة المائدة: الآية 6.

[455] سورة البقرة: الآية 222.

[456] الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ج 3 ص 83.

ففي هذا المثال نُقلت لعاصم روايتان متضاربتان مع أن عاصم قرأ على الإمام علي (ع) بواسطة، عن القراءة الأصلية المعروفة عن أهل البيت (ع) وهي بتشديد الطاء والهاء وفتحهما، ومعناها تعيُّن الغُسل للمرأة كي تحصل الطهارة وما يترتب عليها. فالحل هو الأخذ بالرواية الصحيحة المتواترة عنهم (ع)، وطرح الأخرى.

عوامل نشوء الإختلاف في القراءات

نشوء الإختلاف في القراءات القرآنية كان من آثار عوامل متباينة بعضها بتأثير لغوي، وبعضها بتأثير سياسي، وبعضها الآخر بتأثير ذوقي استحساني. ولم يكن الأثر النبوي أصلاً عاملاً في نشوء الإختلاف.

أولاً: حديث الأحرف السبعة

رُوي عن النبي (ص) حديث قال فيه أن القرآن نزل بسبعة أحرف، وفسرها البعض بأنها سبعة قراءات. ولم يكن ذلك تفسيراً صحيحاً، بل لم يقل به أحد من محققي العلماء.

وقد ورد في تفسير الحديث النبوي عن طرق أهل البيت (ع) بأن علياً (ع) قال: (نزل القرآن على سبعة أقسام كلٌ منها شافٍ كافٍ، وهي: أمرٌ، وزجرٌ، وترغيبٌ، وترهيبٌ، وجدلٌ، ومثلٌ، وقصصٌ)[457]. وهذا

[457] بحار الأنوار ج 93 ص 4.

الحديث، وإن كان مرسلاً إلا أن معناه منسجمٌ مع فكر أهل البيت (ع). فأقسام القرآن المذكورة لا تعني القراءات مطلقاً.

ومعنى الحرف عند النحاة هو ما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل. وفي اللغة معناه الوجه الواحد، كما في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ...)[458]، أي على وجهٍ واحدٍ كان يعبده على السراء لا الضراء، أو على شكٍ ولا طمأنينةٍ من أمره[459].

أما القِسْم، وجمعه أقسام فهو الجزءُ من الشيء.

و"المتعين حمل السبعة أحرف على أقسام الخطاب، وأنواع البيان، وهي سبعة على وحدتها في الدعوة إلى الله وإلى صراطه المستقيم... "[460]. وتفسير تلك الأقسام بأنها أحرف أو لغات هو تكلّف، ولم تحمله الرواية أصلاً.

تاريخ الربط بين الأحرف والقراءات:

لم تكن القراءات السبع متميزة عن غيرها، "حتى قام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد – وكان على رأس الثلاثمائة ببغداد – فجمع قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين والعراقين والشام، وهم: نافع، وعبد الله بن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وعبد الله بن عامر،

---

[458] سورة الحج: الآية11.

[459] القاموس المحيط – الفيروزآبادري ج 3 ص 126.

[460] الميزان في تفسير القرآن ج 3 ص 74.

وعاصم، وحمزة، وعلي الكسائي. وقد توهم بعض الناس أن القراءات السبع هي الأحرف السبعة، وليس الأمر كذلك. وقد لام كثير من العلماء ابن مجاهد على اختياره عدد السبعة، لما فيه من الإيهام ... قال أحمد بن عمار المهدوي: لقد فعل مسبِّع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قلّ نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر" [461].

"فأما من ظنَّ أن قرّاء كل حرف من هؤلاء القرّاء [السبعة] كنافع وعاصم وأبي عمرو، أحد الحروف السبعة التي نص النبي (ص) عليها، فذلك منه غلطٌ عظيم"[462].

أضاف قائلاً: "قد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبةً، وأجلّ قدراً من هؤلاء السبعة ... فكيف يجوز أن يظن أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها – هذا تخلف عظيم – أكان ذلك بنص من النبي (ص) أم كيف ذلك ؟! وكيف يكون ذلك؟ والكسائي إنما أُلحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره – وكان السابع يعقوب الحضرمي – فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة ونحوها الكسائي موضع يعقوب"[463].

---

[461] ذكرها مصنف البيان في تفسير القرآن ص 160، ونسبها إلى الجزائري، ولم أوفق إلى مصدرها الأصلي.

[462] الإبانة عن معاني القراءات – مكي بن أبي طالب ص 36.

[463] الإبانة عن معاني القراءات ص 36.

ثم بيّن القرطبي (671 هـ) رأيه قائلاً: " قال كثير من علمائنا كالداودي، وابن أبي سفرة وغيرهما: هذه القراءات السبع، التي تنسب لهؤلاء القرّاء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف. ذكره ابن النحاس وغيره وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القرّاء "[464].

إبطال من توهم الرابط:

ثم أبطل ابن الجزري (ت 833 هـ) توهم من زعم أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن مستمرة إلى اليوم، فقال: " وأنت ترى ما في هذا القول، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة، والعشرة، والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول، قُلٌّ من كُثر، ونَزْرٌ من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أن القرّاء الذين أخذوا عن أولئك الأئمة المتقدمين من السبعة، وغيرهم كانوا أمماً لا تحصى، وطوائف لا تستقصى، والذين أخذوا عنهم أيضاً أكثر وهلم جرا.

فلما كانت المائة الثالثة، واتسع الخرق وقلّ الضبط، وكان علم الكتاب والسنّة أوفر ما كان في ذلك العصر، تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب أبو

---

[464] الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 46.

عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم – فيما أحسب – خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفي سنة 224 هـ . وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفي نزيل أنطاكية، جمع كتاباً في قراءات الخمسة، من كل مصر واحد، وتوفي سنة 258 هـ . وكان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي صاحب قالون، ألفّ كتاباً في القراءات جمع فيه قراءة عشرين إماماً، منهم هؤلاء السبعة، توفي سنة 282 هـ . وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جمع كتاباً سماه (الجامع) فيه نيف وعشرون قراءة، توفي سنة 310 هـ . وكان بُعيده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني، جمع كتاباً في القراءات، وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة، وتوفي سنة 324 هـ . وكان في أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط، وروي فيه عن هذا الداجوني، وعن ابن جرير أيضاً، وتوفي سنة 324 هـ "[465].

ولو أحصيتَ ما ذكره ابن الجزري (ت 833 هـ) قبل قليل من قراءات لكانت سبعٌ وسبعون قراءة مختلفة، حتى اقتصر ابن مجاهد (ت 324 هـ) على سبعة قراءات فقط!!

ثم ذكر ابن الجزري جماعة ممن كتب في القراءة، قال: " وإنما أطلنا هذا الفصل لما بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي (ص) هي قراءة هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات

---

[465] النشر في القراءات العشر ج 1 ص 33 – 37.

الصحيحة هي التي في (الشاطبية)، و(التيسير)، وأنها هي المشار إليها بقوله (ص) أنزل القرآن على سبعة أحرف، حتى أن بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين أنه شاذ، وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذاً، وربما كان كثير مما لم يكن في (الشاطبية)، و(التيسير)، وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيها، وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا (أُنزل القرآن على سبعة أحرف) وسمعوا قراءات السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار إليها، ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القرّاء، وخطّأوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده، أو بيّن مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة"[466].

الدلالات:

لم تكن الأحرف السبعة في الحديث النبوي الشريف تعني القراءات السبع، ولم تكن القراءات قد حُصرت حينئذٍ على عددٍ معين، بل كانت إجتهاداً، ولم تكن هناك قواعد لضبط القراءة. ولنضع تلك الأفكار في نقاط:

1 – أن المحور في القراءات التي جمعها ابن مجاهد (ت 324 هـ) كان: شهرة القارئ، فقال: "فجمع قراءات سبعة من مشهوري أئمة الحرمين [مكة والمدينة] والعراقين [الكوفة والبصرة] والشام"[467]. فشهرة القارئ كانت تعدُّ

---

[466] النشر ج 1 ص 33 – 37.

[467] السبعة في القراءات ص 53 وما بعدها.

ميزاناً للعلم بالقراءة! وذلك الميزان يثير كثيراً من الجدل. فهل يجوز أن تكون شهرة القارئ في القراءة هي المقياس في الصحة والخطأ؟ أو أن شهرة القارئ هي المقياس في التواتر أو خبر الواحد؟ لا جواب شافٍ على ذلك في مصادر القراءات. ولابد أن نشير إلى أن شهرة القارئ تختلف عن شهرة القراءة كما هو معلوم!

2 – كان هناك من هو أعلى رتبةً من هؤلاء القرّاء، بمعنى أنهم كانوا أضبط قراءةً من غيرهم، إلا أنهم لم يكونوا مشهورين، فلم تتم إضافتهم إلى أئمة القراءة. وقال أيضاً: " وربما كان كثير مما لم يكن في (الشاطبية)، و(التيسير)، وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيها"[468]. وهذا كلامٌ خطير يؤدي بنا إلى استخلاص نتيجة تفصح – ربما – عن أن تلك القراءات المذكورة في الشاطبية كانت أقل دقة أو صحة من قراءات أخرى لم تُذكر، لسببٍ من الأسباب. فانتشرت القراءات السبع دون غيرها!

3 – أوضحَ علماء القراءات من مدرسة الخلفاء كـ : مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ)، والقرطبي (ت 671 هـ)، وابن الجزري (ت 833 هـ)، أن الأحرف السبعة لا تعني القراءات السبع. وهذا الرأي مطابق لرأي أئمة أهل البيت (ع) حيث قالوا بأن من أدعى أن الأحرف السبعة هي القراءات السبع كاذب لا يرقى إلى مستوى الحقيقة القرآنية. فالقرآن نزل بلغةٍ واحدةٍ، وحرفٍ واحدٍ، وهو ما نقرأه اليوم، وما قرأه الإمام الصادق (ع) في زمنه، وما قرأه النبي (ص) على جبرئيل (ع).

---

[468] النشر ج 1 ص 33.

الأحرف السبعة وفقهاء أهل البيت (ع):

واستلهم فقهاء أهل البيت (ع) أحاديث أئمتهم (ع) بخصوص القراءات القرآنية، فاسهبوا في مناقشة الدليل:

عدم الخوض في القراءات:

فالشيخ الطوسي (ت 460 هـ) آثر عدم الخوض بالقراءات، والإنشغال بما رووه، لأنه مضيعةٌ للوقت والأجر، قال: "... وروى المخالفون لنا عن النبي (ص) أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ، وفي بعضها: على سبعة أبواب، وكثرت في ذلك رواياتهم، ولا معنى للتشاغل بإيرادها، واختلفوا في تأويل الخبر، فاختار قوم أن معناها على سبعة معانٍ: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وجدل، وقصص، وأمثال. وروى ابن مسعود عن النبي (ص) أنه قال: نزل القرآن على سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال... وقال آخرون: أي سبع لغات مختلفة مما لا يغير حكماً في تحليل وتحريم... وكانوا مخيرين في أول الإسلام في أن يقرؤوا بما شاؤوا منها، ثم أجمعوا على حدها، فصار ما أجمعوا عليه مانعاً مما أعرضوا عنه. وقال آخرون نزل على سبع لغات..."[469].

[469] التبيان في تفسير القرآن ج 1 ص 7.

نقد تفسير الحروف بالقراءات:

ردَّ الشهيد الثاني (ت 965 هـ) على تفسير الحروف بالقراءات وقال: "ووجه تسمية القراءة بالحرف ما روي أن النبي (ص) قال: نزل القرآن على سبعة أحرف، وفسرها بعضهم بالقراءات وليس بجيد، لأن القراءة المتواترة لا تنحصر في السبعة بل ولا في العشرة كما حقق في موضعه، وإنما اقتصروا على السبعة تبعاً لابن مجاهد حيث اقتصر عليها تبركاً بالحديث. وفي أخبارنا أن السبعة أحرف ليست هي القراءة بل هي أنواع التركيب من الأمر والنهي والقصص وغيرها"[470].

أما المحقق البحراني (ت 1186 هـ) فقد أكد ما عرضه الفقهاء السابقين قائلاً: "ثم اعلم إن العامة قد رووا في أخبارهم أن القرآن قد نزل على سبعة أحرف كلها شافٍ وافٍ، وادعوا تواتر ذلك عنه (ص)، واختلفوا في معناه إلى ما يبلغ أربعين قولاً، أشهرها الحمل على القراءات السبع. وقد روى الصدوق (ره) في كتاب الخصال بإسناده إليهم (ع)، قال رسول الله (ص): أتاني آتٍ من الله عزوجل يقول إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت يا رب وسّع على أمتي، فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف. وفي هذا الحديث ما يوافق أخبار العامة المذكورة، مع أنه (ع) قد نفى ذلك في الأحاديث المتقدمة وكذبهم في ما

---

[470] مسالك الأفهام – الشهيد الثاني ج 1 ص 429.

زعموه من التعدد، فهـذا الخبــر بظاهره مناف لما دلت عليه تلك الأخبار ... "[471].

وأورد المجلسي (ت 1111 هـ) خبراً عن النبي (ص) أنه قال: أتاني آتٍ من الله، فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: يا رب وسع على أمتي، فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ثم وضّح طبيعة الخبر: " بيان: الخبر ضعيف ومخالف للأخبار الكثيرة كما سيأتي، وحملوه على القراءات السبعة، ولا يخفى لحدوثها بعده (ص)... "[472].

نقد تأويل حديث الأحرف السبعة:

ثم فصّل المحقق الهمداني (ت 1322 هـ) بما رآه من تأويلهم لحديث الأحرف السبعة، فقال: "والحق أنه لم يتحقق أن النبي (ص) قرأ شيئاً من القرآن بكيفيات مختلفة، بل ثبت خلافه فيما كان الإختلاف في المادة أو الصورة النوعية التي يؤثر تغييرها في انقلاب ماهية الكلام عرفاً، كما في ضم التاء من (أنعمت) ، ضرورة أن القرآن واحد نزل من عند الواحد كما نطقت به الأخبار المعتبرة المروية عن أهل بيت الوحي والتنزيل، مثل ما رواه ثقة الإسلام الكليني بإسناده عن أبي جعفر (ع) قال: (إن القرآن واحد من عند الواحد ولكن الإختلاف يجئ من قبل الرواة)! وعن

---

[471] الحدائق الناضرة ج 8 ص 99.

[472] بحار الأنوار ج 82 ص 65.

الفضيل بن يسار في الصحيح قال قلت لأبي عبد الله (ع): إن الناس يقولون نزل القرآن على سبعة أحرف، فقال: (كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد). ولعل المراد بتكذيبهم تكذيبهم بالنظر إلى ما أرادوه من هذا القول مما يوجب تعدد القرآن، وإلا فالظاهر كون هذه العبارة صادرة عن النبي (ص) بل قد يدعى تواتره، ولكنهم حرفوها عن موضعها وفسروها بآرائهم، مع أن في بعض رواياتهم إشارة إلى أن المراد بالأحرف أقسامه ومقاصده، فإنهم على ما حكي عنهم رووا عنه (ص) أنه قال نزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل. ويؤيده ما رُويَ من طرقنا عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام، كل قسم منها كافٍ شافٍ، وهي: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص...

فظهر مما ذكر أن الإستشهاد بالخبر المزبور لصحة القراءات السبع وتواترها عن النبي (ص) في غير محله. وكفاك شاهداً لذلك ما قيل من أنه نقل اختلافهم في معناه إلى ما يقرب من أربعين قولاً! والحاصل: أن دعوى تواتر جميع القراءات السبعة أو العشرة بجميع خصوصياتها عن النبي (ص) تتضمن مفاسد ومناقضات لا يمكن توجيهها، وقد تصدى جملة من القدماء والمتأخرين لإيضاح ما فيها من المفاسد بما لا يهمنا الإطالة في إيراده"[473].

[473] مصباح الفقيه – المحقق الهمداني ج 2 ص 274.

وختم السيد الخوئي (ت 1413 هـ) بحوث فقهاء مدرسة أهل البيت (ع) بالقول: "... هذا وحيث قد جرت القراءة الخارجية على طبق هذه القراءات السبع لكونها معروفة مشهورة ظن بعض الجهلاء أنها المعني بقوله (ص) على ما روي عنه: إن القرآن نزل على سبعة أحرف، وهذا كما ترى غلط فاحش، فإن أصل الرواية لم تثبت، وإنما رويت من طريق العامة، بل هي منحولة مجعولة كما نص الصادق (ع) على تكذيبها بقوله: (كذبوا أعداء الله نزل على حرف واحد...)"[474].

وبعد أن أورد روايات السبعة أحرف قال: "وعلى هذا فلابد من طرح الروايات، لأن الإلتزام بمفادها غير ممكن. والدليل على ذلك:

أولاً: أن هذا إنما يتم في بعض معاني القرآن، التي يمكن أن يعبّر عنها بألفاظ سبعة متقاربة.

ثانياً: إن كان المراد من هذا الوجه أن النبي (ص) قد جوز تبديل كلمات القرآن الموجودة بكلمات أخرى تقاربها في المعنى، ويشهد لهذا بعض الروايات المتقدمة، فهذا الإحتمال يوجب هدم أساس القرآن، المعجزة الأبدية، والحجة على جميع البشر... وقد قال تعالى: (... قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...)[475]. وإذا لم يكن للنبي (ص) أن يبدل القرآن من تلقاء نفسه، فكيف يجوز لغيره؟ وإن رسول الله (ص) علّم البراء بن عازب دعاء كان فيه: ونبيك الذي أرسلت، فقرأ

---

[474] مستند العروة – السيد الخوئي ج 14 ص 474.

[475] سورة يونس: الآية 15.

براء: ورسولك الذي أرسلت، فأمره (ص) أن لا يضع الرسول موضع النبي. فإذا كان هذا في الدعاء، فماذا يكون الشأن في القرآن؟

ثالثاً: أنه صرحت الروايات المتقدمة بأن الحكمة في نزول القرآن على سبعة أحرف هي التوسعة على الأمة، لأنهم لا يستطيعون القراءة على حرف واحد، وأن هذا هو الذي دعا النبي (ص) إلى الإستزادة إلى سبعة أحرف. وقد رأينا إن اختلاف القراءات أوجب أن يكفّر بعض المسلمين بعضاً حتى حصر عثمان القراءة بحرف واحد وأمر بإحراق بقية المصاحف. ويستنتج من ذلك إن الإختلاف في القراءة كان نقمةً على الأمة وقد ظهر ذلك في عصر عثمان، فكيف يصح أن يطلب النبي (ص) من الله ما فيه فساد الأمة. وكيف يصح على الله أن يجيبه إلى ذلك؟ وقد ورد في كثير من الروايات النهي عن الإختلاف، وإن فيه هلاك الأمة، وفي بعضها إن النبي (ص) تغير وجهه وأحمّر حين ذكر له الاختلاف في القراءة...

وحاصل ما قدمناه: إن نزول القرآن على سبعة أحرف لا يرجع إلى معنى صحيح، فلابد من طرح الروايات الدالة عليه، ولا سيما بعد أن دلّت أحاديث الصادقين (ع) على تكذيبها وأن القرآن إنما نزل على حرف واحد، وأن الاختلاف قد جاء من قبل الرواة"[476].

[476] البيان في تفسير القرآن ص 180.

الدلالات:

نستنتج مما سبق الأفكار التالية:

1 – لو صح حديث الأحرف السبعة عن النبي (ص) إفتراضاً، لكان معناه تعدد التركيب اللفظي للقرآن، وطالما دلَّ اللفظ على المعنى، فإن تبدله يعني تبدل المعنى. وتعدد القراءات (الشاذّة) مع ألفاظ جديدة ومعاني مغايرة يعني تعدد القرآن الكريم، وهو باطلٌ قطعاً.

2 – من استقراء السيرة النبوية لم نلحظ أن النبي (ص) كان يقرأ القرآن بكيفيات مختلفة، بل قرأها بكيفية واحدة، وكان (ص) حريصاً على مطابقة قراءته لقراءة الوحي. ولذلك كان يعلمُّ علياً (ع) وغيره من المسلمين قراءة القرآن كما علّمه جبرئيل (ع).

3 – كذّبَ أهلُ البيت (ع) من أراد بتعدد القراءات تعدد القرآن، فقال (ع): (كذبوا أعداء الله، ولكنه نزل على حرفٍ واحدٍ من عند الواحد)[477]. ذلك أن تعدد القراءات وشذوذها عن القراءة الأصلية التي قرأها رسول الله (ص) يعني تعدد الكتاب الآلهي وهو زعزعةٌ لأساس الدين السماوي، والذي أبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يصونه بقدرته.

ثانياً: الإعتزاز بالقبلية

لاشك أن أحد عوامل نشوء الإختلاف في القراءات هو الإعتزاز بالقبلية عند القرّاء أنفسهم، أي تمسك أبناء القبائل العربية بقراءة قبائلهم.

---

[477] الكافي ج 2 ص 630 .

وتلك الفكرة تقودنا إلى البحث في موضوع اللهجات العربية في القرن الأول الهجري.

اللهجات العربية:

لا تعدو اللهجات العربية تنوعاً في الأداء من حيث الإمالة أو الترقيق لبعض الحروف أو التفخيم، أو ضبط المضارع الرباعي مثل (نُنْزِلُ) أو (نُنَزِّلُ) تخفيفاً أو تشديداً، وتلك لا تؤدي – على الأغلب – إلى نقضٍ لمعنىً أو تغييرٍ لحكم. فاللهجات العربية تتصل في معظمها بالدراسات الصوتية والدلالية، والنادر منها يتصل ببناء الجملة.

ومع أن القبائل العربية كانت لها لهجات كما ذكرنا سابقاً، إلا أنهم كانوا ينطلقون في محافلهم الشعرية أيام الجاهلية دون لهجات تذكر، والمعلقات السبع وبقية الشعر كان يُقرأ بصيغة لغوية مشتركة لا تدخل فيها اللهجات. ذلك إن إتقان اللغة كان موضع فخر القبائل العربية ورؤسائها ذلك الزمان. وكان سكان البوادي أقرب إلى الفصاحة من سكان المدن كالبصرة والكوفة التي كان يفِدُ إليها الكثير من الأعاجم.

رفض العرب الأخذ من القبائل البعيدة عن مكة، خوفاً على تلوث لغتهم الفصيحة بالعُجمة. قال أبو نصر الفارابي (ت 339 هـ) شارحاً هذه المسألة: "كانت قريش أجود العرب إنتقاءً للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين أكثر ما أخذ

ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من لخم، ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان وأياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن[478] فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد قيس وأزدِ عُمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم"[479].

ومن معاجز القرآن الكريم أنه نزل بلغة قريش وتحداها، بل تحدى البشرية بأن يأتوا بسورة واحدة تشابه القرآن بلاغةً، وتُفصح بتعابير قليلة عميقة عن حقيقة الوجود الذي خلقه الله تعالى.

---

[478] منازل تغلب كانت بين الخابور والفرات ودجلة، تصل حتى الموصل وسنجار. واتصالهم بالروم أدى إلى دخولهم في النصرانية. وورود كلمة (اليمن) ربما تصحيف.

[479] الحروف – الفارابي ص 38.

نزول القرآن بلغة واحدة:

وإذا كان هذا شأنهم في التدقيق في اللغة العربية، شعراً ونثراً، فلماذا فسحوا المجال لتعدد القراءات القرآنية بناءً على لهجات القبائل؟ سؤالٌ قد لا نجد له جواباً شافياً!

وإذا رجعنا إلى كتاب سيبويه نراه يأخذ لهجاته من قبيلتين هما: قريش وتميم. في حين أن كتابه أحتوى على أسماء قبائل أخرى لم يأخذ بها، منها: أسد، وفزارة، وطي، وقيس، وهذيل، وبكر بن ربيعة، وبنو العنبر، وغيرهم[480].

قال المبرد (ت 286 هـ): "وكل عربي لم تتغير لغته فصيحٌ على مذهب قومه، وإنما يُقال بنو فلان أفصح من بني فلان أي أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب"[481]. قال الله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[482].

وإلى ذلك أشار ابن فارس (ت 941 هـ) إلى أنه: "أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً... وكانت قريش مع فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم

---

[480] الكتاب – سيبويه ج 3 ص 278، ج 4 ص 61.

[481] الفاضل – المبرد ص 113.

[482] سورة يوسف: الآية 2.

وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"[483].

وفي كتاب (المزهر في علوم اللغة) نقل السيوطي (ت 911 هـ) عن الفراء (ت 822 هـ) قوله: "كانت العرب تحضر الموسم في كل عام وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ"[484].

فهؤلاء من أهل اللغة أقروا بفصاحة قريش، وحُسن لهجتهم، والقرآن الكريم نزل بلسانهم.

قريش و(النبر) في اللغة:

لكنك عندما تبحث في موضوع اللهجات العربية تبرز ظاهرة تحقيق الهمزة (النبر) أو تسهيلها. وتحقيق الهمزة من خصائص البداوة التي اشتهرت بها تميم وسط الجزيرة العربية، بينما كان عدم النبر أو تسهيل الهمزة من خصائص قريش وما جاورها من قبائل الحجاز. ورد في الرواية المذكورة في (لسان العرب) أن أبا زيد قال: " أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، وقَفَ علينا عيسى بن عمر، فقال: ما أخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا... قال

---

[483] الصاحبي في فقه اللغة – ابن فارس ص 52.

[484] المزهر في علوم اللغة – السيوطي ج 1 ص 211.

أبو عمر الهذلي: قد توضيت، فلم يهمز وحولّها ياء، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمزة"[485].

إذن كانت تميم تحقق الهمز، ولذلك أخذ فصحاء العرب بتحقيق الهمزة في الشعر والخطابة والنثر، بينما كانت قريشاً تخفّف الهمز، إلا عند الإضطرار. وهكذا نشأ الإختلاف في أحد عناصر القراءات.

والحق أن القرآن الكريم وفصاحته الإعجازية لم ينحصر في قبيلة دون أخرى، بل جاء القرآن بلغة فريدة ارتقت فوق مستوى الأدب العربي بدرجات.

النتيجة:

وبالإجمال، فإنّ القرّاء قد أخذوا بلهجات قبائلهم في القراءات القرآنية، ولم يأخذوا ذلك في أشعارهم ومحافِلهم الأدبية. وهنا تبدو ظاهرة الحلقة المفقودة بين الأخذ بلهجات القبائل وقراءة القرآن! فلِمَ لمْ يأخذ الشعراء بلهجات قبائلهم العربية في الشعر والأدب، بل كانوا حريصين على أن يتحدثوا بلهجة فصيحة بعيداً عن الإمالة، وتسهيل الهمزة أو قراءتها، وأخذوا باللهجات في قراءة القرآن الكريم؟!

---

[485] لسان العرب ج 1 ص 22.

ثالثاً: خلو المصاحف من الحركات والنقط

كانت المصاحف في القرن الهجري الأول خالية من النقط والحركات حتى أشار الإمام علي بن أبي طالب (ع) على تلميذه أبي الأسود الدؤلي بتنقيط كلمات القرآن الكريم، ورسم حركاته.

ساهم عدم وجود النقط والحركات في تعدد القراءات. فكان لابد من معلّمٍ يعلّم الطالب ألفاظ القرآن الكريم كما نزلت. قام أئمة أهل البيت (ع) مع آخرين بذلك الدور.

وسوف نبحث هذا الموضوع بإذنه تعالى في مجلد: القرآن الكريم على منهج الثقلين: الرسم القرآني.

رابعاً: مدرسة أهل البيت (ع) والقراءات

تعهد الله عزوجل بجمع القرآن وصيانته، كما ذكرنا. قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)[486]. أي " لا تعجل به إذ علينا أن نجمع ما نوحيه إليك بضمّ بعض أجزائه إلى بعض، وقراءته عليك، فلا يفوتك شيء منه..."[487]. ونستلهم من معنى الآية الكريمة تعهد الله سبحانه وتعالى بالحفاظ على الكتاب الآلهي رسماً وقراءةً إلى الأبد. وإذا تعهد الخالق بحفظه في بداية النزول، فلا بد أن يحفظه أيضاً حتى نهاية الدنيا.

---

[486] سورة القيامة: الآية 17.

[487] الميزان في تفسير القرآن ج 20 ص 109.

ولذلك أُعتبرت القراءة القرآنية سُنّة نبوية لا تخضع لمقاييس اللغة التي احتج بها النحويون بأبياتِ شعرٍ من قبائل العرب، بل أعتمدت على الأثر النبوي الشريف. قال الداني (ت 444 هـ): "وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل. وإذا ثبتت الرواية لم يردّها قياس عربية، ولا فشو لغة. لأن القراءة سنّة متبعة، يلزم قبولها والمصير إليها"[488].

فالقراءة الصحيحة هي قراءة من أتصل بالنبي (ص) بسندٍ صحيحٍ، وأفادت القطع. وفي ذلك قولان يلخصان موقف مدرسة أهل البيت (ع) في القراءة القرآنية:

الأول: قول الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) في (التبيان): " إن المعروف من مذهب الإمامية والتطلع إلى أخبارهم ورواياتهم إن القرآن نزل بحرفٍ واحدٍ على نبيٍ واحدٍ غير إنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء، وإن الإنسان مخيّرٌ بأي قراءةٍ شاء قرأ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها"[489].

الثاني: قول الشيخ الطبرسي (ت 548 هـ) في (مجمع البيان): " الظاهر من مذهب الإمامية أنهم أجمعوا على القراءة المتداولة بين القرّاء وكرهوا

---

[488] التيسير في القراءات السبع – الداني ص 27، النشر في القراءات العشر ج1 ص 10 –11.

[489] التبيان في تفسير القرآن ج 1 ص 7.

تجريد قراءة مفردة، والشائع في أخبارهم (ع) إن القرآن نزل بحرفٍ واحدٍ"[490].

ومعنى ذلك:

1 – إنهم (ع) جوزوا القراءة بما يتداوله القرّاء، لعلمهم إن القرآن محفوظ ومصان بعهد الله تعالى، وإن أغلب القرّاء كانوا قد قراؤا على أئمة أهل البيت (ع) الثلاثة: الإمام علي بن أبي طالب (ع)، والإمام الباقر (ع)، والإمام الصادق (ع)، كما هو مشهور الروايات.

2 – لو كانت القراءة المتداولة زمن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) قراءة شاذة لما أمرا المؤمنين بجواز القراءة بما يتداوله القرّاء. والروايات الواردة في (تفسير العياشي)، و(تفسير القمي) الخاصة بالزيادة والنقصان في القرآن لا ترقى إلى مقام الإستدلال لأنها متعارضة مع المشهور من قولهم بجواز القراءة بما يتداوله القراء في زمانهم أولاً. ولأن بعض روايات تلك التفاسير لا يؤخذ بها بين الفقهاء كما بينا في محله[491]، ثانياً.

3 – أن من شروط القراءة الصحيحة المعتمدة لدى مدرسة أهل البيت (ع):

أ – عدم الإخلال بحرفٍ واحدٍ من القرآن الكريم عمداً، مثل ترك تشديد الحروف في الكلمات.

ب – عدم الإخلال بكيفية الحرف، كأن يحرّكه وهو ساكن.

---

[490] مجمع البيان ج 1 ص 38.

[491] النظرية التفسيرية في المدرسة الإمامية – المؤلف. تراثنا الأعداد 93 –97.

ج – عدم فك الإدغام، فإن في فك الإدغام في قراءة سورة الفاتحة – في الصلاة مثلاً – إبطالٌ للموالاة اللفظية، وكذلك عدم إبدال حرفٍ بغيره[492].

أصول القراءة القرآنية على ضوء حديث الثقلين

لابد أن نرجع إلى أصولٍ للقراءة القرآنية نستقرأها من سيرة أهل البيت (ع) وأحاديثهم. فالقرآن الكريم عاش في بيوتهم وقلوبهم (ع)، وهم (ع) حماة القرآن، وهم القرآن الناطق أي أنهم مصاديق الكتاب حيث طبقوا القرآن على حياتهم، فلا يمكن أن يترك أهل البيت (ع) القرآن لكل وارد يقرأ بما شاء أنى شاء! فكانت هناك أصول نستفيدها من سيرتهم (ع):

الأصل الأول: المرجِعُ بعد النبي (ص) في قراءة القرآن هم أهل البيت (ع). وأهمُّ دليلٍ على ذلك حديث الثقلين عن رسول الله (ص): (إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)[493].

ولا سبيل لنا إلا التمسك بأقوالهم (ع)، والأخذ بأوامراهم، ومن تلك إرشاد أتباعهم بالقول: (فأقرءوا كما عُلّمتم)[494]، و(اقرأ كما يقرأ الناس)[495].

---

[492] جواهر الكلام – النجفي ج 9 ص 287.

[493] وسائل الشيعة ج 27 ص 34.

[494] الكافي ج 2 ص 631 ح 15.

[495] الكافي ج 2 ص 633، ح 23.

ولا يمكن أن يرشد الإمام (ع) الناس إلى قراءة خاطئة في زمنه! إذن فالقراءة القرآنية العامة صحيحة، ويجوز التعبد بها، كما قال الفقهاء.

ولذلك ترى الشيخ النجفي (ت 1266 هـ) مصنّف (جواهر الكلام) يأخذ بالقراءات السبع المتداولة زمن الإمام الصادق (ع) بالتفصيل الذي سنراه. وهكذا كان رأي الشيخ الطوسي (ت 460 هـ)، والشيخ الطبرسي (ت 548 هـ).

وإذا افترضنا أن بعض القرّاء ممن قرأ على أئمة أهل البيت (ع) أو تلاميذهم قد اجتهد في قراءة مخالفة، فقراءته بقيت في بطون الكتب، ولم يأخذ بها الناس. ولعل هذا سرٌ من الأسرار الالهية في صيانة القرآن. فهناك يدٌ غيبية حفظت القرآن الكريم المتداول بين الناس.

وفي (الإبانة) في وصف القرّاء: "أراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه وتنضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة، والأمانة في النقل، وحسن الدين، وكمال العلم، قد طال عمره واشتهر أمره بالثقة، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما قرأ..."[496].

وفي الخبر المرسل "عن أبي الحسن (ع) يقول له السائل: جعلتُ فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها، كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ قال (ع): (لا. فاقرأوا كما عُلّمتم،

[496] الإبانة عن معاني القراءات ص 63.

فسيجئ من يعلّمكم)[497]، وخبر سالم بن أبي سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله (ع) حروفاً ليس على ما تقرأها الناس، فقال أبو عبد الله (ع): (كفّ عن هذه القراءة، إقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم العلم)[498]، والمرسل المشهور نقلاً في كتب الفروع لأصحابنا وعملاً: (القراءة سنّة متبعة)، بل في (حاشية المدارك) أن المراد بالتواتر هذا المعنى، قال فيها: المراد بالمتواتر ما تواتر صحة قراءته في زمان الأئمة (ع) بحيث يظهر أنهم كانوا يرضون به، ويصححون ويجوزون ارتكابه في الصلاة، لأنهم صلوات الله عليهم كانوا راضين بقراءة القرآن على ما هو عند الناس... فالمعتبر حينئذٍ القراءات السبع أو العشر، وظاهر الأصحاب بل هو صريح البعض التخيير بين جميع القراءات، نعم يظهر من بعض الأخبار ترجيح قراءة أبي بن كعب..."[499].

كتاب (جواهر الكلام) والقراءة الشرعية:

لخّصَ الشيخ محمد حسن النجفي (ت 1266 هـ) في (جواهر الكلام) أصول القراءة على مدرسة أهل البيت (ع)، بفكرة جوهرها عدم الإخلال بالقراءة القرآنية ولو بحرفٍ واحدٍ منها عمداً. وناقش موضوع (الإدغام) الذي دارت عليه رحى الإختلاف في القراءات القرآنية.

---

[497] الكافي ج 2 ص 631 ح 15.

[498] الكافي ج 2 ص 633 ح 23.

[499] جواهر الكلام ج 9 ص 292 – 293.

و(جواهر الكلام) موسوعة فقهية رائدة في الفقه الإمامي، ولذلك آثرنا نقل ما ذكره المصنّف بمقاطع مسهبة، فهو يُمثل بإختصار رأي مدرسة أهل البيت (ع) في القراءة القرآنية. قال بخصوص وجوب قراءة سورة الفاتحة في الركعَتين: "وحينئذٍ (لا تصح الصلاة مع الإخلال ولو بحرفٍ واحدٍ منها عمداً) إجماعاً في (كشف اللثام)، وعن (المعتبر)، و(المنتهى) نقيصةً، أو إبدالاً ممنوعاً، أو غيرهما، لعدم الإمتثال، ضرورة كونها اسماً للمجموع الذي ينتفي بإنتفاء بعضه، والتسامحات العرفية كالإشتباهات لا تبنى عليها الأحكام الشرعية..."[500].

ثم قال: " فظهر حينئذٍ عدم جواز الإخلال بشيء منها (حتى التشديد) كما عن الأكثر التصريح به، بل في (فوائد الشرائع) لا نعرف فيه خلافاً، قال فيه: (لا ريب أن رعاية المنقول في صفات القراءة والتسبيح والتشهد من حركات وسكنات للإعراب والبناء وغير ذلك مما يقتضيه النهج العربي كالإدغام الصغير[501] على ما صرح به شيخنا الشهيد في (البيان)، والمد المتصل واجبة، ومع الإخلال بشيء من ذلك تبطل الصلاة، ولا نعرف في ذلك كله خلافاً. ويحصل ترك التشديد إما بحذف الحرف المدغم مثلاً، أو بتحريكه، أو بفك الإدغام).

---

[500] جواهر الكلام – الشيخ النجفي ج 9 ص 287.

[501] الإدغام الصغير: هو أن يكون المدغَم ساكناً، والمدغَم فيه متحركاً. مثل: إدغام العين في العين في قوله تعالى: (تَسْطِعْ عَلَيْهِ) سورة الكهف: الآية 82. والإدغام هو إلتقاء حرف ساكن بحرفٍ متحركٍ بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً.

لكن الأول: مندرج في الإخلال بحرف، ولعله خصه بالذكر حينئذٍ لخفائه.

والثاني: إخلال بكيفية الحرف، لأنه حرّكه بعد أن كان ساكناً.

والثالث: بطلانه لفوات الموالاة، قال في (كشف اللثام): (وفك الإدغام من ترك الموالاة إن تشابه الحرفان، وإلا فهو إبدال حرف بغيره، وعلى التقديرين من ترك التشديد. نعم لا بأس به بين كلمتين إذا وقف على الأولى نحو: (لَمْ يَكُنْ لَهُ)[502] لما ستعرفه من جواز الوقف على كل كلمة). وظاهره عدم جواز فكه في نحو الكلمتين المزبورتين إذا لم يقف، وعلى كلٍ فالظاهر إرادة التشديد من الإدغام الصغير في معقد نفي الخلاف في كلام الكركي، إذ هو إدراج الساكن الأصلي في المتحرك في كلمة واحدة أو كلمتين متماثلتين كـ (هَلْ لَكَ)[503] أو متقاربين كـ (مِنْ رَبِّكَ)[504] خلال الإدغام الكبير[505] الذي هو إدراج المتحرك بعد الإسكان في المتحرك متماثلين في كلمة كـ (مَنَاسِكَكُمْ)[506]، و(مَا سَلَكَكُمْ)[507] أو في كلمتين كـ

---

[502] سورة النساء: الآية11.

[503] سورة النازعات: الآية 18.

[504] سورة البقرة: الآية 147.

[505] الإدغام الكبير: هو أن يكونَ المدغمُ متحركاً، والمدغَم فيه متحركاً، وهو يستلزم جهداً في النطق.

[506] سورة البقرة: الآية 200.

[507] سورة المدثر: الآية 42.

(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ)[508]، (فِيهِ هُدًى)[509]، (وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)[510]، أو متقاربين في كلمة كالقاف في الكاف بشرط تحرك ما قبلها كـ (يَرْزُقُكُمْ)[511]، و(خَلَقَكُمْ)[512] لا كـ (مِيثَاقَكُمْ)[513]، وأن يكون بعده ميم الجماعة في قول. وفي كلمتين: (فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ)[514].

قيل: وقد حصروه في ستة عشر حرفاً: الحاء، والقاف، والكاف، والجيم، والشين، والضاد، والسين، والدال، والذال، والتاء، والثاء، والراء، واللام، والنون، والميم، والباء، والتفصيل يطلب من مظانه. لأن لا غرض لنا يتعلق به ولا بغيره من أقسام الإدغام الكبير، إذ لم أعرف أحداً قال بوجوب شيء منه من الأصحاب، كما اعترف به بعض مشائخنا، بل لولا الإجماع المدعى على القراءة بالسبع أو العشر لأمكن التوقف في القراءة ببعض أفراده، خصوصاً مع استلزامه تغيير كيفية الحرف بالإسكان أو الإبدال، إذ ذاك سمي كبيراً"[515].

---

[508] سورة البقرة: الآية 255.

[509] سورة البقرة: الآية 2.

[510] سورة التوبة: الآية 87.

[511] سورة يونس: الآية 31.

[512] سورة البقرة: الآية 21.

[513] سورة البقرة: الآية 63.

[514] سورة آل عمران: الآية 185.

[515] جواهر الكلام ج 9 ص 287 – 288.

ثم عَرَضَ وجوب الإدغام الصغير بين حرفي الذال، والدال في حروف أخرى وناقشها، فقال: " بل يمكن المناقشة في إطلاق الوجوب في الإدغام الصغير وإن نُسب إلى الفقهاء ولم يعرف الكركي فيه خلافاً، ضرورة عدم الدليل على وجوبه في مطلق المتقاربين في النحو ولا في الصرف، بل ولا في علم القراءة، إذ حروف الحلق وهي: (اهع حغخ) متقاربة المخرج، وكذا حروف أصل اللسان: كالقاف والكاف، وحروف وسطه: كالياء المثناة التحتانية[516] والشين والجيم، وحروف طرفه: كالصاد والسين والراء، وحروف الشفة العليا: كاللام والنون والثاء والذال والظاء، وحروف الشفة السفلى وهي: التاء والدال والطاء، وحروف الشفتين كالفاء والباء والواو والميم، وإن تفاوتت بالجهر والهمس والشدة والرخاوة وغيرها من الأوصاف.

وقد اختلفوا في إدغام كثير منها مع تقارب المخرج كالذال في الجيم والزاء والسين والصاد والتاء والدال، نحو: (وَإِذْ جَعَلْنَا)[517]، (وَإِذْ زَيَّنَ)[518]، (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ)[519]، (وَإِذْ صَرَفْنَا)[520]، (إِذْ تَبَرَّأَ)[521]، (إِذْ دَخَلُوا)[522]،

---

[516] الياء المثناة التحتانية: (ي) هي الياء التي تشبه الألف المقصورة لكن تحتها نقطتان.

[517] سورة البقرة: الآية 125.

[518] سورة الأنفال: الآية 48.

[519] سورة النور: الآية 12.

[520] سورة الأحقاف: الآية 29.

[521] سورة البقرة: الآية 166.

فعن أبي عمرو وهشام الإدغام، وعن عاصم والحرميين [المكيين والمدنيين] الإظهار.

والدال في الجيم والسين والشين والصاد والذال والراء والضاد والظاء نحو: (لَقَدْ جَاءَكُمْ)[523]، (لَقَدْ سَمِعَ)[524]، (قَدْ شَغَفَهَا)[525]، (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا)[526]، (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا)[527]، (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ)[528]، (فَقَدْ ضَلَّ)[529]، (فَقَدْ ظَلَمَ)[530]، فعن الأكثر الإدغام، وعن عاصم وابن كثير وقالون الإظهار"[531].

ثم عَرَضَ وجوب الإدغام الصغير بين حرفي تاء التأنيث، ولام (هل)، و(بل)، والباء والفاء في حروف وناقشها، فقال:

" وتاء التأنيث في ستة: الجيم والسين والصاد والزاء والثاء والظاء، نحو: (نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ)[532]، (أُنْزِلَتْ سُورَةٌ)[533]، (حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)[534]،

---

[522] سورة الحجر: الآية 52.

[523] سورة التوبة: الآية 128.

[524] سورة آل عمران: الآية 181.

[525] سورة يوسف: الآية 30.

[526] سورة الإسراء: الآية 41.

[527] سورة الأعراف: الآية 179.

[528] سورة آل عمران: الآية 143.

[529] سورة البقرة: الآية 108.

[530] سورة البقرة: الآية 231.

[531] جواهر الكلام ج 9 ص 288- 289.

[532] سورة النساء: الآية 56.

(خَبَتْ زِدْنَاهُمْ)[535]، (كَذَّبَتْ ثَمُودُ)[536]، (كَانَتْ ظَالِمَةً)[537] فمن الأكثر الإظهار، وعن بعض الإدغام.

ولام (هل)، و(بل) في التاء والثاء والسين والزاء والطاء والضاد، والظاء، والنون، نحو: (هَلْ تَعْلَمُ)[538]، (هَلْ ثُوِّبَ)[539]، (بَلْ سَوَّلَتْ)[540]، (بَلْ زُيِّنَ)[541]، (بَلْ طَبَعَ)[542]، (بَلْ ضَلُّوا)[543]، (بَلْ ظَنَنْتُمْ)[544]، (بَلْ نَظُنُّكُمْ)[545]، (هَلْ نَدُلُّكُمْ)[546]، فعن الكسائي الإدغام، وعن الأكثر الإظهار.

---

[533] سورة التوبة: الآية 86.

[534] سورة النساء: الآية 90.

[535] سورة الإسراء: الآية 97.

[536] سورة الشعراء: الآية 141.

[537] سورة الأنبياء: الآية 11.

[538] سورة مريم: الآية 65.

[539] سورة المطففين: الآية 36.

[540] سورة يوسف: الآية 18.

[541] سورة الرعد: الآية 33.

[542] سورة النساء: الآية 155.

[543] سورة الأحقاف: الآية 28.

[544] سورة الفتح: الآية 12.

[545] سورة هود: الآية 27.

[546] سورة سبأ: الآية 7.

إلى غير ذلك مما اختلفوا فيه كالباء في الفاء وبالعكس، نحو: (أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ)[547]، و(وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ)[548]، و(نَخْسِفْ بِهِمُ)[549]، والراء في اللام نحو: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ)[550].

نعم لا خلاف بينهم كما عن (الشاطبية) و(سراج القاري) في إدغام الذال في الظاء نحو: (إِذْ ظَلَمُوا)[551]، والدال في التاء نحو: (قَدْ تَبَيَّنَ)[552]، (وَقَدْ تَعْلَمُونَ)[553]، (مَا وَعَدْتَنَا)[554]، وفي إدغام تاء التأنيث في الدال والطاء نحو: (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا)[555]، (فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ)[556]، واللام في الراء نحو: (قُلْ رَبِّي)[557]، (بَلْ رَبُّكُمْ)[558]، (بَلْ رَانَ)[559].

---

[547] سورة النساء: الآية 74.

[548] سورة الحجرات: الآية 11.

[549] سورة سبأ: الآية 9.

[550] سورة الطور: الآية 48.

[551] سورة النساء: الآية 64.

[552] سورة االبقرة: الآية 256.

[553] سورة الصف: الآية 5.

[554] سورة آل عمران: الآية 194.

[555] سورة يونس: الآية 89.

[556] سورة الصف: الآية 14.

[557] سورة الكهف: الآية 22.

[558] سورة الأنبياء: الآية 56.

[559] سورة المطففين: الآية 14.

بل قيل الظاهر أيضاً أنهم يوجبون إدغام الطاء في التاء: (أَحَطْتُ)[560]، (بَسَطْتَ)[561]، والقاف في الكاف مع سكونها واتصال ميم الجمع، بل قيل وبدونه: (يَخْلُقُكُمْ)[562]، (مَنْ يَرْزُقُكُمْ)[563]، (يَخْلُقُكُمْ)[564] " [565].

ثم عَرَضَ إدغام التنوين والنون الساكنة، واظهار النون الوسطية، وقالَ: " ووجوب ذلك كله مبني على وجوب ما عند القرّاء، إذ ليس في النحو والصرف ما يقتضيه، ضرورة عدم معروفية الإدغام عندهم إلا في المتماثلين في كلمة واحدة، أو كلمتين الساكن أولهما إصالة، وكأن الإدغام حينئذٍ من ضروريات النطق بالكلمة أو الكلمتين معاً، ولعل مراد الأصحاب بالإدغام الصغير الذي نقلوا الإجماع على وجوبه هذا لا مطلق ما عرفت، مع أنه قد يستثنى منه أيضاً حرف المد نحو: (آمَنُوا)[566]، (وَعَمِلُوا)[567]، (الَّذِي يُوَسْوِسُ)[568] فإنه واجب الإظهار، بل يمكن دعوى منافاة المد للإدغام.

---

[560] سورة النمل: الآية 22.

[561] سورة المائدة: الآية 28.

[562] سورة الزمر: الآية 6.

[563] سورة يونس: الآية 31.

[564] سورة الزمر: الآية 6.

[565] جواهر الكلام ج 9 ص 289 – 290.

[566] سورة البقرة: الآية 9.

[567] سورة البقرة: الآية 25.

[568] سورة الناس: الآية 5.

أما لو أريد بالإدغام الصغير ما يشمل جميع ما سمعت مما أدعي وجوبه عند سائر القرّاء ففيه بحث أو منع. كالبحث أو المنع في وجوب إدغام التنوين والنون الساكنة إذا كانت طرفاً في اللام والراء بغنّة الذي نقل إجماع القرّاء السبعة عليه عن (التسيير)، و(سراج القاري)، و(الشاطبية) نحو: (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)[569]، (مِنْ رَبِّكَ)[570]، (وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)[571]، بل نقلوه أيضاً على إدغامهما في حروف (ينمو) الأربعة مصاحباً للغنّة إلا من خلف فلا غنّة في الياء والواو نحو: (مَنْ يَقُولُ)[572]، (وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ)[573]، (مِنْ نُورٍ)[574]، (يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ)[575]، (مِمَّنْ مَنَعَ)[576]، (مَثَلًا مَا بَعُوضَةً)[577]، (مِنْ وَالٍ)[578]، (غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ)[579].

---

[569] سورة البقرة: الآية 2.

[570] سورة البقرة: الآية 147.

[571] سورة البقرة: الآية 13.

[572] سورة البقرة: الآية 8.

[573] سورة البقرة: الآية 19.

[574] سورة النور: الآية 40.

[575] سورة الغاشية: الآية 8.

[576] سورة البقرة: الآية 114.

[577] سورة البقرة: الآية 26.

[578] سورة الرعد: الآية 11.

[579] سورة البقرة: الآية 7.

أما إذا كانت النون وسطاً، فعن الشاطبي، وجماعة: الإجماع على وجوب إظهارها نحو: (الدُّنْيَا)[580]، (بُنْيَانٌ)[581]، (قِنْوَانٌ)[582]، (صِنْوَانٌ)[583] لئلا تشتبه بالمضاعف نحو: (حيان)، (وبوان)، بل قيل أيضاً إنه حكي الإجماع مستفيضاً على إظهارهما معاً قبل حروف الحلق، وأنهم أجمعوا على قلبهما ميماً عند الباء نحو: (مِنْ بَعْدِ)[584]، (صُمٌّ بُكْمٌ)[585]، بل عن ابن مالك التصريح به أيضاً. وأما حالهما عند غير الذي عرفت من باقي الحروف، فعن (الشاطبية)، و(سراج القاري) الإجماع أيضاً على إخفائهما مع بقاء غنتهما، والإخفاء حال بين الإدغام والإظهار عارٍ من التشديد، وأما الميم فإن لاقت الباء غُنّت، وإن لاقت غيرها من سائر الحروف ظهرت، ووجه الإشكال في الجميع ما عرفت، خصوصاً إذا قلنا: إن المراد بالوجوب في لسان القرّاء تأكد الفعل كما عن الشهيد الثاني احتماله، أو أنه معتبر في التجويد لا كالنحويين والصرفيين الذي يراد به فيهما خروج اللفظ عن قانون اللغة، ولذا كان الأقوى وجوب كل ما هو واجب عندهم دون القرّاء"[586].

---

[580] سورة البقرة: الآية 86.

[581] سورة الصف: الآية 4.

[582] سورة الأنعام: الآية 99.

[583] سورة الرعد: الآية 4.

[584] سورة البقرة: الآية 27.

[585] سورة البقرة: الآية 185.

[586] جواهر الكلام ج 9 ص 286 – 291.

وبالإجمال فإن القراءة الغالبة في الإدغام كانت لتلامذة أهل البيت (ع) مثل عاصم وغيره في إظهار إدغام الذال في الجيم والزاء والسين والصاد والتاء والدال. وفي إظهار إدغام تاء التأنيث في الجيم والسين والصاد والزاء والتاء والظاء. وفي إظهار إدغام الدال في الجيم والسين والشين والصاد والذال والراء والضاد والظاء.

يؤسس الشيخ النجفي (ت 1266 هـ) في هذا النص من كتابه (جواهر الكلام) لقاعدة في القراءة القرآنية، وهي: وجوب ما قرأه القرّاء، ووجوب ما اظهروه كالنون الوسطية، ولا يأخذ بما رآه النحويون في النحو والصرف، إلا أن يكون خروجاً باللفظ عن قانون اللغة. فيرجح حينئذٍ الأخذ بقول أهل اللغة.

بالإضافة إلى ذلك تُثبت النصوص التي قرأناها في الإدغام إن الإختلاف هو من عمل القرّاء، وليس من الوحي المنزل.

الأصل الثاني: بطلان تعدد القراءات إذا أوجب تعدد القرآن: لاحظنا في عرض الشيخ النجفي (ت 1266 هـ) في (جواهر الكلام) إن الإدغام مثلاً لا يغير المعنى، لكن الإخلال عمداً بكيفية لفظ الحرف يبطل القراءة. وهذا الفرق بين عدم تغيير المعنى وبين بطلان القراءة مهم بشكل كبير.

فقد أتفق علماء أهل البيت (ع) على بطلان تعدد قراءات القرآن الكريم، إذا أوجبت تعدد المعاني، وعندها يتعدد القرآن. فكل قراءة تقتضي كتابة قرآن جديد مختلف عن القراءة الأخرى، خصوصاً أن بعض القراءات الشاذة تعطي معاني مغايرة للأصل.

وأيُّ تغيير في تركيب الآيات، ولو بحرفٍ أو حركةٍ زائدة من ضمّ أو فتح أو جرّ يُفسد نظم الآيات ومعانيها. ولذلك وقف أئمة أهل البيت (ع) موقفاً حاسماً من القراءات الشاذة، وأبطلوها.

وفي أحاديثهم (ع) المذكورة آنفاً كون اختلاف القراءات هو من فعل القرّاء أو الرواة، وإنّ القرآن نزل على حرفٍ واحدٍ فيها دلالة قوية على بطلان القراءات المُختلَقة، إذا كانت تؤدي إلى تعدد القرآن بالشكل والمعنى. بل أن للقرآن الكريم ألفاظ تؤدي إلى معان منصوصة. خصوصاً إذا نظرنا إلى قول الصادقين (عليهما السلام) في زمن كان قد استفحلت فيه القراءات المتعددة للقرآن الكريم وهو القرن الثاني الهجري.

يصف الإمام الصادق (ع) تلك الفترة الحرجة في الإسلام، ويُدين بصورة صريحة أولئك الذين يضعون رأيهم في القرآن الكريم، لفظاً ورسماً ومعنىً، فيقول (ع): (إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً (ص) فختم به الأنبياء (ع) فلا نبي بعده، وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده، أحلّ فيه حلالاً وحرّم حراماً، فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فيه شرعكم وخبر من قبلكم وبعدكم، وجعله النبي (ص) علماً باقياً في أوصيائه. فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كل زمان، فعدلوا عنهم ثم قتلوهم واتبعوا غيرهم... ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ، وهم يظنون أنه الناسخ، واحتجوا بالمتشابه وهو يرون أنه المحكم، واحتجوا بالخاص وهم يقدرون أنه العام، واحتجوا بأول الآية

وتركوا السبب في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره، إذ لم يأخذوه عن أهله...)[587].

وإذا كان هذا شأنهم في عدم فهم معاني القرآن، فما بالك بمقدار تدبرهم بضوابط القراءة القرآنية ؟!

الأصل الثالث: القراءات المتعارفة تقع ضمن دائرة حفظ القرآن: أن القراءات المتعارفة زمن الإمام الصادق (ع) كانت قراءة ابن كثير، وعاصم بن أبي النجود، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة بن حبيب، والكسائي، وحمران بن أعين، وعطاء بن يسّار، بالإضافة إلى قراءة عبد الله بن عامر الدمشقي، ونافع بن عبد الرحمن، وغيرهم.

والظاهر أن قراءات هؤلاء القرّاء لم تخرج عن المعهود، كما لاحظنا في بحث الإدغام من حيث إظهاره أو عدم إظهاره. ولو خرجت عن المعهود لأدان الإمام الصادق (ع) القراءة الشاذة، وأشار إلى قارئها، فلا يؤخذ من قرائته شيء. ومن ذلك نستنتج بأن الأقوال في القراءات اللاحقة قد أضيفت بعد عهد الإمام الصادق (ع).

ولا نعلم مدى دقة ابن مجاهد في وضع القراءات، خصوصاً وقد عاش لحد نهاية الربع الأول من القرن الرابع الهجري، أي بعد وفاة الإمام الصادق (ع) بأكثر من 75 سنة.

---

[587] بحار الأنوار ج 90 ص 3.

وزبدة الموضوع: "ذهب الجمهور من علماء الفريقين إلى جواز القراءة بكل واحدة من القراءات السبع في الصلاة، بل ادعي على ذلك الإجماع في كلمات غير واحد منهم، وجوّز بعضهم القراءة بكل واحدة من العشر، وقال بعضهم بجواز القراءة بكل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو إحتمالاً وصح سندها، ولم يحصرها في عدد معين. والحق أن الذي تقتضيه القاعدة الأولية، هو عدم جواز القراءة في الصلاة بكل قراءة لم تثبت القراءة بها من النبي الأكرم (ص) أو من أحد أوصيائه المعصومين (ع)، لأن الواجب في الصلاة هو قراءة القرآن فلا يكفي قراءة شيء لم يحرز كونه قرآناً، وقد استقل العقل بوجوب إحراز الفراغ اليقيني بعد العلم باشتغال الذمة... وأما بالنظر إلى ما ثبت قطعياً من تقرير المعصومين (ع) شيعتهم على القراءة، بأية واحدة من القراءات المعروفة في زمانهم، فلاشك في كفاية كل واحدة منها، فقد كانت هذه القراءات معروفة في زمانهم، ولم يرد عنهم أنهم ردعوا عن بعضها، ولو ثبت الردع لوصل إلينا بالتواتر، ولا أقل من نقله بالآحاد، بل ورد عنهم (ع) إمضاء هذه القراءات بقولهم: إقرؤوا كما يقرأ الناس. إقرؤا كما عُلمتم. وعلى ذلك فلا معنى لتخصيص الجواز بالقراءات السبع أو العشر، نعم يعتبر في الجواز أن لا تكون القراءة شاذة... وصفوة القول: أنه تجوز القراءة في الصلاة بكل قراءة كانت متعارفة في زمان أهل البيت (ع)"[588].

[588] البيان في تفسير القرآن ص 167

يقول الشيخ الهمداني (ت 1322 هـ): "... كون قراءة علي وأهل بيته (ع) أيضاً بحسب الظاهر كقراءة أُبيّ بن كعب، وابن مسعود ونظرائهم من القراءات المعروفة بين الناس كما يشهد له نقلها في كتبهم، وإنها سند غير واحد من القرّاء السبع كحمزة، والكسائي، وعاصم الكوفي إلى علي وأهل بيته (ع) كما تقدمت حكايته عنهم، وكيف كان فلا شبهة في صحة كل من القراءات السبع في مقام تفريغ الذمة عن التكليف بقراءة القرآن..."[589].

أقول: أن هذا الرأي يثبت أن أغلب القراء قد قرأ بقراءة علي بن أبي طالب (ع) عن رسول الله (ص) الأصل. ولا شبهة في صحة القراءات السبع شرط عدم تعدد القرآن أو الشذوذ في القراءة. وهو مطابقٌ لما توصلنا إليه في البحث.

وقد ذكرنا آنفاً القراءات المتعارفة زمن الإمام الصادق (ع). وهذا دليل على علمهم (ع) بأن أغلب القراء (وقد ذكرنا أن سبعة قرّاء من عشرة) قد قراءوا على أهل البيت (ع) مباشرة أو بالواسطة.

والإشكال المهم الذي نحاول الإجابة عليه هو: أن هؤلاء القرّاء قد قراءوا على أهل البيت (ع) مباشرة أو بواسطة، فكيف نفسر الإختلاف في قراءاتهم؟

الجواب: نُرجع الإختلاف، والله أعلم، إلى ثلاثة أسباب:

---

[589] مصباح الفقيه ج 2 ق 1 ص 276.

الأول: أن بعض القراءات قد أُفتري بها عليهم. وما أيسر للإنسان أن يأتي بقراءة شاذة ويدعي أنها لفلان! خصوصاً مع كثرة القرّاء واختلاف الروايات بشأن قراءاتهم.

الثاني: لهجات القبائل العربية، وإختلافها في قضايا الإدغام، والإمالة، والترقيق، والتفخيم.

الثالث: إحتمالية مذاق بعض القرّاء لقراءة معينة دون غيرها. فهناك من يحب الإمالة أو يحب الإدغام فيبالغ فيهما.

الرابع: إعجاز القرآن الكريم وقابليته – كونه كتاباً سماوياً – على استيعاب تعدد القراءات، خصوصاً مع عدم وجود الحركات والنقاط في الكتابة أنذاك. واختلاف القراءات والبقاء على إعجازه، إنما هو جزء من الإعجاز الكلي للقرآن.

الأصل الرابع: تشابه شروط مدرسة الخلفاء في القراءة مع شروط أهل البيت (ع): ولما أرادت مدرسة الخلفاء علاج ما وصل إليه أمر القراءة القرآنية وضعت لها شروطاً كما ذكر ابن الجزري (ت 833 هـ) نقلاً عن أبي عمرو الداني[590]، ومكي بن أبي طالب[591]، وغيرهما. وتلك الشروط هي: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو

---

[590] بيان السبب الموجب – أحمد بن عامر (ت 430 هـ). ص 149.

[591] الإبانة عن معاني القراءات ص 39.

إحتمالاً، وصحَّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحلُّ إنكارها"[592].

وهذا مشابهٌ لما كان عليه أهل البيت (ع)، شرط أن يُحذف (... ولو بوجه)، (... ولو إحتمالاً). فمصحف عثمان هو مصحف علي بن أبي طالب (ع) الذي طلبه الخليفة الثالث، كما سيتبين لنا عند تحقيق مخطوطة القرآن الكريم المنسوبة إلى خط الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ومقارنتها بمصحف عثمان.

وجوه الإختلاف التي أنكرها أهل البيت (ع):

ووجوه الإختلاف التي أنكرها أهل البيت (ع) هي التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، والإبدال، والقراءة الشاذة والموضوعة، وفي ذلك تفصيل:

أولاً: التقديم والتأخير: وهو إختلاف المعاني، ومثاله: قراءة: وجاءت سكرة الحق بالموت[593]، بينما في كتاب الله: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)[594].

ثانياً: الزيادة والنقصان: ومثاله:

---

[592] النشر ج 1 ص 9.

[593] المحتسب – ابن جني ج 2 ص 283. جامع البيان ج 26 ص 160.

[594] سورة ق: الآية 19.

1 – زيادة لفظ (صلاة العصر)، قالوا: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر[595]. وفي كتاب الله: (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)[596]. وفي تفسير أهل البيت (ع): أن الصلاة الوسطى: صلاة الظهر[597]، وليس صلاة العصر.

2 – نقصان حرفٌ من الحروف المقطعة في القرآن، قرأوا: حم سق[598]. وفي كتاب الله: (حم. عسق)[599].

3– نقصان (وما خلق) في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ)[600]، فقُرأت: الذكر والأنثى[601].

ثالثاً: الإبدال: وهو إبدال كلمة في القرآن بأخرى ليست منه، وهذا لاشك يُوهن إعجاز القرآن الكريم، ويغيّر معناه. وقد أبطلته المدرستان: مدرسة أهل البيت (ع)، ومدرسة الخلفاء معاً. ومن الإبدال:

1 – إبدال كلمة بأخرى، مثل: كالصوف المنفوش[602]، وفي كتاب الله: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ)[603].

---

[595] جامع البيان ج 2 ص 554. الجامع لأحكام القرآن ج 3 ص 213.

[596] سورة البقرة: الآية 238.

[597] معاني الأخبار – الشيخ الصدوق ص 331.

[598] المحتسب ج 2 ص 244.

[599] سورة الشورى: الآية 1– 2.

[600] سورة الليل: الآية 3.

[601] مختصر الشواذ – ابن خالويه ص 174.

2 – إبدال كلمة بأخرى مع تبديل المعنى. قراءوا: الم ذلك الكتاب[604]، في قوله تعالى: (الم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ...)[605].

و"جميع ما ورد فيما سبق لا يقرأ بشيء منها لمخالفتها رسم المصحف العثماني المجمع عليه"[606].

قال ابن الجزري (ت 833 هـ): "قد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً ويوافقه بعضها تقديراً نحو (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[607] فإنه كُتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تخفيفاً قراءةً، كما كُتب (مَلِكِ النَّاسِ)[608]. وقراءة الألف محتملة تقديراً، كما كُتب (مَالِكَ الْمُلْكِ)[609] فتكون الألف [في قوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[610]] حذفت اختصاراً"[611].

---

[602] بيان السبب ص 149.

[603] سورة القارعة: الآية 5.

[604] بيان السبب ص 150.

[605] سورة السجدة: الآية 1-2.

[606] بيان السبب ص 150.

[607] سورة الفاتحة: الآية 4.

[608] سورة الناس: الآية 2.

[609] سورة آل عمران: الآية 26.

[610] سورة الفاتحة: الآية 4.

[611] النشر ج 1 ص 11.

رابعاً: القراءة الشاذة والموضوعة: مثال القراءة الشاذة قوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[612]، قُرأت بصيغة الماضي في (مَلَكَ)، ونصب (يومَ) مفعولاً، فاصبحت: مَلَكَ يومَ الدين[613]. وهذه القراءة باطلة لأنها ليست من القرآن الكريم.

أدانَ أهل البيت (ع) القراءة الشاذة والموضوعة. وقيّدوا القراءة الصحيحة بفكرة: (إقرأوا كما عُلّمتم)[614] ، يعني من غير الشاذ ولا الموضوع.

في تفسير البرهان: "عن الحلبي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (ع) أنه كان يقرأ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[615]، وعن داود بن فرقد قال: سمعتُ أبا عبد الله (ع) يقرأ ما لا أحصي (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[616]، وعن الزهري قال الإمام علي بن الحسين (ع): (لو مات ما بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعدما يكون القرآن معي، وكان إذا قرأ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[617] يكررها حتى يكاد أن يموت"[618].

---

[612] سورة الفاتحة: الآية 4.

[613] الإتقان في علوم القرآن ج 1 ص 91.

[614] الكافي ج 2 ص 631 ح 15.

[615] سورة الفاتحة: الآية 4.

[616] سورة الفاتحة: الآية 4.

[617] سورة الفاتحة: الآية 4.

[618] تفسير العياشي ج 1 ص 23.

وأما القراءة الموضوعة فمثالها قراءة (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[619] برفع كلمة الله ونصب كلمة العلماء على قراءة الخزاعي عن أبي حنيفة[620] !

أما في صحة السند، فقد قالت مدرسة الخلفاء بأن "صحة السند نعني به أن يروي تلك القراءة العدل الضبط عن مثله كذا حتى تنتهي وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط، أو مما شذّ بها بعضهم"[621].

وهو مطابق أيضاً لأفكار مدرسة أهل البيت (ع)، وهي أن تكون القراءة عن راوٍ يتصف بالعدالة وهي الإستقامة على الدين والصدق، وهذا يسندها إلى راوٍ آخر عدل حتى يتصل سندها بعلي بن أبي طالب (ع) عن النبي (ص)، أو عن صحابي سمعها عن النبي (ص)، كابن مسعود، وابن عباس، وأُبيّ بن كعب، ونحوهم.

وطالما لم يتعرض الإمام الصادق (ع) إلى أيٍّ من أولئك القرّاء في زمانه (ع) بقدحٍ، فإن ذلك يدلّ على أن من قراءوا عليه (ع) لم يشذّوا عن طريقته في القراءة.

---

[619] سورة فاطر: الآية 28.

[620] البيان في تفسير القرآن ص 167.

[621] النشر ج 1 ص 13.

آثار القراءة الصحيحة على الأحكام الشرعية

ناقش الفقهاء على مر العصور بأدلة مختلفة موقف أهل البيت (ع) من القراءة الصحيحة المتعلقة بالأحكام الشرعية، ومنها: قراءة سورة الفاتحة في الصلاة، وما تعلق بالمسح على القدمين في الوضوء، وطهارة المرأة من الطمث، إضافة إلى مواضيع أخرى في الإرث والعقود.

الأول: القراءة في الصلاة: قال الشيخ الأنصاري (ت 1281 هـ) بخصوص قراءة سورة الفاتحة في الصلاة: "والحاصل: أن مدار اعتبار الخصوصيات في القراءة على أحد أمور ثلاثة:

أحدها: كونها مقومة للقرآنية من حيث المادة أو الصورة، وبه يثبت مراعاة الحروف، وترتيبها، وموالاتها، وحركات بُنية الكلمة ونحو ذلك.

الثاني: كونه مصححاً لعربيته، وبه يثبت وجوب مراعاة جميع قواعد العربية في الأبنية وإعراب الكلم.

الثالث: كونه مأثوراً عن النبي (ص)"[622].

بل "الذي تقتضيه القاعدة الأولية هو عدم جواز القراءة في الصلاة بكل قراءة لم تثبت القراءة بها من النبي (ص) أو من أحد أوصيائه المعصومين (ع)، لأن الواجب في الصلاة هو قراءة القرآن فلا يكفي قراءة شيء لم يحرز كونه قرآناً"[623].

---

[622] كتاب الصلاة – الشيخ الأنصاري ج 1 ص 360.

[623] البيان في تفسير القرآن ص 167 –168.

و"من يقرأ الفاتحة إنما قصده التلاوة دون الدعاء"[624]. وفي قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[625]: "القارئ إنما يقصد التلاوة دون الدعاء، ولو قصد الدعاء دون التلاوة لم يكن قارئاً للقرآن، ولم تصح صلاته"[626].

وقد ذكرنا سابقاً إن الإمام الصادق (ع) كان يقرأ (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[627] بالألف، وكذلك الإمام السجاد (ع) [628]، مع إنها تُكتَب في الرسم القرآني بغير ألف هكذا: (مَلِكِ) في جميع المصاحف، حُذفت الألف إختصاراً[629].

وقُرأت الصراط في (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[630] بالسين. والصاد لغة قريش، وعامة العرب يجعلها سيناً، وبه قرأ يعقوب الحضرمي[631]، وابن عباس[632].

---

[624] الإنتصار – الشريف المرتضى ص 145.

[625] سورة الفاتحة: الآية 6.

[626] غنية النزوع – ابن زهرة الحلبي ص 82.

[627] سورة الفاتحة: الآية 4.

[628] تفسير العياشي ج 1 ص 23.

[629] النشر ج 1 ص 11.

[630] سورة الفاتحة: الآية 6.

[631] تاج العروس ج 5 ص 153.

[632] الدر المنثور – السيوطي ج 1 ص 14.

الثاني: المسح على القدمين: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) [633]. تضمنت الآية جملتين، وصُرِّحَ فيها بحكمين:

"بدأ في الجملة الأولى بغسل الوجوه، ثم عُطِفت الأيدي عليها، فوجب لها من الحكم بحقيقة العطف مثل حكمها. ثم بدأ في الجملة الثانية بمسح الرؤوس، ثم عُطفت الأرجل عليها، فوجب أن يكون لها من الحكم بحقيقة العطف مثل حكمها، حسبما إقتضاه العطف في الجملة التي قبلها"[634].

اختلفَ القرّاءُ في قراءة (وأَرْجُلَكُمْ):

فقُرأت بالنصب قراءها: نافع بن عبد الرحمن الليثي، وعبد الله بن عامر، والكسائي، وحفص بن سليمان عن عاصم. قرؤوا (وَأَرْجُلَكُمْ) بالنصب[635]. ففُهِمتْ أنها غسلٌ للرجلين بدل مسحهما.

وقُرأت بالجرّ قراءها: عبد الله بن عباس، وابن كثير، وأبا عمرو بن العلاء، وأبا بكر شعبة بن عياش، وحمزة بن حبيب، عن عاصم بن أبي النجود. قرؤوا (وأَرْجُلِكُمْ) بالجر[636]. فُهمت أنها مسحٌ للرجلين.

أقول: في كلام العرب حملُ العطف على الأقرب من حروف العطف، كما في قوله تعالى: (وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ

---

[633] سورة المائدة: الآية 6.

[634] الجني الداني في حروف المعاني ص 158.

[635] الحجة للقرّاء السبعة ج 3 ص 214. حجة القراءات ص 221.

[636] الكشف عن وجوه القراءات ج 1 ص 406. حجة القراءات ص 223.

أَحَدًا)[637]، حيث أعمل (ظَنَنْتُمْ) في (أَنْ) لقربه منه، ولو أعمل (ظَنُّوا) في (أنْ) لوجب أن يُقال: (كما ظننتموه).

تقول العرب: مررتُ بزيدٍ وعمراً، ولستُ بقائمٍ ولا قاعداً.

والحاصل أن مؤدى القراءتين (بالنصب أو بالجر) هو واحد، وهو مسح القدمين.

قال الكراجكي (ت 449 هـ): "والنصب في هذه الأمثلة كلها إنما هو العطف على الموضع دون اللفظ، فيكون على هذا من قرأ الآية بنصب الأرجل كمن قرأها بجرّها، وهي في القراءتين جميعاً معطوفة على الرؤوس التي هي أقرب إليها في الذكر من الأيدي، ويخرج ذلك عن طريق التعسف. ويجب المسح بهما جميعاً.

وشيءٌ آخر وهو: أن حمل الأرجل في النصب على أن تكون معطوفة على الرؤوس أولى من حملها على أن تكون معطوفة على الأيدي؛ وذلك أن الآية قد قُرئت بالجرّ والنصب معاً، والجرّ موجبٌ للمسح، لأنه عطف على الرؤوس.

فمن جعل النصب إنما هو لعطف الأرجل على الأيدي أوجب الغسل، وأبطل حكم القراءة بالجرّ الموجب للمسح.

ومن جعل النصب إنما هو لعطف الأرجل على موضع الرؤوس أوجب المسح الذي أوجبه الجرّ، فكان مستعملاً للقراءتين جميعاً، غير مبطلٍ لشيءٍ منهما، ومن استعملهما فهو أسعد ممن استعمل أحدهما"[638].

---

[637] سورة الجن: الآية 7.

روي عن الإمام علي (ع) أنه قال: (أن كتاب الله تعالى أتى بالمسح، ويأبى الناس إلا الغسل)[639]. وروي عنه أيضاً أنه (ع) قال عن صفة الوضوء: (غسلتان ومسحتان)[640]. وقال (ع): (ما نزل القرآن إلا بالمسح)[641].

وبالإجمال، فإن قراءتها بالنصب أو الجر يقتضي مسح الرجلين. ولذا ترى أن بعض القرّاء من مدرسة أهل البيت (ع) قراءها بالجر، وبعض آخر قراءها بالنصب؛ والنتيجة العملية واحدة.

الثالث: الطهارة من الطمث: قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ...)[642] قُرأت بالتشديد أيضاً. وهي حرمة وطء الحائض بعد نقائها من الطمث وقبل أن تغتسل.

ذكر القرطبي (ت 671 هـ) في: " قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ...)[643] قال ابن العربي: سمعتُ الشاشي في مجلس النظر يقول: إذا قيل لا تَقربْ (بفتح الراء) كان معناه: لا تلبس بالفعل، وإن كان بضم الراء: لا تقرُبْ، كان معناه: لا تدنُ منه. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير،

---

[638] القول المبين عن وجوب مسح الرجلين – الكراجكي ص 25.

[639] تهذيب الأحكام – الشيخ الطوسي ج 1 ص 63 ح 23.

[640] تهذيب الأحكام ج 1 ص 63 ح 25.

[641] تهذيب الأحكام ج 1 ص 63 ح 24.

[642] سورة البقرة: الآية 222.

[643] سورة البقرة: الآية 222.

وابن عامر، وعاصم في رواية حفص عنه (يطْهُرن) بسكون الطاء وضم الهاء. وقرأ حمزة، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل (يطَّهَّرن) بتشديد الطاء والهاء وفتحهما. وفي مصحف أُبيّ، وعبد الله (يتطهرن). وفي مصحف أنس بن مالك: ولا تقربوا النساء في محيضهن واعتزلوهن حتى يتطهرن.

ورجح الطبري قراءة تشديد الطاء. وقال: هي بمعنى يغتسلن، لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع الدم حتى تطهر"[644].

ولنذهب إلى كتاب الطبري (ت 310 هـ)، وهو (جامع البيان)، لنرى دقة ما ذُكر: "حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عبيد الله العتكي، عن عكرمة في قوله: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ...)[645]، قال: حتى ينقطع الدم. وأما الذين قرأوا ذلك بتشديد الهاء وفتحها، فإنهم عنوا به: حتى يغتسلن بالماء، وشددوا الطاء لأنهم قالوا: معنى الكلمة: حتى يتطهرن أدغمت التاء في الطاء لتقارب مخرجيهما.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: (حتى يطَّهَّرن) بتشديدها وفتحها، بمعنى: حتى يغتسلن، لإجماع الجميع على أن حراماً على الرجل أن يقرب امرأته بعد انقطاع دم حيضها حتى تطهر..."[646]. ثم

---

[644] الجامع لأحكام القرآن ج 3 ص 56.

[645] سورة البقرة: الآية 222.

[646] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج 4 ص 384.

قال: " فإذا كان إجماعٌ من الجميع أنها لا تحل لزوجها بانقطاع الدم حتى تطهر، كان بيّناً أن أولى القراءتين بالصواب أنفاهما للبس عن فهم سامعها، وذلك هو الذي اخترنا، إذ كان في قراءة قارئها بتخفيف الهاء وضمها ما لا يؤمن معه اللبس على سامعها من الخطأ في تأويلها، فيرى أن للزوج غشيانها بعد انقطاع دم حيضها عنها وقبل اغتسالها وتطهرها، فتأويل الآية إذن: ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا جماع نسائكم في وقت حيضهن ولا تقربوهن حتى يغتسلن فيتطهرن من حيضهن بعد انقطاعه"[647].

والشيخ الصدوق (ت 381 هـ) يؤكد الغسل، قال في "قوله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ...)[648] عني بذلك الغسل من الحيض"[649]. لكن الشيخ النجفي (ت 1266 هـ) في (جواهر الكلام) ناقش الموضوع بالقول: "... وبذلك يظهر لك دلالة قوله تعالى: (حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ...) في قراءة التخفيف على الجواز [أي جواز الوطء قبل الغسل] أيضاً المؤيدة بما يشعر به لفظ (المحيض) في السابق، وعدم ثبوت الحقيقة في لفظ الطهر بالنسبة للكتاب، وبما ورد أن غسل الحيض سنّة في مقابلة الواجب من الكتاب، وهي وإن كانت معارضة بقراءة التشديد المؤيدة بقوله تعالى: (... فَإِذَا

---

[647] جامع البيان ج 4 ص 384.

[648] سورة البقرة: الآية 222.

[649] المقنع – الشيخ الصدوق ص 322. ومن لا يحضره الفقيه ج 1 ص 95.

تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ...)[650]، وبإمكان إرجاع قراءة التخفيف إليها بإرادة الطهارة الشرعية سيما على القول بثبوت الحقيقة الشرعية، لكن ارتكاب التأويل في الثانية أرجح لما عرفت فتُحمل عليه، لمجئ (تفعل) بمعنى (فعل)، نحو تطعمت بمعنى طعمت، قيل ومنه المتكبر في أسماء الله بمعنى الكبير. وربما أولت بحمل النهي فيها على الكراهة على أن يراد النهي عن المباشرة بعد انقطاع الدم لسبق العلم بتحريمها حالة الحيض من صدر الآية، أو يراد مطلق المرجوحية التي هي أعم منها ومن الحرمة على عموم المجاز، بل لعله أولى لما فيه من المحافظة على توافق القراءتين، ويُراد بالمعلّق في قوله تعالى: (...فَإِذَا تَطَهَّرْنَ...)[651] الإباحة بالمعنى الأخص، وإن أبيتَ عن ذلك كان المتَجه: التخيير، لكونها بمنزلة الخبرين وهو موافق للمطلوب، وربما حملت قراءة التشديد على إرادة غسل العضو، وهو مبني على اشتراط حلية الوطء بذلك، كما هو صريح (الغُنية)، وظاهر (الخلاف)، و(المبسوط) وغيرهما، بل نقل في (كشف اللثام) عن ظاهر الأكثر، وربما استظهر من الأول الإجماع عليه..."[652].

لكن العلامة المجلسي (ت 1111 هـ) كان قد أخذ بشدة على الذين قالوا بالطهارة بمجرد انقطاع الدم، فقال: " قال عزوجل في الحائض: (...حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)[653] فجعل الغسل

---

[650] سورة البقرة: الآية 222.

[651] سورة البقرة: الآية 222.

[652] جواهر الكلام ج 3 ص 207.

[653] سورة البقرة: الآية 222.

بعد الطهارة عن الدم تطهيراً لبدن الحائض، والتطهير إنما يؤذن عن وجود قذارة ولو لم نشاهدها. فكيف يُعقل ويُتصور أن يكون العبد ممتثلاً لقوله تعالى: (...فَاطَّهَّرُوا...)[654] وهو يعيد القذارة التي كانت على بدنه في المرة الأولى ... بل هو لعبٌ بكتاب الله وسنّة نبيه (ص) حيث زاد اللوث على اللوث وجعل فعله ذلك ديناً وإمتثالاً لأمره تعالى بالتطهير والتطهر... أقول [ولا زال القول للمجلسي]: إنما أطنبتُ الكلام في شرح هذا الخبر، لتكرره في الأصول، ودورانه على الألسن، واشتباهه على المتقدمين والمتأخرين، ولا تكاد تجدُ في كتابٍ أجمعَ مما أوردنا إلا من أخذ منا"[655].

---

[654] سورة المائدة: الآية 6.

[655] بحار الأنوار ج 77 ص 145 – 146.

الفصل الرابع

القراءات القرآنية: البُعد النحوي (الصوتي)

مقدمة. الأسس الصوتية للقراءات: الأول: التعامل مع الهمزة. الثاني: المُضارعة (المماثلة والتشابه). الثالث: إختلاس الحركة. الرابع: التفخيم والترقيق. تدوين علم القراءات: مدرسة أهل البيت (ع). مدرسة الخلفاء. الرد على فكرة ارتباط القراءات المتعددة بالوحي.

مقدمة

نقصد بالبعد النحوي (الصوتي) في القراءات: تأثر الأصوات اللغوية فيما بينها خلال أداء الحروف المتقاربة، أو نحوها. وهو أحد أسباب نشوء القراءات المختلفة للقرآن الكريم. ولاشك أن هناك صلة بين الصوت في اللغة وبين بُنية الكلمة، كما سيأتي:

وأود أن أنوِّه إلى إننا عرضنا قراءات مختلف القرّاء في هذا الفصل عدا عاصم تفادياً للتكرار، وأفردنا لقراءة حفص عن عاصم مساحة واسعة في الفصل الخامس.

الأسس الصوتية للقراءات:

من الأسس الصوتية التي تُبحث بسبب تأثيرها على شكل الكلمة أربعة أسس:

الأول: أحوال الهمزة بين التحقيق والتسهيل.

الثاني: المضارعة أي (المماثَلة والتشابه) أو (الإمالة والإدغام).

الثالث: إختلاس الحركة.

الرابع: التفخيم والترقيق.

الأول: التعامل مع الهمزة:

لاشك أن التقاء الهمزتين يسبب ثقلاً في التلفظ ، لذلك اختلفت الآراء في تحقيقها، أو تخفيفها، أو تسهيلها، كما في التقريب التالي:

أ – الهمزتان المتقاربتان – المختلفتا الإعراب: عندما تلتقي همزتان في كلمتين، وهما مختلفتي الإعراب، كان العرب من القبائل البدوية من تميم وما جاورها يحققون الهمزة، إلا أن عرب الحجاز كانوا يسهلّون نطق الهمزة، وفي ذلك خمسة أوجه وردت في القرآن الكريم، ووجهٌ لم يأتِ في القرآن، كما ذكر كتاب (حجة القراءات) لأبي زرعة (ت 403 هـ):

1 – الهمزة المضمومة التي بعدها همزة مفتوحة كقوله تعالى: (السُّفَهَاءُ أَلَا)[656]، فتهمز الأولى همزة (السُّفَهَاءُ) وتخفَّف الثانية وهي همزة (أَلَا) وتنحو بها نحو الألف، أي تميل بنطق الهمزة نحو الألف.

2 – الهمزة المضمومة التي بعدها همزة مكسورة، كقوله تعالى: (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا)[657]، فتحقق الهمزة الأولى في كلمة (الشُّهَدَاءُ) وتنحو بالثانية همزة (إِذَا) نحو الياء من غير أن تكسرها.

3 – الهمزة المفتوحة التي بعدها همزة مكسورة كقوله تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ)[658]، فتحقق الهمزة الأولى همزة (شُهَدَاءَ) وتنحو بالثانية همزة (إِذْ)، نحو الياء من غير أن تكسرها.

4 – الهمزة المفتوحة التي بعدها همزة مضمومة كقوله تعالى: (كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ)[659]، فتحقق الهمزة الأولى في كلمة (جَاءَ) وتنحو بالثانية همزة (أُمَّةً)، نحو الواو من غير ضمّ.

---

[656] سورة البقرة: الآية 13.

[657] سورة البقرة: الآية 282.

[658] سورة البقرة: الآية 133.

[659] سورة المؤمنون: الآية 44.

5 – الهمزة المكسورة التي بعدها همزة مفتوحة كقوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ)[660]، فتحقق الهمزة الأولى في (السَّمَاءِ) وتنحو بالهمزة الثانية همزة (أَنْ) نحو الألف.

وتنسب هذه الأوجه من القراءة إلى نافع وابن كثير وأبي عمرو. وحجتهم في تلك القراءة هي: أنّ العرب تستثقل الهمزة الواحدة فتخفّفها في أخفّ أحوالها، وهي ساكنة نحو (كاس) فتقلب الهمزة ألفاً، فإذا كانت تخفف وهي وحدها، فإن تخفّف ومعها مثلها أولى"[661]. "أما ابن عامر وأهل الكوفة فقد قرءوا بهمزتين في جميع تلك الأوجه، وحجتهم في تلك القراءة أنهم أرادوا التحقيق وتوفية كل حرف حقّه من حركته ونصيبه من الإعراب"[662].

6 – الهمزة المكسورة التي بعدها همزة مضمومة، مثل قولهم: (هؤلاءِ أُمراء) ولم يأتِ منها في القرآن.

ب – الهمزتان المتقاربتان – المتفقا الإعراب: وإذا التقت الهمزتان وهما متفقتان في الإعراب وذلك أن تكونا مكسورتين كهمزة (هَؤُلَاءِ) وهمزة (إِنْ) في قوله تعالى: (هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ)[663]، أو تكونا مفتوحتين كهمزة (جَاءَ)

---

[660] سورة الملك: الآية 16.

[661] حجة القراءات ص 90 – 91.

[662] حجة القراءات ص 91.

[663] سورة البقرة: الآية 31.

وهمزة (أَمْرُنَا) في قوله تعالى: (جَاءَ أَمْرُنَا)[664]، أو تكونا مضمومتين كالهمزة الأخيرة في (أَوْلِيَاءُ) والهمزة الأولى في (أُولَٰئِكَ) في قوله تعالى: (أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ)[665]، فهناك قراءات:

فقرأ ابن عامر وأهل الكوفة جميع ذلك بتحقيق الهمزتين. وقرأ ورش عن نافع، والقواس عن ابن كثير بتحقيق الهمزة الأولى وتليين الثانية والإشارة بالكسر إليها. وفي المفتوحتين الإشارة بالفتح إليها، وفي المضمومتين الإشارة بالضم إليها[666].

وقد قرر سيبويه (ت 180 هـ) قائلاً: "وليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققا، فمن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة، وهو قول أبي عمرو: وذلك قولك: فقد جا أشراطها ، (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ)[667] ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة. سمعنا ذلك من العرب. وهو قولك: (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا)[668]، ويا زكرياءُ إنا نبشرك"[669].

---

[664] سورة هود: الآية 40.

[665] سورة الأحقاف: الآية 32.

[666] حجة القراءات ص 92.

[667] سورة مريم: الآية 7.

[668] سورة محمد: الآية 18.

[669] كتاب سيبويه ج 3 ص 549.

ج – تسهيل أحدى الهمزتين المتجاورتين: ومن أمثلتها: قوله تعالى: (قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ)[670].

1 – قرأ ابن كثير وابن محيصن والزهري[671] بحذف همزة الاستفهام في (ألله).

2 – قرأ أبو عمرو، ونافع، وقالون وغيرهم بتسهيل الهمزة الثانية وإدخال الألف بين الهمزتين[672].

3 – قرأ ابن كثير وورش بتسهيل الثانية وعدم إدخال الألف[673].

4 – قرأ ورش بإبدال الهمزة الثانية ألفاً[674].

5 – قرأ ابن عامر بألف بين همزتين[675].

د – تسهيل الهمزة الواحدة: حاول بعض القراء تسهيل قراءة الهمزات الساكنة، مثلاً: قرأ أبو عمرو وورش عن نافع[676] (يُومِنُونَ) بغير همز في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)[677]، وقرأ أيضاً (يَاكُلُونَ) بغير همز في

---

[670] سورة يونس: الآية 59.

[671] تفسير الرازي ج 1 ص 178.

[672] إتحاف فضلاء البشر ص 128.

[673] إعراب القرآن – النحاس ج 1 ص 34.

[674] غيث النفع – الصفاقسي ص 77.

[675] مجمع البيان ج 1 ص 41، والكشاف – الزمخشري ج 1 ص 26.

[676] غيث النفع ص 119.

[677] سورة البقرة: الآية 2.

قوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ)[678]، وقرأ أيضا (تومرون) بغير همز في قوله تعالى: (تُؤْمَرُونَ)[679]. وقرأ ورش أيضاً قوله تعالى: (لَا يُؤَاخِذُكُمُ)[680] بغير همزة متحركة: (لا يُواخِذُكُمُ)، وقرأ (لَا يُؤَدِّهِ)[681] بغير همزة متحركة: (لَا يُودِّهِ)[682]. ويهمز أبو عمرو الهمزة المتحركة، بينما يهمز غيره الهمزة المتحركة والساكنة.

الثاني: المُضارَعة (المماثلة والتشابه)

قال سيبويه في باب (المُضارَعة): "هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه"[683]. ومنشأ المضارعة، وهي المشابهة والمماثلة، هو تأثر الأصوات بعضها ببعض، فتؤدي إلى المماثلة التامة (الإدغام)، وأحياناً إلى المماثلة الجزئية (الإمالة والإشمام). وفيما يلي شرحٌ لها مع أمثلة من القراءات:

---

[678] سورة البقرة: الآية 275.

[679] سورة البقرة: الآية 68.

[680] سورة البقرة: الآية 225.

[681] سورة آل عمران: الآية 75.

[682] إتحاف فضلاء البشر ص 157.

[683] كتاب سيبويه ج 2 ص 404، و426.

1 – التماثل الكلي: ويسمى في القراءات القرآنية بالإدغام. والإدغام هو "أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله، من غير أن تفصل بينهما بحركة، أو وقف، فيرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة"[684]. والإدغام على نوعين:

أ – إدغام المتماثلين: ويحصل هذا الإدغام بصورتين:

الأولى: عند إجتماع حرفين متماثلين في نفس الكلمة، كأن يكون الأول منهما ساكناً في الأصل كالطاء في (قطّع)، وأصلها (قططَع)، وكأن يكون متحركاً مثل الميم الأولى من (شمَّ) وأصلها (شَمِمَ).

الثانية: عند إجتماع حرفين متماثلين في كلمتين متجاورتين، بحيث يكون الأول ساكناً والثاني متحركاً مثل: (اضْرِبْ بِعَصَاكَ)[685]، و(قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ)[686]. ولكن إذا التقى المتماثلان المتحركان في كلمة واحدة وجب الإظهار كما في قوله تعالى: (مَنَاسِكَكُمْ)[687]. ولكن أبو عمرو ويعقوب خالفا القاعدة وقرئا: (مَنَاسِكُّمْ) بالإدغام[688].

ب – إدغام المتقاربين: وذلك عندما يتجاور حرفان متقاربان كالتالي:

---

[684] التكملة – الفارسي ص 273 .

[685] سورة البقرة: الآية 60.

[686] سورة الأنعام: الآية 145.

[687] سورة البقرة: الآية 200.

[688] التيسير في القراءات السبع ص 20.

الأول: تماثل حرفين متقاربين في الكلمة الواحدة مثل: إدغام اللام من (ال) التعريف فيما يليها من الحروف الشمسية. مثلاً اللام تدغم في كلمة (التَّائِبُونَ)[689] فتلفظ (اتَّائِبُونَ) بإدغام اللام.

الثاني: تماثل حرفين متقاربين في كلمتين، وفيه:

أ – الإدغام التام: وهو فناء صوت حرفٍ في صوت حرفٍ آخر، فيصبح الصوتان المتقاربان صوتين متماثلين في المخرج ، وهو إدغام بغير غنّة. ومثاله مجاورة صوت النون الساكنة أو التنوين مع صوت اللام أو الراء، كما في قوله تعالى: (بَلْ نَتَّبِعُ)[690]. وفي قراءة الكسائي تدغم اللام في النون في قوله تعالى: (بَلْ نَتَّبِعُ)[691]. وفي قراءة ابن عامر والكسائي وغيرهم تدغم الدال في الضاد[692] في قوله تعالى: (فَقَدْ ضَلَّ)[693].

ب – الإدغام الناقص: عدم فناء صوت أحد الحرفين فناءً تاماً بالآخر. بل تبقى غنّة النون (وهو خروج الهواء من اليخشوم) بعد إدغامها في الواو أو الياء، كما في قراءة قوله تعالى: (مِنْ وَرَائِهِمْ)[694]، وقوله تعالى: (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ)[695].

---

[689] سورة التوبة: الآية 112.

[690] سورة البقرة: الآية 170.

[691] سورة البقرة: الآية 170.

[692] غيث النفع ص 134.

[693] سورة البقرة: الآية 108.

[694] سورة الجاثية: الآية 10.

[695] سورة الكهف: الآية 17.

و"في قراءة أبي عمرو، ويعقوب، وابن محيصن أُدغمت الهاء في الهاء في قوله تعالى: (فِيهِ هُدًى)[696]، بعد إسكان الأول من المثلين وتحريك الثاني، فيُنطق عندئذٍ حرفاً واحداً مشدداً، وقرأ الباقون بالإظهار"[697]. قال أبو زرعة (ت 403 هـ): "أن الحجة في الإدغام، أي إسكن الحرف الأول وأدغم في الثاني، هو ليعمل اللسان مرة واحدة. وشبّه الخليل ذلك بالمقيَّد إذا رفع رجله في موضع ثم أعادها إليه ثانية، قال: والذي أوجب الإدغام هو أن يثقل على اللسان رفعه من مكان وإعادته في ذلك المكان أو فيما يقرب منه، وشبّه غيره بإعادة الحديث مرتين"[698].

2 – التماثل الجزئي: هو نتيجة تقارب الصوتين المتجاورين حيث يؤثر أحدهما في الآخر من دون فناء أحد الصوتين فناءً تاماً، ويكون في:

أ – التماثل الجزئي في الحروف الصحاح (الصوامت): والحروف الصوامت هي حروف يصحبها، عند النطق بها، تقاربٌ بين عضوي النطق كالشفة السفلى والعليا، أو اللسان والحنك، مثل: ب، ت، ث، ج.

ومن التماثل الجزئي أيضاً " أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صاداً. وذلك كقولهم في سقت: صقت، وفي السوق:

---

[696] سورة البقرة: الآية 2.

[697] الحجة في القراءات السبع – ابن خالويه ص 63.

[698] حجة القراءات ص 84.

الصوق"[699] ، وهي بالصاد لهجة قريش، أما غيرهم من القبائل فيختلفون في ذلك. " قال الفراء: ونفر من بلعنبر يصيّرون السين – إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء – صاداً وذلك أن الطاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصوت، فقلبت السين صاداً صورتها صورة الطاء واستخفّوها، ليكون المخرج واحداً كما استخفّوا الإدغام فمن ذلك قولهم الصراط والسراط، قال: وهي بالصاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب. قال: وعامة العرب تجعلها سيناً " [700].

وحينما تُقلب السين صاداً أو الصاد سيناً فقد حُملّت صفة الإطباق، ومن ذلك قولهم الصراط والسراط.

قُرأتْ (الصِّرَاطَ) في قوله تعالى: (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[701]، على ثلاثة وجوه:

الأول: قرأ ابن كثير، والكسائي، وأبو عمرو، ويعقوب: (السِّرَاطَ) بالسين على الأصل[702]. قال ابن منظور: "الصراط لغة في السراط، والصاد أعلى لمكان المضارعة، وإن كانت السين هي الأصل"[703].

الثاني: قرأ أبو عمرو، وحمزة، والدوري بإشمام الصاد زاياً أي بنطقها بين الصاد والزاي[704]. ذلك لأن "الصاد التي كالزاي، هي التي يقلّ همسها

---

[699] الخصائص – ابن جني ج 2 ص 42.

[700] لسان العرب ج 7 ص 313.

[701] سورة الفاتحة: الآية 6.

[702] إتحاف فضلاء البشر ص 123.

[703] لسان العرب ج 7 ص 313.

قليلاً، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي"[705]. قال سيبويه معللاً عدم إبدالها زياً خالصة: "ولم يبدلوها زياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق"[706].

الثالث: قرأ حمزة، وأبو عمرو أيضاً (الصِّرَاطَ) بالزاي اي "الزِّرَاطَ"، وخطأها الفراء، فقال: " فأما ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم "الزراط" بالزاي المخلصة، فخطأ إنما سَمِعَ المضارعة فتوهمها زاياً، ولم يكن الأصمعي نحوياً فيؤمّن على هذا"[707].

والظاهر أن قراءة (الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ) عند أهل البيت (ع) بالسين. وفي ذلك نصوص:

" أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والبخاري في تأريخه، وابن الأنباري عن ابن عباس أنه قرأ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[708] بالسين. وأخرج ابن الأنباري عن عبد الله بن كثير أنه كان يقرأ (الصِّرَاطَ) بالسين"[709].

---

[704] إعراب القرآن ج 1 ص 124.

[705] سر صناعة الإعراب – ابن جني ج 1 ص 50.

[706] كتاب سيبويه ج 2 ص 426.

[707] لسان العرب ج 7 ص 314.

[708] سورة الفاتحة: الآية 6.

[709] الدر المنثور – السيوطي ج 1 ص 14.

في قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) [710]: "الصاد والزاي لغتان فيه، و(الصاد) أعلى للمضارعة وإن كانت (السين) هي (الأصل). قال الفراء: والصاد لغة قريش، وعامة العرب يجعلها سيناً، وبه قرأ يعقوب الحضرمي"[711].

أقول: أن ابن عباس، ويعقوب الحضرمي قراءا القرآن الكريم على أئمة أهل البيت (ع).

ب – التماثل الجزئي في الحركات (الصوائت): الصوائت هي حركات عند النطق بها يصحبها تقاربٌ أقل بين الشفة السفلى والعليا، أو اللسان والحنك. مثل: الفتحة (َ)، والضمة (ُ)، والكسرة (ِ)، والفتحة الطويلة أو الألف (َا) وهي ألف مسبوقة بفتحة، والضمة الطويلة (ُو) وهي واو مسبوقة بضمة، والكسرة الطويلة (ِي) وهي ياء مسبوقة بكسرة. وتستخدم: أ، و، ي للدلالة على الصوائت الطويلة.

ومن التماثل الجزئي: الإمالة والإشمام.

الإمالة: وهو العدول بالألف عن استوائه إلى الياء، "ليتجانس الصوت"[712]. أو "أن تذهب بالفتحة جهة الكسرة"[713]. بمعنى أن الإمالة هو جنوحٌ بالألف إلى صوت الياء، وبالفتحة إلى صوت الكسرة، فعندها ينسجم الصوت.

---

[710] سورة الفاتحة: الآية 6.

[711] تاج العروس ج 5 ص 153.

[712] شرح المفصل للزمخشري – ابن يعيش ج 9 ص 53.

[713] أوضح المسالك – ابن هشام ج 2 ص 179.

وهي على أنواع:

الأول: الإمالة في الألف نحو الياء: قرأ حمزة (خَافُوا)[714] بالإمالة للألف بعد الخاء[715].

قال النحويون: لا تحدث الإمالة مع الحروف المستعلية، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والخاء، وكان على رأسهم سيبويه (ت 180 هـ) حيث قال: "وإنما مُنعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في (مساجد) ونحوها، فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف، كان العمل من وجه واحد أخف عليهم، كما أنّ الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخفّ عليهم فيدغمونه"[716].

ومع أن سيبويه قد استنكر مَن أمالَ الألف مع الحروف المستعلية قائلاً: " ولا نعلم أحداً يميل هذه الألف إلا من يأخذ بلغته"[717]، إلا أنه استثنى حالة خاصة وهي قراءة (خاف) بالإمالة على الرغم من وجود الخاء، " لأنه يروم الكسرة التي خُفَّت كما نحا نحو الياء"[718].

---

[714] سورة النساء: الآية 9.

[715] إتحاف فضلاء البشر ص 186.

[716] كتاب سيبويه ج 4 ص 129.

[717] كتاب سيبويه ج 4 ص 129.

[718] كتاب سيبويه ج 4 ص 131.

ومن قراءات إمالة الألف مع تجاوز الخاء والعين: قرأ حمزة بالإمالة[719]: (فَمَنْ خَافَ)[720]، وقرأ (زَاغَ)[721] بالإمالة[722].

وقرأ حمزة، وهشام، وابن ذكوان، والداجوني بالإمالة[723]: (وَخَابَ)[724].

وقراءات إمالة الألف مع الحروف غير المستعلية: قراءة حمزة، والكسائي، ونافع، وأبو عمرو، وخلف في قوله تعالى: (وَالضُّحَىٰ. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ)[725]، بإمالة الألف في (الضُّحَى) نحو الياء[726].

وقرأ بالإمالة حمزة[727] في (جَاءَ)[728]، وقرأ حمزة، والكسائي وخلف بالإمالة[729] آية: (اسْتَوَىٰ)[730].

---

[719] إعراب القرآن ج 1 ص 234.

[720] سورة البقرة: الآية 182.

[721] سورة النجم: الآية 17.

[722] إتحاف فضلاء البشر ص 402.

[723] النشر ج 2 ص 60.

[724] سورة إبراهيم: الآية 15.

[725] سورة الضحى: الآية 1-2.

[726] النشر ج 2 ص 37.

[727] غيث النفع ص 192.

[728] سورة النساء: الآية 43.

[729] إتحاف فضلاء البشر ص 132.

[730] سورة البقرة: الآية 29.

وقرأ بالإمالة حمزة، والكسائي، وورش[731] قوله تعالى: (فَسَوَّاهُنَّ)[732].

الثاني: إمالة الفتحة نحو الضمّة: وهذه الحركة هي "التي تكون قبل ألف التفخيم، وذلك نحو: الصلاة، والزكاة، ودَعُا، وغَزُا، وقُام، وصُاغ، وكما أن الحركة أيضاً هنا قبل الألف ليست فتحة محضة، بل هي مشوبة بشيء من الضمّة. فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفاً محضة، لأنها تابعة لحركة هذه صفتها، فجرى عليها حكمها"[733].

وقد يسأل سائل لماذا كُتبت: الصلاة، والزكاة، والحياة بالصورة التالية: (الصلوة)، (الزكوة)، (الحيوة)؟ أجاب ابن جني (ت 392 هـ) على ذلك وقال: "كتبوا الصلاة والزكوة والحيوة بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا (إحديهما) و(سوّيهُنّ) بالياء، لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة"[734].

الثالث: إمالة الكسرة نحو الضمّة (الإشمام): والإشمام هو: الكسرة المشوبة بالضمّة "مثل: (قُيِلَ)، و(بُيِع)، و(غُيِض)، و(سُيِق). وكما أن الحركة قبل

---

[731] إتحاف فضلاء البشر ص 132.

[732] سورة البقرة: الآية 29.

[733] سر صناعة الإعراب ج 1 ص 52.

[734] سر صناعة الإعراب ج 1 ص 50.

هذه الياء المشوبة بالضمّة، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو"[735].

"قرأ كلّ من الكسائي، ونافع، ويعقوب، وهشام، والأعمش، وغيرهم: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ)[736] بإشمام كسرة القاف بالضمّ"[737].

نسب أبو زرعة تلك القراءة إلى " الكسائي، وقال: كذلك يفعل في (وَغِيضَ)[738]، (سِيءَ)[739]، (وَحِيلَ)[740]، (وَجِيءَ)[741]، (وَسِيقَ)[742]. وقال مبيّناً حجة الكسائي في الإشمام: " لما كان الأصل في كل ذلك (فُعِلَ) بضم الفاء التي يدل ضمّها على ترك تسمية الفاعل، أشار في أوائلهنّ إلى الضمّ لتبقى بذلك دلالة على معنى ما لم يسمَّ فاعله، وأنَّ القاف كانت مضمومة"[743].

---

[735] سر صناعة الإعراب ج 1 ص 50.

[736] سورة البقرة: الآية 11.

[737] حجة القراءات ص 89 – 90.

[738] سورة هود: الآية 44.

[739] سورة هود: الآية 77.

[740] سورة سبأ: الآية 54.

[741] سورة الزمر: الآية 69.

[742] سورة الزمر: الآية 71.

[743] حجة القراءات ص 90.

الرابع: إمالة الضمّة نحو الكسرة: وهي الضمّة المشوبة بروائح الياء كما عبّر النحاة عن ذلك[744]، وقال: " كلمتي: (مذعُور)، و(ابن بُور) نحّوت بضمّة العين والباء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئاً من الكسرة. وهذه الحروف تتبع الحركات قبلها، فكما أن الحركة مشوبة غير مُخلَصة، فالحرف اللاحق بها أيضاً في حكمه"[745].

وقد ورد في القراءات إمالة الواو الصحيحة نحو الكسرة، ذلك أن "الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح"[746].

ومنها: قراءة أبي عمرو، والكسائي، وحمزة: (لِلتَّقْوَىٰ)[747] بإمالة الواو نحو الياء[748].

وقراءة حمزة، والكسائي، وخلف: (وَالتَّقْوَىٰ)[749] بالإمالة[750]. وقراءة حمزة، والكسائي، وورش (مَأْوَاهُمْ)[751] بالإمالة أيضاً[752].

---

[744] سر صناعة الإعراب ج 1 ص 53.

[745] سر صناعة الإعراب ج 1 ص 53.

[746] سر صناعة الإعراب ج 1 ص 20.

[747] سورة المائدة: الآية 8.

[748] غيث النفع ص 201.

[749] سورة المائدة: الآية 2.

[750] إتحاف فضلاء البشر ص 198.

[751] سورة النساء: الآية 121.

[752] غيث النفع ص 125.

الثالث: إختلاس الحركة:

والاختلاس هو ضعف الإعتماد على الحركة، و"عدم إكمال النطق بها فيأتي القارئ بثلثيها أو بأكثرها"[753]. قال النحاة: "فأما الحركة الضعيفة المختلسة كحركة همزة بين بين وغيرها من الحروف التي يراد اختلاس حركاتها تخفيفاً، فليست حركة مُشَمَّة شيئاً من غيرها من الحركتين، وإنما أُضعف اعتمادها، وأُخفيت لضرب من التخفيف، وهي بزنتها إذا وُقّيت ولم تختلس"[754]. ومن مصاديق ذلك:

"قرأ أبو عمرو، والدوري: (بَارِئِكُمْ) في قوله تعالى: (فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ)[755] باختلاس الحركة أي مختلساً غير ممكّن كسر الهمزة، وقرأ الباقون بإشباع الحركة على الأصل"[756]. والذي رواه مصنف كتاب (الخصائص) "اختلاس هذه الحركة لا حذفها البتة، وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القرّاء الذين رووه ساكناً"[757].

"وقرأ أبو عمرو، وابن محيصن قوله تعالى: (يَأْمُرُكُمْ)[758] باختلاس حركة الراء، وقرأ نافع قوله تعالى (فِيهِ هُدًى)[759] باختلاس كسرة الهاء"[760].

---

[753] إتحاف فضلاء البشر ص 136.

[754] سر صناعة الاعراب ج 1 ص 56.

[755] سورة البقرة: الآية 54.

[756] اعراب القرآن ج 1 ص 76.

[757] الخصائص ج 1 ص 72.

[758] سورة البقرة: الآية 169.

[759] سورة البقرة: الآية 2.

الرابع: التفخيم والترقيق:

إرادة القارئ في تقوية الحرف الخارج من الحنجرة أو تضعيفه، خصوصاً في حرفي اللام والراء.

التفخيم: هو تقوية الحرف عند إخراجه بحيث يخرج جسيماً قوياً ويرادفه التغليظ. لكن التفخيم يُستعمل في الراء، والتغليظ يُستعمل في اللام.

ويختص التفخيم بحروف الاستعلاء، وهي: الخاء، والصاد، والضاد، والعين، والطاء، والقاف، والظاء. جمعها النحاة في قولهم: (حض ضغط قظ).

وحروف الإطباق الأربعة لها تفخيمٌ أقوى، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء.

وللتفخيم مراتب تتدرج من القوة إلى الضعف، منها:

1 – في المفتوح الذي بعده ألف، مثل: (طَائِعِينَ)[761].

2 – في المفتوح الذي ليس بعده ألف، مثل: (طَلَبًا)[762].

3 – في المضموم، مثل: (يَسْطُرُونَ)[763].

4 – في الساكن، مثل: (أَطْعَمَهُمْ)[764].

---

[760] إتحاف فضلاء البشر ص 252.

[761] سورة فصلت: الآية 11.

[762] سورة الكهف: الآية 41.

[763] سورة القلم: الآية 1.

[764] سورة قريش: الآية 4.

5 – في المكسور، مثل: (طِبْتُمْ)[765].

حكم اللام: تُفخم اللام في لفظ الجلالة:

1 – لفظ الجلالة بعد الفتحة، مثل: (تَاللَّهِ)[766].

2 – لفظ الجلالة بعد الضمة، مثل: (نَصْرُ اللَّهِ)[767].

حكم الراء: تُفخم الراء في الحالات التالية:

1 – إذا كانت الراء مفتوحة، مثل: (رَبَّنَا)[768].

2 – إذا كانت الراء مضمومة، مثل: (رُسُلٌ)[769].

3 – إذا كانت الراء ساكنة بعد فتح، مثل: (وَبَرْقٌ)[770].

4 – إذا كانت الراء ساكنة بعد ضم، مثل: (الْقُرْآنُ)[771].

5 – إذا كانت الراء ساكنة بعد كسرٍ عارضٍ، مثل: (ارْجِعِي)[772].

6 – إذا كانت الراء ساكنة بعد كسرٍ أصلي غير متصل بالراء، ككسرة الذال المنفصلة عن الراء، مثل: (الَّذِي ارْتَضَىٰ)[773].

---

[765] سورة الزمر: الآية 73.

[766] سورة يوسف: الآية 73.

[767] سورة البقرة: الآية 214.

[768] سورة البقرة: الآية 127.

[769] سورة آل عمران: الآية 183.

[770] سورة البقرة: الآية 19.

[771] سورة البقرة: الآية 185.

[772] سورة الفجر: الآية 28.

[773] سورة النور: الآية 55.

7 – إذا كانت الراء ساكنة بعد كسرٍ أصلي متصل بالراء، والراء وقع بعدها حرف استعلاء مفتوح متصل، مثل: (قِرْطَاسٍ)[774]، (وَإِرْصَادًا)[775]، (فِرْقَةٍ)[776]، (مِرْصَادًا)[777]، (لَبِالْمِرْصَادِ)[778].[779]

إختلاف القراءة: اختلف القرّاء في قراءة (فرق)، وفيها قوله تعالى: (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ)[780] فمنهم من فخّمها لوجود حرف الاستعلاء، ومنهم من رققها لوجود الكسر على حرف الاستعلاء.

واختلف القرّاء أيضاً في قراءة (بِمِصْرَ)[781]، و(الْقِطْرِ)[782] بين ترقيقٍ وتفخيمٍ. ورأيُ من رقق قال بوجود الكسر، ولم يعرْ أهمية للحرف الساكن الفاصل بين الكسر والراء، وهو الصاد والطاء.

ورأيُ من فخَّم أخذ بنظر الإعتبار الحرف الساكن وهو الصاد أو الطاء، وعدّه حاجزاً بين الكسرة والراء لكونه حرف استعلاء.

---

[774] سورة الأنعام: الآية 7.

[775] سورة التوبة: الآية 107.

[776] سورة التوبة: الآية 122.

[777] سورة النبأ: الآية 21.

[778] سورة الفجر: الآية 14.

[779] النشر ج 2 ص 117. والكافي في القراءات السبع – الرعيني ص 280.

[780] سورة البقرة: الآية 50.

[781] سورة يونس: الآية 87.

[782] سورة سبأ: الآية 12.

وكان ورش (ت 197 هـ) " يفخّم اللام المفتوحة، إذا كانت بعد صاد أو طاء، ما لم يكونا مكسورتين، نحو: (الطَّلَاقَ)[783]، (طَلَّقْتُمُ)[784]، (الصَّلَاةَ)[785]، (أَنْ يُوصَلَ)[786] وشبهه.

وأختلف عنه في اللام المشددة بعد الصاد، وإذا حال بين اللام والصاد ألف أو لام، نحو: (وَيَصْلَىٰ)[787]، (يُصْلِحَا)[788]، (يُصَلَّبُوا)[789]، (فِصَالًا)[790] فبعضهم فخّم، وبعضهم قرأ بين اللفظين..."[791].

اعترض ابن الجزري (ت 833 هـ) على ذلك، أي على اعتبار أن اللام فاصلة بين الصاد واللام، فقال: " لا يقال فيها إنه فصل بينها وبين حرف الاستعلاء فاصل ... لأن ذلك الفاصل أيضاً لام أدغمت في مثلها فصار حرفاً واحداً فلم تخرج اللام عن كون حرف الاستعلاء وليها، وقد شذ بعضٌ فاعتبر ذلك فصلاً مطلقاً "[792].

---

[783] سورة البقرة: الآية 227.

[784] سورة البقرة: الآية 231.

[785] سورة البقرة: الآية 3.

[786] سورة البقرة: الآية 27.

[787] سورة الإنشقاق: الآية 12.

[788] سورة النساء: الآية 128.

[789] سورة المائدة: الآية 33.

[790] سورة البقرة: الآية 233.

[791] الكافي في القراءات السبع ص 288.

[792] النشر ج 2 ص 119.

الترقيق: تنحيف الحرف عند إخراجه بحيث يخرج نحيفاً ضعيفاً في صفته، فلا يمتلئ الفم بصداه. ويختص الترقيق بحروف الإستفال، وهي واحد وعشرون حرفاً: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، د، ذ، ر، ز، س، ش، ع، ف، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي) التي ينحفض اللسان عند النطق بها إلى قاع الفم. عدا اللام والراء في بعض أحوالهما، وعدا الألف، وهي:

حكم اللام: بعضها يُفخّم كما ذكرنا، وبعضها يُرقق. فمن الترقيق: إذا وقع لفظ الجلالة بعد كسر، مثل: (بِاللَّهِ)[793]، (بِسْمِ اللَّهِ)[794].

حكم الراء: بعضها يُفخّم كما ذكرنا سابقاً، وبعضها يُرقق.

إذا وُصِلت الراء بحرفٍ آخر، فإنها ترقق:

1 – أن تكون الراء مكسورة، وفيها حالتان:

أ – كانَ الكسرُ أصلياً، مثل: (رِجَالٌ)[795]، (وَالْفَجْرِ)[796]، (وَالْغَارِمِينَ)[797].

ب – كانَ الكسرُ عارضاً، مثل: (وَأَنْذِرِ النَّاسَ)[798].

2 – أن تكون الراء ساكنة، وكان قبل الراء كسرة أصلية متصلة بها، ولم يقع بعدها حرف استعلاء مفتوح متصل، مثل: (شِرْعَةً)[799]، (فِرْعَوْنَ)[800]، [801].

---

[793] سورة البقرة: الآية 8.

[794] سورة الفاتحة: الآية 1، وابتداء بقية السور، وسورة النحل: الآية 30.

[795] سورة الأعراف: الآية 46.

[796] سورة الفجر: الآية 1.

[797] سورة التوبة: الآية 60.

[798] سورة إبراهيم: الآية 44.

تدوين علم القراءات

أهتمت مدرسة الخلفاء بتدوين علم القراءات، فكُتِبتْ كتبٌ عديدةٌ في موضوع القراءات القرآنية. بينما لم يُكتَب الكثير من المصنفات حول موضوع القراءات في مدرسة أهل البيت (ع).

في المقابل حثَّ أئمة أهل البيت (ع) أتباعهم على تلاوة القرآن، وعدم الإنشغال بتعدد القراءات عن فهم القرآن وتدبر معانيه، وهذا يدلّ على أمرين:

الأول: يقينهم بأن الله تعالى هو المتعهد بحفظ القرآن من شواذ القراءات، ومعرفتهم بأن الخلاف في القراءات القرآنية لا يمس المعنى كالإدغام والإمالة والتفخيم والترقيق.

الثاني: أرادوا أن يوصلوا أتباعهم إلى فهم القرآن والعيش مع أجواء الكتاب الكريم، وعدم الإنشغال بصراعات جانبية تؤدي إلى ترك التدبر في معاني القرآن الكريم.

فاهتمَّ اتباعهم (ع) بتلاوة القرآن الكريم، والتدبر في معانيه، وآثروا عدم الخوض في القراءات المتباينة أو الشاذة التي لا تورث علماً ولا أجراً. واتخذوا أحاديث النبي (ص) في القرآن مناراً لحياتهم:

---

[799] سورة المائدة: الآية 48.

[800] سورة البقرة: الآية 49.

[801] أنظر الإتحاف ج 1 ص 301، والنشر ج 2 ص 105، والإقناع في القراءات السبع – ابن الباذش ج 1 ص 324.

فعن رسول الله (ص) قال: (من قرأ: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[802] مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة)[803].

وعنه (ص): (من قرأ أربع آيات من أول البقرة، وآية الكرسي، وآيتين بعدهما كفتاه). قيل معناه أجزأتا عن قيام الليل[804].

وعن الإمام الباقر (ع): (من قرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله)[805].

مدرسة أهل البيت (ع):

ومن تلك المصنفات القليلة في القراءات التي كُتبت في القرن الثاني الهجري:

1 – أبان بن تغلب الكوفي (ت 141 هـ) أول من كتب في القراءات، وهو من أصحاب الإمام الصادق (ع)، وقد أشرنا إلى ترجمته فيما سبق. قال ابن النديم: " أبان بن تغلب، وله من الكتب: كتاب معاني القرآن، كتاب القراءات "[806].

---

[802] سورة الإخلاص: الآية 1–4.

[803] شرح أصول الكافي ج 11 ص 59.

[804] شرح أصول الكافي ج 11 ص 59.

[805] شرح أصول الكافي ج 11 ص 56.

[806] فهرست ابن النديم ص 220.

2 – حمزة بن حبيب الزيات (ت 156 هـ) تابعي. عُدَّ من القراء العشرة. كان إمام أهل الكوفة في القراءة بعد عاصم. قراءاته يتصل سندها إلى الإمام علي بن أبي طالب (ع)، روي أن له كتاباً في القراءات[807].

3 – يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ). له " كتاب (الجامع) جمع فيه عامة اختلاف وجوه [قراءة] القرآن "[808].

لم يصلنا أيّاً من تلك الكتب.

مدرسة الخلفاء:

من الصعب إحصاء كل ما كُتب في القراءات في هذه المدرسة، لأنه كثيرٌ جداً ولاحتاج الأمر إلى مجلدات. والعبرة ليست بكثرة المؤلفات أو المصنفات، بل بنوعية التصنيف والكتابة، ومدى تطابق المؤلفات مع الأصول الشرعية التي جاء بها الدين الحنيف. ولكننا نذكر هنا نماذج لما كُتب في القراءات في هذه المدرسة:

1 – كتاب (القراءات) لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، جمع فيه قراءة خمسة وعشرين قارئاً[809].

2 – كتاب في (القراءات) لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت 255 هـ) قيل أنه أول من ألفَّ في (علم القراءات)[810]. قال الفيروزآبادي: " ولأهل

---

[807] معجم رجال الحديث ج 7 ص 279.

[808] إنباه الرواة ج 4 ص 45.

[809] النشر ج 1 ص 34.

[810] غاية النهاية ج 1 ص 320.

البصرة أربعة كتب يفتخرون بها على أهل الأرض: كتاب العين للخليل، وكتاب سيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب أبي حاتم في القراءات" [811].

3 – (كتاب السبعة) لأبن مجاهد أحمد بن موسى (ت 324 هـ).

4 – (الحجة في القراءات السبع) للحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370 هـ).

5 – (القراءات الثمانية) لمحمد بن أحمد الداجوني (ت 334 هـ)، جمع فيه قراءات الأئمة السبعة وأضاف إليهم قراءة أبي جعفر [812].

6 – (التيسير في القراءات السبع) لأبي عمر الداني (ت 444 هـ). طبع في استانبول سنة 1930 م.

7 – متن الشاطبية المسمى: (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع) للقاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي (ت 590 هـ).

8 – (كنز المعاني في شرح حرز الأماني) لمحمد بن أحمد المعروف بـ (شعلة) (ت 656 هـ).

9 – (طيبة النشر في القراءات العشر)، وهو نظم في القراءات العشر، لأبن الجزري (ت 833 هـ).

10 – (النشر في القراءات العشر) لأبن الجزري (ت 833 هـ).

---

[811] البلغة في تراجم ائمة النحو واللغة – الفيروزآبادي ج 1 ص 151.

[812] غاية النهاية ج 2 ص 77.

11 – (لطائف الإشارات لفنون القراءات) لشهاب الدين القسطلاني (ت 917 هـ).

12 – (إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر) لأحمد بن محمد الدمياطي (ت 1117 هـ).

الرد على فكرة ارتباط القراءات المتعددة بالوحي
(البعد الصوتي)

تؤكد الدلائل التأريخية والفقهية، ومصادر السيرة الشريفة، وما مرَّ علينا من أفكار في هذا الكتاب بأن القراءات كانت من إجتهادات القرّاء في النحو وليس من الوحي بشيء. وقد ذكرنا إن أول من جعل القراءات سبعاً هو ابن مجاهد (ت 324 هـ)، فالتبس على الناس كون القراءات السبع هي الأحرف السبع التي ذُكِرَ بأن جبرئيل (ع) قد نزل بها.

وابن مجاهد (ت 324 هـ) هو أحمد بن موسى بن العباس التميمي عالمٌ في القراءات في عصره، من أهل بغداد، له كتاب (القراءات الكبير)، و(قراءة ابن كثير)، و(قراءة أبي عمرو)، و(قراءة عاصم)، و(قراءة نافع)، و(قراءة حمزة)، و(قراءة الكسائي)، (وقراءة ابن عامر)، و(قراءة النبي صلى الله عليه وآله)، و(كتاب الياءات)، و(كتاب الهاءات)[813].

ومن أجل رد ما زُعم من ارتباط القراءات القرآنية في القرن الأول الهجري بالوحي نعرض الأدلة التالية، من زاوية النظرة النحوية الدلالية:

---

[813] الأعلام ج 1 ص 261.

الدليل الأول: قيل كانت هناك آفات للنطق شائعة عند العرب في القرن الأول الهجري كالفأفأة، والتمتمة، والعقلة، والحبسة، واللفف، والرّتة، والغمغمة، والطمطمة؛ وقيل أيضاً كانت هناك اختلافات بين القبائل العربية في النطق: كشكشة تميم، وسكسكة بكر، وطمطمانية حمير، وشنشنة تغلب، وغمغمة قضاعة، ورّتة العراق وغيرها[814]. عرضها ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ) في (العقد الفريد) في (آفات النّطق)، فقال: " قال أبو العباس محمد بن يزيد النحوي: التمتمة في النطق: التردد في التاء، والعقلة: التواء اللسان عند إرادة الكلام، والحبسة: تعذر الكلام عند إرادته، واللفف: إدخال حرفٍ في حرف، والرّتة كالرّتج: تمنع أول الكلام، فإذا جاء منه شيء اتصل به، والغمغمة: أن تسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الحروف.

فأما الرّتّة: فإنها تكون غريزية. قال الراجز: يا أيها المُخلّطَ الأرتّ. وأما الغمغمة: فإنها قد تكون من الكلام وغيره، لأنها صوت من لا يفهم تقطيع حروفه. والطمطمة: أن يعدل بحرف إلى حرف، والغنَّة: أن يشرب الحرف صوت الخيشوم، والخنّة: أشدّ منها، والتّرخيم: حذف الكلام، والفأفأة: التردد في الفاء.

وأما كشكشة تميم: فإن [قبيلة] عمرو بن تميم إذا ذكرتْ كاف المؤنث فوقفتْ عليها أبدلت منها شيناً لقرب الشين من الكاف في المخرج.

---

[814] العقد الفريد ج 2 ص 475.

وأما سكسكة بكر: فقومٌ منهم يبدلون من الكاف سيناً كما فعل التميميّون في الشين.

وأما طمطمانية حمير ففيها يقول عنترة:

تأوي له قُلص النعام كما أوت حزم يمانية لأعجم طمطم"[815]

وربما يُفهم من كتب اللغة إن آفات النطق عند العرب قد أثرت على قراءات القرآن الكريم، ولكن تلك الآفات الصوتية لا تقتضي كتابة القرآن بالحرف المنطوق، فإذا كانوا ينطقون الكاف شيناً، فإن حرف الكاف يُكتب كما هو كافاً لا أن يُكتب شيناً. وإن اقتصر الأمرُ على النطق فقط فإن ذلك لا يغيّر المعنى بحالٍ من الأحوال.

ومن المرجح أن بعض الآفات الصوتية قد أثّرت على قراءات القرّاء السبع أو العشر فاختلفت قراءاتهم. وآفات النطق عند العرب مشكلة من المشاكل اللغوية عند البشر، وليست لها علاقة بالوحي لا من قريب ولا من بعيد. فهي مشكلة متعلقة بلسان الإنسان من حيث نطقه، ولا علاقة لها بالكتاب الآلهي من حيث التركيب والنسق.

الدليل الثاني: إذا كانت لهجات العرب قد أثرت على قراءة القرآن ورسمه، فلِمَ لم تؤثر تلك اللهجات على النصوص الأدبية، ولِمَ لم تؤثر على أقوال النبي (ص) بحيث وجدنا أحاديث النبي (ص) هي ذاتها لفظاً ورمزاً ، ولم تبدلها لهجات العرب ؟ بل لم تؤثر تلك اللهجات على الشعر العربي القديم

---

[815] العقد الفريد ج 2 ص 475.

فبقيت المعلقات السبع تُقرأ كما هي لا تطالها القراءات السبع أو العشر أو العشرون!!

في هذا المقام يمكن أن نذكر حديثاً غريباً ذكره أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) في مسنده: " أن وفداً من حمير جاؤوا إلى النبي (ص) فقالوا: يا رسول الله أمِن امبر امصيام في امسفر؟ فقال (ص): (ليس من امبر امصيام في امسفر). وتعجب الأصحاب مما سمعوا، حتى تبين أن الوفد حيٌّ من العرب يبدلون اللام ميماً، والميم لاماً. وكان سؤالهم: أمن البر الصيام في السفر؟ فجاء جواب النبي (ص): (ليس من البر الصيام في السفر) "[816].

وفيه: على فرض صحة الحديث، فلماذا تعجب الأصحاب إذا كانوا يعرفون أن بين القبائل العربية لهجات مختلفة؟ وكان من بين أصحاب رسول الله (ص) رجالٌ من سائر القبائل خصوصاً من الأنصار ونحوهم.

فمن الصحابة من كان من قبائل شتى: الصحابي جرير بن عبد الله البجلي من قبيلة بني مالك، سكنوا جنوب الطائف[817]. والصحابي أبو ذر الغفاري من بني غفار، ذهب إليهم وإلى بني أسلم يدعوهم إلى الإسلام

---

[816] مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص 424.

[817] أنساب الأشراف – البلاذري ج 9 ص 31.

فأسلم خلقٌ كثيرٌ من قبيلته. والصحابي عامر بن ربيعة من قبيلة عنزة، كما ذكره الواقدي (ت 207 هـ)[818].

رواية واحدة تكشف لنا خريطة المسلمين القبلية ذلك الزمان، ومَنْ كان حول النبي (ص) كان من قبائل متعددة: " قال ابن اسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف، من بني سليم سبعمائة ويقول بعضهم ألف، ومن بني غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر..." [819].

فإذا كانت تركيبة المسلمين في عهد النبي (ص) من قبائل متعددة، فما الغريب في أن يأتي شخص ذو لهجة مختلفة مستمَدة من لهجة قبيلته؟

ولم تذكر الكتب الروائية أصلاً قراءة حديثية تبدل اللام فيها ميماً، والميم لاماً، كما قيل: (ليس من أمبر امصيام في اسفر)[820].

الدليل الثالث: وبسبب ضعف دليل تواتر القراءات السبع، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ): بأن القراءات هي الأحرف، ولا علاقة لها بحديث الأحرف السبعة[821]. وضرب الفراهيدي مثلاً وهي كلمة: (أَرْجِهْ)[822]

---

[818] المغازي – الواقدي ج 2 ص 784 .

[819] صحيح مسلم ج 4 ص 1956 كتاب المناقب، حديث 2522.

[820] مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص 424.

[821] إبراز المعاني ص 33.

[822] سورة الأعراف: الآية 111.

أن لها ستة أوجه، وتسائل: كيف ربطوا بين الأحرف السبعة والقراءات السبع؟ والفراهيدي من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وتلميذ أبو الأسود الدؤلي (ت 68 هـ) الذي هو تلميذ الإمام علي بن أبي طالب (ع).

" قال الفراهيدي: وكل كلمة تقرأ على وجوه من القراءات تسمى حرفاً" [823]، وما ورد من الأوجه في تاريخ القراءات هو ستة أوجه، مثال ذلك قوله تعالى: (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ)[824]، فكلمة (أَرْجِهْ) فيها ست قراءات، حسب نظرية القراءات المتعددة، وهي:

1 – أَرْجِهِ: (دون همزة، وبكسر الهاء من غير إشباع)، قرأ بذلك قالون وابن وردان.

2 – أَرْجِهِ: (كالوجه السابق، لكن مع إشباع كسرة الهاء بوصلها بياء)، قرأ بذلك ورش والكسائي وابن جمَّاز، وخلف في اختياره.

3 – أَرْجِئْهُ و: (بالهمز، مع ضم الهاء وإشباع ضمها بوصلها بواو)، وبذلك قرأ ابن كثير وهشام.

4 – أَرْجِئْهُ: (بالهمز، مع ضم الْهاء من غير إشباع)، وقرأ كذلك أبو عمرو ويعقوب.

5 – أَرْجِئْهِ: (بالهمز، مع كسر الهاء من غير إشباع)، قرأ بذلك ابن ذكوان.

---

[823] إبراز المعاني ص 33.

[824] سورة الأعراف: الآية 111– 112.

6 – أَرْجِهْ: (دون الهمز، مع سكون الهاء)، وهي قراءة الباقين من القراء العشرة [825].

فهذه قراءاتٌ ست، فلو كان لدينا قرّاءٌ سبعةٌ، فما هي قراءة القارئ السابع؟! فلو كانت القراءات القرآنية هي الأحرف، لما انطبق ذلك مع القول المنسوب إلى النبي (ص) بأن القرآن نزل على أحرفٍ سبعٍ؟! وهذه الكلمة القرآنية قُرأت بستة أحرف!

الدليل الرابع: وبسبب ضعف دليل تواتر القراءات السبع قال البعض بنسخ القراءات!!

قال شيخ المفسرين في مدرسة الخلفاء محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ): " أن الأحرف السبعة منهج في الإقراء أذِنَ به النبي (ص) زمناً ثم نسخه قبل أن يلقاه الأجل، وهكذا فقد مات النبي (ص) وليس بين الناس إلا حرف واحد، وأن هذه القراءات المتواترة اليوم مهما بلغت كثرة إنما تدور ضمن هذا الحرف الواحد الذي أذن النبي (ص) بالإقراء والرواية به " [826].

وساق الأدلة إلى ذلك:

الأول: أن "الدليل على نسخ الأحرف السبعة أنها لو كانت قرآناً باقياً لم تكن لتخفى عن الأمة بعد أن تعهد الله سبحانه بحفظ كتابه العظيم في

---

[825] النشر ج 1 ص 311 – 312.

[826] مناهل العرفان ج 1 ص 179.

قوله: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[827]، وكذلك حصول الاختلاف في فهمها، وتحديد المراد بها، وقد قال الله سبحانه: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)[828].

الثاني: أن "المروي عن السلف في الأحرف السبعة لا يتفق والرسم القرآني، فلم يكن ثمة مندوحة من القول بنسخ ذلك"[829].

وقطع الطبري بعد ذلك بالقول: " فلا قراءة اليوم للمسلمين إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية"[830].

شَرَحَ كتاب (الإبانة) رأي الطبري ملخَّصاً بالقول التالي: "يذهب الطبري إلى أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن إنما هي تبديل كلمة في موضع كلمة، يختلف الخط بها، ونقص كلمة، وزيادة أخرى، فمنَعَ خط المصحف المجمع عليه مما زاد على حرف واحد، لأن الاختلاف عنده لا يقع إلا بتغيير الخط في رأي العين.

فالقراءات التي في ايدي الناس اليوم كلها عنده حرف واحد من الأحرف السبعة التي نصَّ عليها النبي (ص)، وستة الأحرف الباقية قد

---

[827] سورة الحجر: الآية 9.

[828] سورة النساء: الآية 82.

[829] جامع البيان ج 1 ص 62 .

[830] جامع البيان ج 1 ص 62.

سقطت، وبطل العمل بها بالإجماع على خط المصحف المكتوب على حرف واحد"[831].

حاول الطبري الوقوف هنا في الوسط، وجمع الخيوط المتشابكة بين رأيين: الأول: هو تواتر القراءات السبع وكونها جزءً من الوحي، وهو ما قالته مدرسة الخلفاء وآمنت به. والثاني: عدم صحة تواتر القراءات السبع بالعقل فضلاً عن الشرع. فآثر أن يُقحم قضية النسخ في القراءات الست ويُبقي القراءة الواحدة. مع علمه أن القراءات قد أُستحدثت لاحقاً بعد وفاة النبي (ص). ولم يقل بالنسخ أحدٌ غير الطبري.

وخلاصة رأيه أن الأحرف السبعة نُسِختْ من القرآن الكريم وبقيتْ القراءة التي نقرأ بها، فكانت إذناً من الله تعالى للتخفيف عن الأمة. فقال: "فاستوسقت[832] له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، وتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركه، طاعة منها له، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها، حتى درست من الأمة معرفتها وتعفت آثارها، فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها، وتتابع المسلمين إلى رفض القراءة بها من غير جحود منهم لصحتها وصحة شيء منها، ولكن نظراً منها لأنفسها ولسائر أهل دينها"[833].

---

[831] الإبانة ص 32.

[832] استوسقَ: اجتمع وانضمَّ، أي اجتمعت الأمة له بالطاعة.

[833] جامع البيان ج 1 ص 62. الإبانة ص 50.

نرى في موقف الطبري (ت 310 هـ) ما يستحق الثناء، بغض النظر عن صحته أو خطئه! لأن القراءات السبع أو العشر في مدرسة الخلفاء أصبحت، في تلك الحقبة، جزءاً من الدين، من أصوله وفروعه معاً، فآمنوا بأنها متواترة، قد جاء بها الوحي من عند الله تعالى! فلم يكن الطبري قادراً على تفنيدها جملةً وتفصيلاً، فجاء بنظرية النسخ ليُرجع الأمور – ولو بمقدار – إلى نصابها في القراءة القرآنية.

الدليل الخامس: لخص أبو الفضل الرازي (ت 290 هـ) أوجه الخلاف في القراءات وأوصلها إلى سبعة أحرف أيضاً، أخذ بها جمهور المفسرين من مدرسة الخلفاء، فمن جاء بعده أخذ بمنهجه. قال:

" الكلام لا يخرج عن سبعة أحرفٍ في الاختلاف:

الإختلاف الأول: اختلاف الأسماء من إفرادٍ وتثنيةٍ، وجمعٍ، وتذكيرٍ، وتأنيثٍ، مثاله قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ)[834]. قُرئ هكذا: (لِأَمَانَاتِهِمْ) جمعاً، وقُرئ (لأمانتهم) بالإفراد.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارعٍ وأمرٍ. مثاله: قوله تعالى: (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)[835]، قُرئ هكذا: بنصب لفظ (رَبَّنَا) على أنه منادى، وبلفظ (بَاعِدْ) فعل أمر. وقُرئ هكذا: (ربُّنا بعَّدَ) برفع

[834] سورة المؤمنون: الآية 8.

[835] سورة سبأ: الآية 19.

(ربّ) على أنه مبتدأ، وبلفظ (بعَّدَ) فعلاً ماضياً مضعّف العين، جملته خبر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب، مثاله: قوله تعالى: (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ)[836]، قُرئ بفتح الراء وضمّها، فالفتح على إن (لا) ناهية، فالفعل مجزوم بعدها، والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام متماثلين. أما الضّم فعلى إنّ (لا) نافية، فالفعل مرفوع بعدها.

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة، مثاله: قوله تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ)[837]، قُرئ بهذا اللفظ وقُرئ أيضاً: والذكر والأنثى، بنقص كلمة: ما خلق.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير، مثاله: قوله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)[838]، وقُرئ: وجاءت سكرة الحق بالموت.

السادس: الاختلاف بالإبدال، مثاله: قوله تعالى: (وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا)[839] بالزاي، وقُرئ: (ننشرها) بالرّاء.

السابع: اختلاف اللغات (اللهجات) كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك، مثاله: قوله تعالى: (بَلَىٰ قَادِرِينَ)[840]، قُرئ بالفتح والإمالة في لفظ (بلى)[841].

---

[836] سورة البقرة: الآية 282.

[837] سورة الليل: الآية 3.

[838] سورة ق: الآية 19.

[839] سورة البقرة: الآية 259.

[840] سورة القيامة: الآية 4.

اتفق من كتب في القراءات لاحقاً على هذا التقسيم لأبي الفضل الرازي (ت 290 هـ)، كأبن قتيبة (ت 322 هـ) في كتابه (المشكل)، والطيب الباقلاني (ت 403 هـ) في كتابه (الإعجاز)، وابن الجزري (ت 833 هـ) في كتابه (النشر في القراءات العشر).

أقول: بعض تلك الوجوه قد تُغيّر المعنى القرآني فهي غير صحيحة للأسباب التالية:

أولاً: إذا آمنا بأن القرآن الكريم نزل بحرف واحد، فلا معنى في اختلاف الإفراد، والتثنية، والجمع، والتذكير، والتأنيث، بالنسبة للأسماء؛ ولا معنى في اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ، ومضارعٍ، وأمرٍ؛ ولا معنى في اختلاف وجوه الإعراب؛ ولا معنى في الإختلاف بالنقص والزيادة؛ ولا معنى في الإختلاف بالتقديم والتأخير.

ربما يكون بعض الإختلاف طبيعياً في لهجات القبائل العربية كالإمالة، والترقيق، والتفخيم، والإظهار، والإدغام، ولكن ذلك لا يعطي مسوغاً لقراءة القرآن الكريم بطريق مغاير. بل نزل القرآن بلغة عربية واحدة، وهي لغة العرب الفصحى من قريش، ونزل بمفاهيم محددة لمخاطَبين معينين. فلا يمكن تغيير ذلك النسق والنظم القرآني الفريد.

ولكن أهل البيت (ع) كانت لهم رؤية ثاقبة أساسها الإيمان بأن الله تعالى هو المتعهد بصيانة القرآن من عبث اليد البشرية، فقالوا بالقراءة المتداولة بين الناس في زمنهم (ع). قال الشيخ الطوسي (ت 460 هـ): "

---

[841] النشر ج 1 ص 27.

القرآن نزل بحرفٍ واحدٍ على نبيٍ واحدٍ، غير أنهم [أهل البيت (ع)] أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرّاء [من غير الشواذ] ، وأن الإنسان مخيّرٌ بأي قراءة شاء قرأ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها، بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القرّاء، ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر"[842].

ثانياً: أن الاختلاف الذي ذكره القراء من أهل القراءات الشاذة يوهن إعجاز القرآن الكريم ككتاب سماوي محفوظ بين الدفتين، خصوصاً إذا علمنا أن المخاطَبين هم نفس جنس البشر من زمن النزول وحتى يوم القيامة. أي أن الخطاب في زمن النص القرآني (عهد رسول الله صلى الله عليه وآله) هو نفس الخطاب لغيره من الأزمنة (عهد القرّاء). فكيف يحصل الاختلاف في الكتاب المصان من قبل الله تعالى، في زمن دون آخر، بحيث يُوهن إعجاز القرآن ؟

ثالثاً: أن بعض تلك الوجوه تغير المعنى تغييراً تاماً كما هو الاختلاف بالتقديم والتأخير، والاختلاف بالزيادة والنقصان! فلا يتم ذلك في كتابٍ تعهد الله تعالى بحفظه.

---

[842] التبيان في تفسير القرآن ج 1 ص 7.

الفصل الخامس

رواية حفص عن عاصم

(أسباب اشتهارها وموقف العترة الطاهرة منها)

مقدمة. السند الثلاثي المتصل بعلي بن أبي طالب (ع): 1- حفص بن سليمان. 2- عاصم بن أبي النجود. 3- أبو عبد الرحمن السُلمي. صراع التوثيق وهفواته. السبب الرئيسي في الأخذ برواية حفص عن عاصم واشتهارها. المباني اللغوية في قراءة حفص.

مقدمة

أجمع علماء المسلمين على أن القراءة المتواترة المشهورة بين المسلمين اليوم، والتي تعرف برواية حفص عن عاصم، هي أصحّ القراءات. جميع أسانيدها من تلامذة أئمة أهل البيت (ع)، وهم: حفص بن سليمان (ت 180 هـ) من تلامذة الإمام الصادق (ع)، عن شيخه عاصم بن أبي النجود (ت 129 هـ) وهو من أعيان شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في الكوفة، عن شيخه أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي (ت 105 هـ) وهو من خواص الإمام علي (ع)، عن علي بن أبي طالب (ع) (ت 40 هـ)، عن النبي (ص) (ت 11 هـ).

وقراءة أبي عبد الرحمن السلمي قراءة حجازية أقرب إلى الأصل القرآني، وهو نفسه من قبيلة بني سليم، وهي قبيلة من قبائل غرب الجزيرة، وكل مشايخه الذين قرأ عليهم حجازيون، وهذا يجعلنا نقول بأن قراءة حفص عن عاصم قراءة تطابق العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم.

السند الثلاثي المتصل بعلي بن أبي طالب (ع):

قرأ أبو عبد الرحمن السلمي على الإمام علي بن أبي طالب (ع) قراءة كاملة للقرآن الكريم، ثم قرأ عليه عاصم بن أبي النجود قراءة كاملة ولم يخالفه في حرف واحد، ثم قرأ على عاصم تلميذٌ له هو حفص بن سليمان، ولم يخالف استاذه بحرف واحد. وهكذا اتصل هذا السند بالمنبع الأصيل الصحيح للقرآن الكريم.

نبدأ بترجمة مختصرة لكل من هؤلاء القرّاء الثلاثة، فنعرض لحفص، ثم لعاصم، ثم لأبي عبد الرحمن السلمي.

1 – حفص بن سليمان الأسدي (ت 180 هـ)

حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمرو بن داود الأسدي الكوفي الغاضري البزاز. توفي عن تسعين عاماً. أخذ حفص القراءة عَرْضاً وتلقيناً عن عاصم بن بهدلة بن أبي النجود (ت 129 هـ)، وكان ربيبه أي ابن زوجته.

ذكره الشيخ الطوسي (ت 460 هـ) في رجاله في أصحاب الإمام الصادق (ع) وقد أسند عنه[843]. ووصفه الذهبي (ت 748 هـ) بأنه "في نفسه صادق"[844]. بل هو "الإمام القارىء، راوي عاصم بن أبي النجود. قال حفص: قال لي عاصم: القراءة التي أقرأتك بها فهي التي قرأتها عَرْضاً [وتلقيناً[845]] على أبي عبد الرحمن السُلمي عن علي بن أبي طالب (ع)، والتي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي التي كنتُ أعرضُها على زُر بن حُبيش عن ابن مسعود.

---

[843] رجال الطوسي ص 176.

[844] ميزان الإعتدال ج 1 ص 508 ترجمة 2121.

[845] كما في معجم حفاظ القرآن ج 1 ص 210 ترجمة 92.

قال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة من قراءة عاصم رواية حفص، وكان أعلمهم بقراءة عاصم، وكان مرجّحاً على شُعْبة بضبط القراءة"[846].

مدحه المترجمون للقرّاء بالقول: "أما القراءة فثقةٌ، ثبتٌ، ضابطٌ لها... قال ابن المنادي: قرأ على عاصم مراراً، وكان الأولون يعدّونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عياش، ويصفونه بضبط الحروف التي قرأها على عاصم، وأقرأ الناس دهراً، وكانت القراءة التي أخذها عن عاصم ترتفع إلى علي بن أبي طالب عليه السلام" [847]. و"حفص بن سليمان الغضائري الكوفي قاضي الكوفة وتلميذ عاصم، وقد حدّث عن علقمة بن مرتد وجماعة، وعاش تسعين سنة، ... حجة في القراءة قال في العبر"[848].

وُصِفَ بأنه: " الإمام الحجة الثقة، الثبت، صاحب الرواية المشهورة في الآفاق، ويقرأ بها إلى الآن معظم المسلمين في شتى أنحاء العالم، وهو حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمرو بن أبي داود الأسدي الكوفي، ولد حفص سنة تسعين من الهجرة وقد أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً على عاصم بن أبي النجود ...

قال أبو عمرو الداني (ت 444 هـ): وقد أخذ حفص قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها، ثم رحل إلى مكة وجاور بها فأقرأ

---

[846] معجم البلدان – الحموي ج 10 ص 215 – 216.

[847] غاية النهاية في طبقات القراء ج 1 ص 254.

[848] شذرات الذهب – ابن العماد ج 1 ص 293. أحداث سنة ثمانين ومائة.

الناس بقراءة عاصم، ولا زال المسلمون حتى الآن يتلقون حفص بالرضا والقبول، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن قراءة حفص من أشهر الروايات في شتى بقاع الدنيا، ومما تجدر الإشارة إليه أن قراءة حفص صحيحة، متصلة السند بالهادي البشير عليه الصلاة، لأنها ترتفع إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي (ص)"[849]. وكان حفص أعلم تلاميذ عاصم بقراءة استاذه، فكان مرجحاً على غيره بضبط الحروف.

بالإجمال فإن حفص بن سليمان الأسدي من أصحاب الإمام الصادق (ع)، ثقةٌ، ثبتٌ قرأ القرآن على استاذه عاصم، وكان شيخٌ في القراءة، نقل القراءة الصحيحة بالواسطة عن علي بن أبي طالب (ع) إلى أجيال المقرئين.

2 – عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي (ت 129 هـ)

أحد القراء السبعة، قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي الذي قرأ على الإمام علي بن أبي طالب (ع) وكان من أصحابه[850].

كان عاصمُ فصيحاً، من أحسن الناس صوتاً في قراءة القرآن، جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد. وإلى جانب علمه بالقراءة كان أعلم أهل الكوفة بالنحو[851].

---

[849] معجم حفاظ القرآن ج 1 ص 210 ترجمة 92.

[850] المعارف – ابن قتيبة ص 528.

[851] السبعة في القراءات ص 70.

قال العلامة الحلي (ت 726 هـ): "أحب القراءات إليَّ قراءة عاصم من طريق أبي بكر بن عياش، وطريق أبي عمرو بن العلاء، فإنها أولى من قراءة حمزة والكسائي، لما فيهما من الإدغام والإمالة وزيادة المد، وذلك كله تكلّف، ولو قرأ به صحت صلاته بلا خلاف"[852].

أقول: هذا ليس استحساناً من العلامة الحلي، لكن قراءة عاصم أحب إليه من القراءات الأخرى لأنها خالية من التكلف والمبالغة في الإدغام والإمالة وزيادة المد.

قرأ أبان بن تغلب من أصحاب الإمامين الباقر والصادق (ع) على عاصم. ولعاصم راويان. الأول: حفص بن سليمان البزاز... الثاني: أبو بكر بن عياش، وعاصم من أتباع أهل البيت (ع) دون أدنى شك.

وفي (شذرات الذهب): " وعاصم بن أبي النجود الأسدي مولاهم، أحد القراء السبعة وكان حجة في القراءات، صدوقاً في الحديث، قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وغيره"[853].

وفي (تاريخ الإسلام): " قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي، وزرّ بن حُبيش، وروى عنهما ... قال أبو بكر بن عياش: لا أحصي ما سمعتُ أبا إسحاق السبيعي يقول: ما رأيتُ أحداً أقرأ من عاصم، ما أستثني أحداً من أصحابه"[854].

---

[852] منتهى المطلب – العلامة الحلي ج 1 ص 273.

[853] شذرات الذهب ج 1 ص 175 سنة ثمان وعشرين ومائة.

[854] تاريخ الإسلام – الذهبي ج 5 ص 139.

وفي (تهذيب الكمال): "قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عنه، فقال: كان رجلاً صالحاً قارئاً للقرآن، وأهل الكوفة يختارون قراءته وأنا أختار قراءته، وكان خيّراً ثقةً، والأعمش أحفظ منه. وكان شعبة يختار الأعمش عليه، في تثبيت الحديث. وقال عبد الله أيضاً: سألت أبي عن حماد بن أبي سليمان وعاصم، فقال: عاصم أحب إلينا، عاصم صاحب قرأن، وحمّاد صاحب فقه. وقال أحمد بن عبد الله العجلي: عاصم صاحب سُنّة وقراءة للقرآن، وكان ثقة، رأساً في القراءة، ويقال: أن الأعمش قرأ عليه وهو حَدَث، وكان يختلف عليه في زرّ وأبي وائل"[855].

وفي (السبعة في القراءات) يترجم لعاصم بن أبي النجود: " وكان أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن، وعرض على زرّ بن حبيش، فيما حدثني به عبد الله بن حمد بن شاكر، قال حدثنا يحيى بن آدم قال حدثنا أبو بكر بن عياش، قال لي عاصم: ما أقرأني أحد حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمي، وكان أبو عبد الرحمن قد قرأ على علي رضي الله تعالى عنه، وكنت أرجع من عند أبي عبد الرحمن فأعرض على زرّ بن حبيش، وكان زرّ قد قرأ على عبد الله [بن مسعود]. قال أبو بكر بن عياش: فقلت لعاصم: لقد استوثقت لنفسك، أخذت القراءة من وجهين؟ قال: أجل!"[856].

وفي مقدمة لكتاب (التبصرة في القراءات السبع) قال المقدِّم: " وهو الإمام الذي انتهت إليه رئاسة القراءة بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلّمي

---

[855] تهذيب الكمال ج 13 ص 473 وما بعدها.

[856] السبعة في القراءات ص 69.

في موضعه. جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن. روى عن رفاعة التميمي، والحارث البكري، وكانت لهما صحبة، وأخذ القراءة عَرْضاً [وتلقيناً] عن أبي عبد الرحمن السلمي، وزرّ بن حبيش، وفضائله كثيرة. توفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة[857] على الإختلاف... وأما عاصم فله راويان: حفص وشعبة. سيدنا حفص رحمه الله: هو حفص بن سليمان الكوفي، أخذ القراءة عَرْضاً وتلقيناً عن عاصم. قال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة من قراءة عاصم رواية حفص، وكان مرجحاً على شعبة بضبط القراءة"[858].

أما السيد الخوئي (ت 1413 هـ) فقد قال في ترجمته: " عاصم بن بهدلة: أبي النجود الكوفي: أحد القراء السبعة، وقراءته عن طريق حفص معروفة مشهورة، وكل ما رأيناهن من المصاحف القديمة والحديثة قد رسم خطه على طبق قراءته. قال حفص: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها هي القراءة التي قرأت بها على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي عليه السلام، وما كان القراءة التي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود"[859].

وبالإجمال، فإنّ عاصم بن أبي النجود، من أصحاب أبي عبد الرحمن السلمي، وأحد تلامذته في القراءة، ثقةٌ، رأسٌ في القراءة، أحسن

---

[857] المشهور أنه توفي سنة تسع وعشرين ومائة.

[858] التبصرة في القراءات السبع – مكي بن أبي طالب ص 84.

[859] معجم رجال الحديث ج 10 ص 190.

الناس صوتاً بالقرآن، مدحه كثيرٌ ممن ترجم له، وأشاروا إلى إن قراءته أفصح القراءات لأنه أتى بالأصل.

3 – أبو عبد الرحمن السلمي (ت 105 هـ)

عبد الله بن حبيب السلمي شيخ قراءة عاصم، قرأ عليه عاصم، وعليه تخرج. و" كان من أصحاب علي بن أبي طالب، وكان مقرئاً. ويحمل عنه الفقه"[860].

و"أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي المقرئ مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت من [الطبقة] الثانية، مات بعد السبعين"[861].

أقول: ولعل (بعد السبعين) تصحيفٌ لكلمة (بعد التسعين)، وهذا أقرب إلى الواقع، لأن معركة صفين التي اشترك فيها وقعت سنة 37 للهجرة.

وهو من "خواص الإمام علي بن أبي طالب (ع)" [862]. ذكر ابن كثير (ت 774 هـ) في تأريخه أن أبا عبد الرحمن السلمي كان في جيش الإمام علي (ع) في صفين محارِباً ضد معاوية بن أبي سفيان، فنقل الرواية بالشكل التالي: "قال أبو عبد الرحمن السلمي: كنا مع علي (ع) بصفين، وكنا قد وكلنا بفرسه رجلين"[863]. وفي (مجمع الزوائد) للهيثمي (ت

---

[860] المعارف ص 528.

[861] تقريب التهذيب – ابن حجر ج 1 ص 486.

[862] رجال البرقي ص 5.

[863] البداية والنهاية ج 11 ص 535.

807 هـ) قال: "عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي (ع) صفين وقد وكلنا بفرسه رجلين..."[864].

قيل: "وعندهم أن أصح القراءات من جهة توثيق سندها نافع وعاصم..."[865].

شهد له الكثير ممن ترجم له بالتقوى، وحسن السيرة، وفصاحة اللسان بالقرآن، ومن ذلك: " قال شعبة: لم يسمع من عثمان، ولم يتابع. وروى أبان العطار، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي عبد الرحمن، قال: أخذتُ القراءة من علي (ع). وروى منصور عن تميم بن سلمة، أن أبا عبد الرحمن كان إمام المسجد، وكان يُحْمَل في اليوم المطير"[866]، كنايةً عن حرصهم على وجوده في المسجد، قارئاً للقرآن وإماماً للصلاة.

وعن " حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب أن أبا عبد الرحمن قال: أخذنا القرآن عن قومٍ أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آياتٍ لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرثُ القرآنَ بعدنا قومٌ يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم"[867].

وكان يرفض استلام الأجر على تعليم القراءة، كما ورد: " أنه جاء وفي الدار جِلال وجَزَر[868]، فقالوا: بعث بها عمرو بن حريث لأنك علّمت

---

[864] مجمع الزوائد ج 7 ص 483.

[865] إعجاز القرآن ص 52.

[866] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 269.

[867] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 269.

[868] الجِلال: من الجُلَّة: قُفَّةُ التمر. والجَزَرَ: ما يَصلُح لأن يُذبح من الشَّاة.

ابنه القرآن، فقال: ردَّه، إنا لا نأخذ على كتاب الله أجراً... وعن عطاء بن السائب قال: كان رجل يقرأ على أبي عبد الرحمن، فأهدى له قوساً فردّها، وقال: ألا كان هذا قبل القراءة"[869]. وهذا يدلُّ على إيمانه وتعففه عما في أيدي الناس، ولو أخذها لضَعُفَ عن التمسك بصحة قراءته أمام قراءات الآخرين.

وعندما سَمِعَ " قول النبي (ص): (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه)، قال أبو عبد الرحمن: فذلك الذي أقعدني هذا المقعد. قال إسماعيل بن أبي خالد: كان أبو عبد الرحمن يعلّمنا القرآن: خمس آيات، خمس آيات"[870].

وعن " أبي بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن أنه قرأ على علي (ع). وعن أبي عبد الرحمن أيضاً قال: خرج علينا علي (رضي الله عنه) وأنا أقرأ"[871].

وبكلمة، فقد قرأ أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي الثقة الثبت القرآنَ على الإمام أمير المؤمنين علي (ع)، وهي قراءة أخذها علي (ع) عن رسول الله (ص) عن جبرئيل عن الله تعالى.

---

[869] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 269 – 270.

[870] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 270.

[871] سير أعلام النبلاء ج 4 ص 270.

صراع التوثيق وهفواته

كان التوثيق ولا يزال أداةً من أدوات تعزيز الفكرة التي يحملها العالِم، بينما يؤدي الخدش أو عدم التوثيق إلى سحق تلك الفكرة التي يحملها. فإذا وُثِّقَ أُخِذَ بمبدأه وفكرته، وإذا أُتهِمَ بالضعف تسلل الشك إلى قاعدته ومبناه. ولو وضعنا فكرة التوثيق في الميزان، ففئة من الناس توثّق لأجل الحق، وفئة ثانية يُسكت عنها، وثالثة توَثَّق إتباعاً لسياسة السلاطين. أحياناً تطرأ على مبدأ الوثاقة هفوات، نذكر مصاديقها فيما يلي:

1 – الإشتراك في الأسم: إشترك اسم حفص بن سليمان الأسدي (ت 180 هـ) بشخص آخر هو حفص بن سليمان المنقَري التميمي (ت 130 هـ). تمَّ توثيق الثاني (المنقري) في الحديث لأنه من مدرسة الخلفاء، وقالوا: "قال أبو حاتم: لا بأس به، هو من قدماء الحسن [البصري]، وقال النسائي: ثقة، وقال أبو حاتم بن حبان: مات سنة ثلاثين ومائة قبل الطاعون بقليل" [872].

بينما غُمِزَ بحفص الأسدي القارئ، واتُهِمَ بضعفه في الحديث لموالاته أهل البيت (ع). قال ابن حبان في تكملة حديثه عن المنقري: "وليس هذا بحفص بن سليمان البزاز أبي عمر القارئ، ذاك ضعيف، وهذا [أي المنقري] ثبت" [873]. وقال الذهبي (ت 748 هـ): " كان حفص شيخاً

---

[872] الجرح والتعديل ج 2 ص 173.

[873] المصدر السابق.

في القراءة، واهياً في الحديث، لأنه كان لا يتقن الحديث ويتقن القرآن ويجوّده، وإلا فهو في نفسه صادق"[874].

أقول: إذا كان حفص شيخاً في القراءة، فكيف يكون واهياً في الحديث؟ أو ليس المأمون على حفظ القرآن مأمونٌ على حفظ الحديث؟!

وفي كتاب (طبقات القرّاء) قال المصنف في ترجمة حفص الأسدي: " أما القراءة فثقةٌ، ثبتٌ، ضابطٌ لها بخلاف حاله في الحديث"[875].

والظاهر أن الإشتراك في الأسم بين حفص الأسدي القارئ (ت 180 هـ) الأمين، المؤمن، الثقة وبين حفص المنقري (ت 130 هـ) الضعيف، الواهي في الحديث، الذي قالوا عنه أنه كان يأخذ الكتب من الناس ينسخها ولا يردها إليهم[876]، كان مدعاةً للإشتراك بالصفات الذميمة أيضاً!

والظاهر أن الإشتراك في الأسمين إستُغلّ للطعن في حفص بن سليمان الأسدي قارئ القرآن، ولكن الله أمضى ما أراده من حُسنِ عمله، فنشر قراءته في مشارق الأرض ومغاربها.

2 – لغز "متروك الحديث": ذكر المسعودي (ت 346 هـ) في (شذرات الذهب): "حفص بن سليمان الغضائري متروك الحديث..."[877].

---

[874] ميزان الإعتدال ج 1 ص 508.

[875] غاية النهاية في طبقات القراء ج 1 ص 230، ترجمة حفص.

[876] الطبقات – ابن سعد ج 7 ص 256.

[877] شذرات الذهب ج 1 ص 293.

وقيل: كان حفص " ثقةٌ ثبتٌ ضابط للقراءة بخلاف حاله في الحديث"[878]، و"متروك الحديث، حجةٌ في القراءة"[879]، وفي (تحرير التقريب) في ترجمة حفص بن سليمان الأسدي قال: "متروك الحديث مع إمامته في القراءة"[880]. فما معنى متروك الحديث، واهياً في الحديث، غير ضابط للحديث؟

لا نجد لذلك الإتهام لرجلٍ صالحٍ حفظ القرآن وضبطه قراءةً ضبطاً صحيحاً أصيلاً إلا إحتمالية أنه كان يحدّث عن فضائل علي بن أبي طالب (ع)، ولم يرق للدولة الأموية ولا العباسية ذلك، خصوصاً وقد ولد سنة 90 هـ زمن الوليد بن عبد الملك وتوفي سنة 180 هـ زمن هارون الرشيد، فعاصر كلتا الدولتين.

والوهن أو عدم الضبط في نقل الحديث إما أن يكون وهناً عقلياً أو وهناً عقائدياً. فإذا كان وهناً عقلياً وعدم قدرة على حفظ متن الحديث أو إرجاعه إلى أصله، فكيف يضبط قراءة القرآن ضبطاً كاملاً في وقت لا يستطيع ضبط الحديث؟ وإذا كان وهناً عقائدياً أي أنه كان يحرّف الحديث الشريف، فكيف يستقيم أن يضبط القرآن بتلك الدرجة العالية من الدقة والحفظ ويهمل ضبط الحديث؟ فإتهام حفص بعدم ضبط الحديث لا أساس له.

---

[878] غاية النهاية في طبقات القراء ج 1 ص 230.

[879] شذرات الذهب ج 1 ص 293.

[880] تحرير تقريب التهذيب ج 1 ص 312 ت 1405.

3 – كثير الخطأ ومضطرب الحديث: قيل عن عاصم: "قال محمد بن سعيد: كان ثقة إلا أنه كثيرُ الخطأ في حديثه. وقال يحيى بن معين، والنسائي: ليس به بأس. وقال يعقوب بن سفيان: في حديثه اضطراب، وهو ثقة. وقال أبو زرعة: ثقة. وقال العُقيلي: لم يكن فيه إلا سوء الحفظ. وقال الدّارقُطني: في حفظه شيء. وقال أبو حاتم الرازي: محله عندي محل الصدق، صالح الحديث، ولم يكن بذاك الحافظ"[881]. وقال " الذهبي: ليس حديثه بالكبير رحمه الله تعالى"[882].

وما قلناه في حفص ينطبق بالدلالة التضمنية على عاصم لأن الموضوع الكلي الذي أُدينوا فيه هو ولايتهم لعلي بن أبي طالب (ع).

4 – المفاضلة بين قارئ وآخر: عندما تقرأ مصادر القراءات القرآنية في مدرسة الخلفاء تجد إضطراباً في توثيقهم عاصم بن أبي النجود، ولا أجد سبباً وجيهاً في ذلك إلا لولائه لأهل البيت (ع) كما ذكرنا، فقد اختلف علماء الجرح والتعديل من مدرسة الخلفاء في توثيقه[883]. قال عنه أحمد بن حنبل (ت 241 هـ): " كان خيّراً، ثقة، والأعمش أحفظ منه، وكان شعبة يختار الأعمش عليه في تثبيت الحديث"[884].

وعندما سأل عبد الله بن أحمد بن حنبل أباه عن عاصم بن بَهْدلة "قال: رجلٌ صالحٌ خيّرٌ، ثقةٌ، فسألته: أيُّ القراءة أحبُّ إليك؟ قال: قراءة

---

[881] الجرح والتعديل – الرازي ج 6 ص 340.

[882] معرفة القرّاء الكبار ج 1 ص 93. سير أعلام النبلاء ج 5 ص 260.

[883] الجرح والتعديل ج 6 ص 340. تهذيب الكمال ج 13 ص 476.

[884] الجرح والتعديل ج 6 ص 341.

أهل المدينة، فإن لم تكن فقراءة عاصم"[885]. وعندما سأل أباه عن حمَّاد بن أبي سليمان، وعاصم: " قال: عاصمُ أحبُّ إلينا، عاصم صاحب قرآن، وحمَّاد صاحب فقه"[886].

وتلك مفاضلةٌ بين القراءات. وإذا كانت القراءة القرآنية سنّة متبعة، فإن المفاضلة هنا محلُ نقاش، لأنها لونٌ من الإجتهاد مقابل النص.

وكان الطبري (ت 310 هـ) يقول في تفسيره: وهذه القراءة أحب إلي، أو: أعجب القراءتين إليّ قراءةُ فلان[887]. وقد أشرنا إلى قول العلامة الحلي (ت 726 هـ) في قراءة عاصم[888] .

وابن الجزري (ت 833 هـ) ينقل عن الطنافسي أنه قال: "من أراد أفصح القراءات فعليه بقراءة عاصم، ومن أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبي عمرو، ومن أراد الأصل فعليه بقراءة ابن كثير"[889].

أقول: وهذا يدلّ على استحسان وتفاضل. فإذا كانت قراءة عاصم أفصحها، فما معنى أن تكون قراءة أبي عمرو أحسنها؟ وإذا كانت قراءة عاصم الأفصح أي أنها تطابق قراءة النبي (ص) لغةً فما معنى أن تكون قراءة ابن كثير: الأصل؟

---

[885] معرفة القرّاء الكبار ج 1 ص 90.

[886] الجرح والتعديل ج 6 ص 340.

[887] جامع البيان ج 2 ص 134.

[888] منتهى المطلب ج 1 ص 273.

[889] غاية النهاية ج 1 ص 75.

وعلى نفس المنهج سار مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ) قائلاً: "أصح القراءات سنداً نافع وعاصم، وأفصحها أبو عمرو والكسائي"[890].

فإذا كانت قراءة عاصم أصحها سنداً، فما معنى أن تكون قراءة أبي عمرو والكسائي أفصحها؟ إذن هناك تفضيل قراءة دون أخرى دون قاعدة واضحة أو أصلٌ يعمل به !

السبب الرئيسي في الأخذ برواية حفص عن عاصم واشتهارها

رجّحَ فقهاء مدرسة أهل البيت (ع) قراءة عاصم برواية حفص باعتبارها متصلة بدون واسطة بأئمة أهل البيت (ع)، وهي قراءة متوافقة مع قراءة قريش التي نزل القرآن بلغتها، ومع لهجتها الفصحى.

اتقن حفص، وعاصم، وأبو عبد الرحمن السلمي حفظهم القرآن وقرائته، حتى أصبحت قراءتهم أضبط القراءات لأنهم أتوا بالأصل، واظهروا ما أدغمه غيرهم، وحققوا من الهمز ما ليّنه غيره، وفتحوا من الألف ما أماله غيرهم. فاختار العلماء تلك القراءة لأنها أضبط القراءات.

قال فقهاء أهل البيت (ع): "وأما عاصم فقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وقال أبو عبد الرحمن: قرأتُ القرآن كله على علي بن أبي طالب (ع)، فقالوا: أفصح القراءات قراءة عاصم لأنه أتى بالأصل، وذلك أنه

---

[890] فتح الباري ج 9 ص 32.

يُظهر ما أدغمه غيره، ويحقق من الهمز ما ليَّنه غيره، ويفتح من الإلفات ما أماله غيره"[891].

ومالَ العلامة الحلي (ت 726 هـ) إلى " قراءة عاصم من طريق أبي بكر بن عيّاش، وطريق أبي عمرو بن العلاء، فإنها أولى من قراءة حمزة، والكسائي لما فيهما من الإدغام والإمالة وزيادة المدّ وذلك كله تكلف..." [892].

أما الشيخ الطبرسي (ت 548 هـ) فقد ناقش سبب إجتماع الناس على قراءة أولئك القرّاء، فقال: "وإنما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء [القرّاء]، واقتدوا بهم فيها لسببين:

أحدهما: أنهم تجردوا لقراءة القرآن، واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم، ومن كان قبلهم، أو في أزمنتهم، ممن نُسب إليه القراءة من العلماء وعُدِّت قراءتهم في الشواذ، ولم يتجرد لذلك تجردهم. وكان الغالب على أولئك الفقه، أو الحديث، أو غير ذلك من العلوم.

[السبب] الآخر: أنّ قراءتهم وجدت مسندة لفظاً، أو سماعاً، حرفاً حرفاً، من أول القرآن إلى آخره، مع ما عُرف من فضائلهم، وكثرة علمهم بوجوه القرآن. فإذ قد تبين ذلك فاعلم أن الظاهر من مذهب الإمامية أنهم

---

[891] بحار الأنوار ج 40 ص 156.

[892] منتهى المطلب ج 1 ص 273.

أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرّاء بينهم من القراءات، إلا أنهم اختاروا القراءة بما جاز بين القرّاء، وكرهوا تجريد قراءة مفردة"[893].

ونضيف عليه أن جواز القراءة بما يتداوله القرّاء إنما كان بعلم أهل البيت (ع) بأن أكثر القرّاء قد قراءوا عليهم مباشرة أو بواسطة؛ وبأنّ القراءات القرآنية لم تكن تتجاوز الحد الشرعي المسموح به في الإدغام والإمالة وتحقيق الهمز.

وبكلمة، فإنّ قراءة حفص عن عاصم أصح قراءة:

أولاً: لاتصالها بأهل البيت (ع) مباشرة وكونها قراءة متواترة عنهم.

ثانياً: موافقتها لقواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن.

ثالثاً: عدم التكلف في الإدغام، والإمالة، وزيادة المدّ.

أمثلة عامة على قراءة حفص عن عاصم:

وهذه أمثلة متميزة من قراءة حفص عن عاصم أوردناها كمدخل لفهم تلك القراءة:

1 – قراءة حفص: في قوله تعالى: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[894]، قرأ (مَالِكِ) بالألف[895]. قال أغلب فقهاء الإمامية: "تجوز قراءة (مالك يوم الدين)،

---

[893] مجمع البيان ج 1 ص 38.

[894] سورة الفاتحة: الآية 4.

[895] (شرح) طيبة النشر – الجزري ص 49.

و(ملك يوم الدين)، ويجوز في (الصراط) بالصاد والسين، ويجوز في (كفواً) أن يقرأ بضم الفاء، وبسكونها مع الهمزة، أو الواو"[896].

2 – قرأ حفص قوله تعالى: (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ)[897]، بينما قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو : وما يخادعون إلا أنفسهم[898].

3 – قرأ حفص وغيره[899] قوله تعالى: (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)[900]، بينما قرأ نافع: ويقتلون النبيئين بغير الحق[901]، بهمز النبيين، وهو من النبر المنهي عنه كما نُقِلَ في الحديث الشريف.

شرح العلامة المجلسي (ت 1111هـ) الهمز ببيان واقعة لرسول الله (ص): " قال ابن الجزري: أن رجلاً قال له (ص): يا نبيء الله، فقال (ص): (لا تنبر اسمي[902]، فإنما أنا نبي الله). النبي فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ: الخبر، لأنه أنبأ عن الله أي أخبر، ويجوز فيه تحقيق الهمزة وتخفيفه، يقال: نَبَأَ ونبّأَ وأنبَأَ، قال سيبويه: ليس أحدٌ من العرب إلا ويقول: تنبأ مسيلمة – بالهمز – غير أنهم تركوا الهمز في النبي (ص) كما

---

[896] منهاج الصالحين – السيد الخوئي ج 1 ص 165.

[897] سورة البقرة: الآية 9.

[898] حجة القراءات ج 1 ص 87.

[899] حجة القراءات ج 1 ص 98.

[900] سورة البقرة: الآية 61.

[901] حجة القراءات ج 1 ص 98.

[902] أي لا تهمز اسمي، من: نَبَرَ الحرف: همزه.

تركوه في الذرية[903]، والبرية[904]، والخابية[905]، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الأحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك.

قال الجوهري: يقال: نبأتُ على القوم: إذا طلعت عليهم، ونبأت من أرضٍ إلى أرضٍ إذا خرجتَ من هذه إلى هذه، قال: وهذا المعنى أراد الإعرابي بقوله: يا نبيء الله، لأنه خرج من مكة إلى المدينة، فأنكر عليه الهمز لأنه ليس من لغة قريش، وقيل: إن النبي مشتقٌ من النباوة وهي الشيء المرتفع.

وقال الجزري في النبر بالراء المهملة: فيه: قيل له: يا نبيء الله، فقال: إنا معشر قريش لا ننبر، وفي رواية: لا تنبر باسمي، النبر: همز الحروف، ولم تكن قريش تهمز في كلامهم"[906].

فالنبر إذن همز الحرف، ولم تكن قريش تهمز في كلامها او لغتها، أمر النبي (ص) بعدم الهمز، كما ورد عن الإمام الصادق (ع) قال: (قال رسول الله (ص): تعلموا القرآن بعربيته وإياكم والنبر فيه)[907] يعني الهمز. وقال (ع) أيضاً: (الهمز زيادة في القرآن إلا الهمز الأصلي مثل قوله تعالى: (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[908]،

---

[903] الذرية: من ذرء.

[904] البرية: من برئ.

[905] الخابية: من خبء.

[906] بحار الأنوار ج 11 ص 29.

[907] معاني الأخبار – الشيخ الصدوق ص 345.

[908] سورة النمل: الآية 27.

وقوله تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا)[909]، ومثل قوله تعالى: (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ)[910].

وقراءة عاصم من دون همز إلا في الموارد الثلاثة المذكورة آنفاً، على عكس قراءة ورش وقالون.

المباني اللغوية في قراءة حفص

نعرض لبعض الخصائص التي تميزت بها قراءة حفص في المماثلة، والفتح والإمالة، والهمزة وتحريك الفعل، والتأنيث والتذكير، والإعراب.

"المماثلة" في قراءة حفص:

ذكرنا تعريف المماثلة فيما سبق، ونعرض هنا نماذج للمماثلة في قراءة حفص:

1 – في قوله تعالى: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)[911]، قُرأت كلمة (يَضُرُّكُمْ) بضم الراء المشددة، وكذلك بفتحها، وبإسكانها خفيفة، وقرأ حفص بالضم[912]. و"الأصل فيه (يضررركم) ثم نقل حركة الراء إلى الضاد، وأدغم الراء في الراء، فالتقى ساكنان، فتحركت الراء المشددة، وكانت

---

[909] سورة البقرة: الآية 72.

[910] سورة النحل: الآية 5.

[911] سورة آل عمران: الآية 120.

[912] السبعة في القراءات ص 215.

الضمة إتباعاً وانسجاماً لحركة الضاد، ومن ثم فالضمة حركة نطق لا حركة إعراب"[913].

2 – في قوله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ)[914]، قُرأت (فَنِعِمَّا) بكسر النون والعين، وبفتح النون وكسر العين، وبكسر النون وإسكان العين، وقراءة حفص: كسر النون والعين[915]. ذلك أن العين قد كُسرت لالتقاء الساكنين.

أشار سيبويه إلى " أن كسر العين لغة هذيل، وهي على لغة كسر العين لا إسكانها"[916].

3 – في قوله تعالى: (أَمَّنْ لَا يَهِدِّي)[917]، قُرأت (يَهِدِّي) بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال، وقُرأت بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وقُرأت بفتح الياء وإسكان الهاء وتخفيف الدال، وقُرأت بكسر الياء والهاء وتشديد الدال، وقراءة حفص: فتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال[918].

---

[913] النشر ج 2 ص 283.

[914] سورة البقرة: الآية 271.

[915] الحجة في علل القراءات ص 102.

[916] كتاب سيبويه ج 4 ص 439.

[917] سورة يونس: الآية 35.

[918] إعراب القراءات السبع ج 2 ص 234.

وأصل (يَهِدِّي) هو (يهدي) أُبدل الدال تاءً. قال ابن خالويه (ت 370 هـ): "أنه حذف الحركة وأسكن التاء، فالتقى ساكنان: سكون الهاء وسكون الدال المُشددة بعد قلب التاء دالاً. فكُسِرت الهاء لالتقائهما"[919].

4 – في قوله تعالى: (وَهُمْ يَخِصِّمُونَ)[920]، قُرأت (يَخِصِّمُونَ) بكسر الخاء وتشديد الصاد، وبفتح الخاء وتشديد الصاد، وبإسكان الخاء وتخفيف الصاد، وقراءة حفص: كسر الخاء وتشديد الصاد[921]. و"الكسر أجود وأكثر"[922].

الفتح والإمالة في قراءة حفص:

قراءة حفص كانت معروفة بالفتح في جميع آيات القرآن الكريم عدا مكان واحد وهو كلمة (مَجْرَاهَا) في قوله تعالى: (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا)[923]. قال المتقدمون من علماء العربية بأن الفتح هو الأصل، والإمالة فرعٌ منه. والفتح لغةُ الحجاز.

لم تنتشر الإمالة في قراءة حفص وهو كوفي، مع أن قراءات أهل الكوفة اشتهرت لاحقاً بالإمالة، لأن حفص كان قد تلقى قراءته عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي. وهي قراءة منصوصة عن علي (ع). وإمالة

---

[919] الحجة في علل القراءات ص 181.

[920] سورة يس: الآية 49.

[921] النشر ج 2 ص 354.

[922] إبراز المعاني ص 659.

[923] سورة هود: الآية 41.

(مَجْرَاهَا) في قراءة حفص هي إمالة للألف[924]، أي أنها قراءة منصوصة عن طريق الوحي.

الهمز في قراءة حفص:

حرصت القبائل البدوية مثل تميم على الهمز، بينما مالت قريش، وهي من قبائل الحجاز، الى التسهيل أو ترك الهمز[925]، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

واللغة الأدبية تحقق الهمز، بل هي الفاشية في لهجات العرب[926]، وقراءة حفص لا تحقق الهمز أو التسهيل، إلا في المواضع الثلاثة[927]، وهي الذرء، والخبء، والبرئ.

وهناك أمثلة سهّل حفص فيها الهمز، ومنها:

1 – في قوله تعالى: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[928]. قرأ جميع القرّاء (كُفُؤاً) بالهمز، إلا حفصاً قرأها بالتسهيل[929].

بينما قال ابن مجاهد وهو يشرح قراءات (كفواً): "قرأ ابن كثير، وابن عامر، والكسائي، وأبو عمرو في رواية اليزيدي وعبد الوارث: (كفؤاً)

---

[924] إتحاف فضلاء البشر ج 1 ص 397.

[925] النشر ج 2 ص 390.

[926] إتحاف فضلاء البشر ج 2 ص 560.

[927] السبعة في القراءات ص 701.

[928] سورة الإخلاص: الآية 4.

[929] إبراز المعاني ص 330.

بضم الفاء مهموزة، وروى عباس بن الفضل، والقطعي عن محبوب: (كفؤاً) مهموزاً خفيفاً. وقرأ حمزة: (كفؤاً) مهموزة خفيفة. وأختلف عن نافع، ففي رواية ابن جماز، وخلف عن المسيبي، وأحمد بن صالح عن ورش، وأبي عمارة عن يعقوب، وأبي عبيد عن إسماعيل: (كفؤاً) مثقلاً مهموزاً، وكذلك خارجة عن نافع.

وروى الكسائي، وسليمان الهاشمي عن إسماعيل عن نافع: (كفؤاً) خفيفاً مهموزاً، وكذلك أخبرنا إسماعيل بن إسحق عن قالون مثله، وكذلك قال أبو بكر بن أبي أويس: (كفؤاً) خفيفاً مهموزاً، وكذلك قال محمد بن إسحق عن أبيه عن نافع وأبو عمارة عن إسحق عن نافع، وكذلك أبو عمرو بن إسماعيل.

وحدثني المروزي عن ابن سعدان عن إسحق عن نافع: (كفواً) مثقلاً غير مهموز. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: (كفؤاً) مثقلاً مهموزاً، وروى حفص عن عاصم: (كفواً) مثقلاً غير مهموز"[930].

2 – في قوله تعالى: (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا)[931] قرأ جميع القرّاء (هُزُؤا) بالهمز، إلا حفصاً قرأها بالتسهيل[932].

3 – قوله تعالى: (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا)[933]. قُرأت: (نُنْسِهَا)، و(ننساها) بالهمز. قرأ حفص (نُنْسِهَا)[934] بالتسهيل.

---

[930] السبعة في القراءات ص 701.

[931] سورة البقرة: الآية 67.

[932] إتحاف فضلاء البشر ج 1 ص 397.

[933] سورة البقرة: الآية 106.

والقراءة المختلفة هنا تعطي معانٍ مختلفة: فإذا هُمزت يكون معنى (أنسأ) من التأخير؛ وإذا سُهّلت يكون معنى (أنسي) من النسيان؛ وترك الهمز أقوى[935]، يؤكد هذا قوله تعالى: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ)[936].

تحريك (فَعَلَ) في قراءة حفص:

اختلف القرّاء في تحريك (فَعَلَ) مثل: (مَكَثَ)، و(بَرَقَ). وكذلك اختلفوا في تحريك (يَفْعل) مثل: (يَحْسب)، و(يَقْسط)، و(يَلْمز) ونحوها:

1 – في قوله تعالى: (وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)[937]، وقوله تعالى: (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا)[938] قُرأ فعل (ماتَ) بصيغتين: (مُتُّمْ) بضم الميم، و(مِتُّ) بكسر الميم. وقد "حفظت قراءة حفص القراءتين، حيث جاء (مُتُّمْ) بالضم و(مِتُّ) بالكسر"[939]. وكلتا القراءتين من الفصحى.

2 – في قوله تعالى: (فَمَكَثَ)[940] قُرأت بفتح الكاف وضمّها، وقراءة حفص: الفتح[941]. "والإختيار عند النحويين الفتح، لأن اسم الفاعل منه لا يجيء على فعيل، وقد جاء (ماكثون)، ومَكَثَ بالفتح مثل قَعَدَ..."[942].

---

[934] السبعة في القراءات ص 168.

[935] إبراز المعاني ص 337.

[936] سورة الأعلى: الآية 6.

[937] سورة آل عمران: الآية 158.

[938] سورة مريم: الآية 23.

[939] إعراب القراءات السبع ج 1 ص 121.

[940] سورة النمل: الآية 22.

3 – في قوله تعالى: (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ)[943] قُرأ (برق) بكسر الراء وفتحها، وقراءة حفص: الكسر[944]. ومعنى (بَرِقَ الْبَصَرُ) بالكسر: حار البصر. أما بالفتح فمعناه لَمِعَ. والأول لغة الحجاز.

4 – قوله تعالى: (وَمَنْ يَقْنَطُ)[945]، "قُرأ بفتح النون وبكسرها، وقراءة حفص: الفتح"[946]. وكذلك قوله تعالى: (يَحْسَبُهُمُ)[947] قراءة حفص: فتح السين"[948].

5 – قوله تعالى: (يَلْمِزُكَ)[949]، قُرئ بكسر الميم وبضمها، وقراءة حفص: الكسر"[950].

---

[941] النشر ج 2 ص 337.

[942] الحجة في علل القراءات ص 270.

[943] سورة القيامة: الآية 7.

[944] الحجة في علل القراءات ص 357.

[945] سورة الحجر: الآية 56.

[946] النشر 2 ص 302.

[947] سورة البقرة: الآية 273.

[948] النشر ج 2 ص 236.

[949] سورة التوبة: الآية 58.

[950] النشر ج 2 ص 279.

التأنيث والتذكير في قراءة حفص:

بُنيت قراءة حفص على الفصحى، وقواعد العربية الخاصة بالتأنيث والتذكير. ومن ذلك بعض الكلمات تُذكّرْ حملاً على المعنى، أو تؤنّثْ مراعاةً للفظ. وتلك هي لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، ومنها:

أ – قراءة حفص في التذكير:

1 – في قوله تعالى: (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ)[951] قُرئ فعل (يَنْفَعُ) بالياء وبالتاء، وقراءة حفص: الياء[952].

2 – قوله تعالى: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)[953] قُرئ فعل (يُقْبَلُ) بالياء وبالتاء، وقراءة حفص: بالياء[954].

3 – قوله تعالى: (يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ)[955] قُرئ فعل (يُجْبَىٰ) بالياء وبالتاء، وقراءة حفص بالياء[956].

4 – قوله تعالى: (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ)[957] قُرئ فعل (يَحِلُّ) بالياء وبالتاء، وقراءة حفص بالياء[958].

---

[951] سورة الروم: الآية 57.

[952] الإتحاف ج 2 ص 360.

[953] سورة البقرة: الآية 48.

[954] السبعة في القراءات ص 155

[955] سورة القصص: الآية 57.

[956] الإتحاف ج 2 ص 83.

[957] سورة الأحزاب: الآية 52.

[958] النشر ج 2 ص 349.

ب – قراءة حفص في التأنيث:

1 – في قوله تعالى: (كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ)[959] قُرئ فعل (تَكُنْ) بالتاء والياء، وقراءة حفص: التاء[960].

2 – في قوله تعالى: (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ)[961] قرأ حفص (تَسْتَوِي) بالتاء، وكذلك قوله تعالى: (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ)[962] قرأ حفص (وَلَمْ تَكُنْ) بالتاء[963]، وقرأ غيره بالياء.

الإعراب في قراءة حفص:

اختلفت قراءة بعض الكلمات القرآنية عند القرّاء حسب إعرابها. عُدّتْ قراءة حفص عن عاصم أصح القراءات، كما نعرض في الأمثلة التالية:

أ – الرفع عند حفص، والنصب والجر عند غيره:

1 – قوله تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ)[964] قُرئ (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) بالرفع والنصب، وقراءة

---

[959] سورة النساء: الآية 73.

[960] السبعة في القراءات ص 235.

[961] سورة الرعد: الآية 16.

[962] سورة الكهف: الآية 43.

[963] النشر ج 2 ص 250.

[964] سورة الأعراف: الآية 26.

حفص: الرفع[965]. و"دلالة الرفع أن (لِبَاسُ) مبتدأ، و(خَيْرٌ) خبره، و(ذَلِكَ) نعت لـ (لِبَاسُ)..."[966].

2 – قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)[967] قُرئ (وَالْبَحْرُ) بالرفع والنصب، وقراءة حفص: الرفع[968]. الرفع بإعتباره مبتدأً، والجملة الفعلية خبره.

3 – قوله تعالى: (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)[969] قُرئت (آيَاتٌ) بالرفع والنصب، وقراءة حفص: الرفع[970]. الرفع بإعتباره مبتدأً، وشبه الجملة خبره.

4 – قوله تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)[971] قُرأ (عَمَلٌ) بالرفع والنصب، وقراءة حفص: الرفع[972]. فـ "(عَمَلٌ) خبر (إنّ)، و(غَيْرُ) بدل أو نعت. ومعناه إن سؤالك أياي أن أُنجي كافراً ليس من أهلك عملٌ غيرُ صالح[973].

---

[965] السبعة في القراءات ص 280.

[966] الحجة على القراءات ص 154.

[967] سورة لقمان: الآية 27.

[968] السبعة في القراءات ص 513.

[969] سورة الجاثية: الآية 4.

[970] الإتحاف ج 2 ص 465.

[971] سورة هود: الآية 46.

[972] السبعة في القراءات ص 334.

[973] الحجة في القراءات ص 187.

ب – النصب عند حفص:

1 – قوله تعالى: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)[974] قُرأت (الْبِرَّ) بالنصب والرفع، وقراءة حفص: النصب[975]. "ودلالة النصب أن (الْبِرَّ) خبر (لَيْسَ) مقدّمٌ على اسمها المصدر المؤول (أَنْ تُوَلُّوا)[976]، وكان المصدر أولى أن يكون اسماً لأنه لا يتنكر، والبر قد يتنكر. وأَنْ والفعل: أقوى في التعريف"[977].

2 – قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ)[978]، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)[979] قُرأت (تِجَارَةً) بين النصب والرفع، وقراءة حفص: النصب[980]. "ودلالة النصب أن فعل الكينونة ناقص ناسخ و(تِجَارَةً) خبره، واسم كان مضمر فيها"[981].

وما عرضناه يكفي للتدليل على فصاحة قراءة حفص، وارتباطها بقراءة أئمة أهل البيت (ع) المتصلة برسول الله (ص).

---

[974] سورة البقرة: الآية 177.

[975] النشر ج 2 ص 226.

[976] الحجة في القراءات ص 92.

[977] الكشف عن وجوه القراءات ج 1 ص 280.

[978] سورة البقرة: الآية 282.

[979] سورة النساء: الآية 29.

[980] الجامع لأحكام القرآن ج 1 ص 615.

[981] الحجة في القراءات ص 103، وجامع البيان ج 8 ص 219.

الفصل السادس

النتائج المستخلصة من بحوث الكتاب

(نظرية إشتراك المدرستين في حفظ القرآن الكريم)

مقدمة. علي بن أبي طالب (ع) والقرآن: إرتباط المصير. الإقراء والتلقي من رسول الله (ص). قرّاء المدرستين. أئمة القراءات العشر. نشوء القراءات. أصول القراءة القرآنية على ضوء حديث الثقلين.

نظرية إشتراك المدرستين في حفظ القرآن الكريم

نحاول من خلال إستخلاص زبدة بحوث الكتاب الوصول إلى نظرية في القراءة القرآنية تنسجم مع حديث الثقلين، وتتناغم مع قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[982]، و(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[983].

مقدمة:

لاشك أن القراءة، وإيقاع الكلمات، وشمولية المعاني تُعدُّ عناصرَ في الإعجاز القرآني، فإنّ من خصائص الكتاب الآلهي: القراءة؛ أي كونه كتاباً مقروءاً بألفاظ منصوصة، وطالما كان ذلك الكتاب مقروءً كان لابد لقارئه أن يكون عالِماً بألفاظه، وعارفاً بما تحمله تلك الألفاظ من معانٍ وتراكيبٍ.

ولعل أول آية نزلت من القرآن الكريم حملت ذلك المعنى، فكانت آية: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)[984] تدلّ على طرفي المعادلة التكوينية: الوجود (الخلق)، والمعرفة (القراءة). فلا يستقيم الوجود بدون المعرفة أو القراءة. وكان رسول الله (ص) القارئ الأول لكتاب الله تعالى، وكان إلى جنبه (ص) إنسانٌ حمل همّ القرآن منذ نعومة أظفاره.

---

[982] سورة الحجر: الآية 9.

[983] سورة الأحزاب: الآية 33.

[984] سورة العلق: الآية 1.

علي بن أبي طالب (ع) والقرآن: ارتباط المصير

كان عليُّ بن أبي طالب (ع) أملَ رسول الله (ص) في حفظ القرآن وصيانته رسماً وقراءةً وتفسيراً، وكان مصداقاً من مصاديق الآية الكريمة: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[985]، و(إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ. وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ)[986].

فما أن تصاعدت حمى القراءات المتعددة في الثلث الأول من القرن الأول الهجري حتى قام الإمام (ع) بعرض النسخة التي كتبها في حياة النبي (ص) مباشرة على الخليفة الثالث، فاستُنسخت عنها المصاحف الخمسة على الأمصار. وفي ذلك أدلة:

الأول: أن من وظيفة الإمام (ع) أن يقرأ الناس القرآنَ الأصل. فما فائدة بقاء الأصل مخزوناً، والمسلمون بحاجة إلى قراءة القرآن الصحيح المحفوظ ما بين الدفتين. فقام (ع) بذلك إحساساً منه بتلك المسؤولية الخطيرة الملقاة على عاتقه.

الثاني: أن القراءة الأصل المطابِقة هي قراءة حفص، عن عاصم، عن السلمي عن علي (ع). فالقراءة المشهورة عن حفص مطابقة للمصحف المخطوط بخطه (ع) بمدادٍ أسودٍ، وبحركاته النحوية بالمداد الأحمر.

الثالث: لو كان المصحف الذي كتبه عثمان مختلفاً عن مصحف علي (ع) لأعلنه الإمام (ع)، خصوصاً أنه تولى إمرة المؤمنين بعد عثمان. ولكنه

---

[985] سورة الحجر: الآية 9.

[986] سورة الطارق: الآيات 13- 14.

(ع) لم يفعل ذلك. وفي ذلك دلالة على أن المصحف الذي كتبه (ع) زمن رسول الله (ص) هو نفس المصحف الذي استنسخه الخليفة الثالث.

وما سُمي بمصحف عثمان هو في الواقع هي تلك النسخة التي كانت خلف فراش رسول الله (ص) محفوظةً بعنايته (ص) وعناية وصيه (ع)، فلما توفي النبي (ص) آلى الإمام (ع) على نفسه إلا يخرج من بيته حتى يجمع صحف القرآن كما نزل مُصاناً بيدٍ غيبيةٍ. ومع أن القرآن كان محفوظاً على صحف كتبها (ع) بيده، إلا أنّ ذلك لا يتنافى بأن يكون محفوظاً في صدره (ع)، وصدور مجموعة من صحابة النبي (ص) أيضاً.

علي بن أبي طالب (ع) والقرآن: الإقراء والتلقي من رسول الله (ص)

كان الإمام (ع) أقرب الناس إلى النبي محمد (ص) قبل البعثة وبعدها، فقد رباه (ص) على معاني التوحيد وأهداف النبوة؛ وكان القرآن الكريم الأمانة الكبرى التي تحمّلَ نقلها (ع) من رسول الله (ص) إلى الأمة: قراءةً، وكتابةً، وتفسيراً.

كان ذلك العلم يُنقل إليه (ع) عبر الإقراء والدرس كما في قوله (ع): (فما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها، وأملاها عليَّ فكتبتها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها)[987].

[987] الكافي ج 1 ص 64.

وكانت المناجاة، وهي المحادثة همساً، طريقاً آخر للعلم، فهو القائل (ع) أنّ آية النجوى لم يعمل بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...)[988]. وكان (ع) كلما أراد أن يخلو برسول الله (ص) طلباً للعلم تصدق بمالٍ، فكانت مادة العلم التي يناجيه بها حاضرةً في ذهنه (ع)، وكذلك كانت الرغبة، والمسؤولية لطلب العلم، فكانت المناجاة مستمرة حتى نُسخت الآية ورُفع الطلب.

وهذه الآية الكريمة فيها دلالة على جدارته (ع) بتلقي علم النبي (ص) في القرآن الكريم، وكانت مصداقاً من مصاديق التعهد الالهي بحفظ القرآن.

وآية أخرى تعدُّ من مصاديق ارتباط أهل البيت (ع) بالقرآن، وهي قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...)[989]، ومن حق التلاوة: صحة إخراج الحروف من مخارجها، وصحة نظم المعاني، والوقوف على أسرارها صوتاً، ولفظاً، وتفسيراً.

كان المسلمون يتعلمون القرآن كلما نزل على رسول الله (ص) شيء من الوحي. وكان رسول الله (ص) حريصاً على جمعه بصورته التي نزل بها الوحي إلى درجة أنه كان يضع الصحف القرآنية قرب فراشه حرصاً عليها من أن تمسّها يد السوء من المنافقين والكفار، فجمعه (ع)

---

[988] سورة المجادلة: الآية 12.

[989] سورة البقرة: الآية 121.

وختمَ عليه بوصيةٍ منه (ص). وكلما نزل جبرئيل (ع) بآيات على النبي (ص)، أملاها على علي (ع) وعلى آخرين ممن كتبوا الوحي.

ولم يتوقف ذلك الحفظ للكتاب الآلهي على الآيات القرآنية، بل كان ترتيبُها توقيفاً من رسول الله (ص)، أجمع على ذلك فقهاء المسلمين. بمعنى أن نظم الآيات القرآنية، والسور، والبسملة كلها كُتبت بأمرٍ من النبي (ص)، لأنه (ص) كان مأموراً من الوحي بجمع القرآن، وترتيبه بنظام السور والآيات في حياته (ص). فالقرآن محفوظٌ بين الدفتين كما نزل.

قرّاء المدرستين:

ومن أجل تكوين فكرة واضحة عن القراءات القرآنية بعد وفاة رسول الله (ص) لابد أن نضع القرّاء في مدرستين لا ثالث لهما، وهما: مدرسة أهل البيت (ع)، ومدرسة الخلفاء.

ولكي نتبين مدى صدق تلامذة أهل البيت (ع) في الحفاظ على القراءة الأصل للقرآن الكريم نذكر أن سفيان الثوري وصف قراءة حمزة بن حبيب الكوفي (ت 156 هـ) الذي قرأ على الإمام الصادق (ع)، قائلاً: " ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر"[990]. أي أن تلامذة أهل البيت (ع)، ومنهم حمزة بن حبيب لم يزيدوا على ما قرأوه من القرآن على أئمتهم (ع) حرفاً واحداً، ولم ينقصوا منه كذلك.

[990] تهذيب الكمال ج 7 ص 322.

مدرسة الخلفاء: وهم الذين لم يقرأوا على علي بن أبي طالب (ع) أو أيٍّ من أئمة أهل البيت (ع)، نضعهم في هذه المدرسة، ومنهم: الصحابي أُبيّ بن كعب (ت 32 هـ) قرأ على رسول الله (ص) مباشرةً وكان قريباً في ولائه من أهل البيت (ع)، والصحابي أبو الدرداء الأنصاري (ت 32 هـ)، والصحابي عثمان بن عفان (ت 35 هـ)، والصحابي عبد الله السائب (ت 70 هـ)، والصحابي عامر بن قيس (ت 55 هـ)، والصحابي زيد بن ثابت (ت 45 هـ)، والمغيرة بن أبي شهاب[991] (ت بعد 70 هـ)، والصحابي أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري (ت 44 هـ)، وآخرون كُثرٌ.

مدرسة أهل البيت (ع): الأصل فيها القراءة على الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي قرأ مباشرة على النبي (ص)، وكذلك القراءة على الإمام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، والقراءة على الإمام جعفر الصادق (ع) ابن الإمام الباقر (ع). وكلُ تلك الطرق توصل إلى قراءة الأصل وهي قراءة رسول الله (ص).

قرأ القرآن على علي (ع) مباشرة: الصحابي عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ) بالإضافة إلى قرائته على النبي (ص)، وهو القائل: "قرأتُ سبعين سورة من فلق رسول الله (ص) كما أُنزلت، وقرأتُ البقية على خير

---

[991] لم يذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، ولم يُعرف عنه أنه كان تابعياً أو رأى النبي (ص). لكنه ذُكر في كتاب (القراءات) بأنه صاحبَ عثمان بن عفان في القراءة (غاية النهاية في طبقات القراء ج 1 ص 411).

خلق الله بعد نبي الله (ص) علي بن أبي طالب (ع)"[992]، والصحابي أبو عبد الرحمن السُلمي (ت 73 هـ)، والتابعي أبو الأسود الدؤلي (ت 69 هـ)، والصحابي عبد الله بن عباس (ت 68 هـ) المعروف عنه قوله: "جلّ ما تعلمتُ من التفسير من علي بن أبي طالب (ع)"[993]، والصحابي عبد الرحمن بن عبد ربه الأنصاري (ت 61 هـ)، والصحابي حبيب بن مظاهر (ت 61 هـ)، والتابعي برير بن خضير (ت 61 هـ) من شيوخ قراء القرآن في مسجد الكوفة.

وقرأ بوسائط عن الإمام علي (ع): التابعي عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت 83 هـ)، ونصر بن عاصم الليثي (ت 89 هـ)، وسعيد بن جبير (ت 95 هـ) القارئ، الحافظ، المفسر، الشهيد.

وممن قرأ القرآن عن الإمام الباقر (ع): عطاء بن يسّار (ت 103 هـ)، وحمران بن أعين (ت 130 هـ).

ومن أصحاب الإمام السجاد (ع): طاووس بن كيسان (ت 106 هـ) من قرّاء القرآن، وكان من خواص ابن عباس.

وممن قرأ القرآن على الإمام الصادق (ع): أبان بن تغلب (ت 141 هـ) الذي قرأ أيضاً على عاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب بن عمارة (ت 156 هـ)، وعلي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ)، وغيرهم.

---

[992] المسترشد ص 278.

[993] بحار الأنوار ج 89 ص 105 – 106.

ونستنتج من مصادر القراءات القرآنية أن قراءة مدرسة أهل البيت (ع) قد أتت بالأصل، فكانت تُظهِر ما أدغمه الآخرون، وتحقق من الهمز ما ليّنه الآخرون، وتفتح من الألف ما أماله غيرهم.

أئمة القراءات العشر:

أحاطت القصيدة اللامية المعروفة بالشاطبية بأسماء القرّاء السبعة، ثم أُضيف للسبعة ثلاثة أسماء فأصبحوا عشرة قرّاء.

ولو أجرينا إحصاءً لمجموع القرّاء العشرة الذين قرأوا القرآن لتبينت لنا النتيجة التالية: أن سبعة قرّاء من مجموع عشرة من أئمة القراءات قرأوا بصورة مباشرة أو بواسطة على أئمة أهل البيت (ع).

مدرسة أهل البيت (ع):

1 – عبد الله بن كثير (ت 120 هـ) قرأ على ابن عباس (ت 68 هـ) الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع).

2 – عاصم بن أبي النجود (ت 127 هـ) قرأ على أبي عبد الرحمن السُلمي (ت 73 هـ) الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع) مباشرة.

3 – أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) قرأ على عاصم (ت 127 هـ) الذي قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي (ت 73 هـ)، الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع).

4 – حمزة بن حبيب (ت 156 هـ) قرأ على الإمام جعفر الصادق (ع).

5 – علي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ) قرأ على الإمام جعفر الصادق (ع).

6 – يعقوب بن إسحاق الحضرمي (ت 205 هـ) قرأ على شهاب، الذي قرأ على سلمة، الذي قرأ على أبي الأسود الدؤلي، الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع).

7– أبو جعفر بن يزيد بن القعقاع (ت 130 هـ) قرأ على ابن عباس (ت 68 هـ)، الذي قرأ على علي بن أبي طالب (ع).

مدرسة الخلفاء:

1 – عبد الله بن عامر الدمشقي (ت 118 هـ).

2 – نافع بن عبد الرحمن (ت 199 هـ).

3 – خلف بن هشام البزاز (ت 229 هـ).

فتكون نسبة القراءة سبعة من عشرة يرجع أصلها إلى أهل البيت (ع)، أو قُلّ أن سبعين بالمائة من القرّاء كانوا يقرأون قراءة الإمام علي بن أبي طالب (ع) الذي قرأها على رسول الله (ص) مباشرةً رطبةً من فمه الشريف (ص).

هنا اشتركت المدرستان، بإرادة الله تعالى وتعهده بحفظ القرآن الكريم، بنشر القراءة القرآنية الصحيحة الواردة عن رسول الله (ص) عن الوحي.

وإذا كان أغلب القرّاء قد قراءوا على أئمة أهل البيت (ع) مباشرة أو بواسطة، فكيف نفسر الإختلافات بينهم في الإدغام، وتحقيق الهمزة، والإمالة ونحوها؟ قد يتوضح الجواب في الصفحات التالية.

نشوء القراءات:

ربما ساهم تأويل حديث الأحرف السبعة إلى انتشار القراءات المتعددة التي تجاوزت السبعين أو أكثر. ولم يكن هناك رابطٌ يربط الأحرف السبعة بالقراءات السبع إلا بعد أن نشر ابن مجاهد (ت 324 هـ) كتابه الذي جمع فيه قراءات سبع من مشهوري قرّاء الحرمين (مكة والمدينة)، والعراقين (الكوفة والبصرة)، والشام.

وأجمع فقهاء أهل البيت (ع) على أن الأحرف السبعة الواردة في قوله (ص) ليست هي القراءات السبع، بل هي أنواع التركيب من الأمر والنهي والقصص وغيرها.

ولم يكن تأويل حديث الأحرف السبعة صحيحاً، لأنه كان يعني تعدد التركيب اللفظي للقرآن، وتبدل المعاني القرآنية. وما تعدد القراءات مع ألفاظ جديدة، ومعاني مغايرة إلا تعدداً للقرآن الكريم، وهو باطلٌ بحق كتاب الله المجيد، خصوصاً إذا استوجب الزيادة والنقصان، والإبدال، ونحوها.

وساهم في نشوء القراءات اللهجات العربية، إلا أن اللهجات لا علاقة لها ببناء الجملة، بل تتصل في معظمها بالدراسات الصوتية والدلالية. ولا تتعدى اللهجات العربية أكثر من التنوع في الأداء من حيث الإمالة، وتحقيق الهمزة أو تسهيلها، والترقيق لبعض الحروف أو تفخيمها.

والملفِت أن بعض القرّاء قد أخذوا بلهجات قبائلهم في القراءات القرآنية، ولم يأخذوا ذلك في أشعارهم ومحافِلهم الأدبية، وهذا واضح لأن القرآن الكريم كتاب سماوي معجز يستوعب تلك القراءات في الإمالة، والإدغام، وتسهيل الهمزة أو تحقيقها.

وساهم في نشوء القراءات خلو المصحف من النقاط والحركات، حتى أشار الإمام علي بن أبي طالب (ع) على أبي الأسود الدؤلي بتنقيط كلمات القرآن الكريم، ورسم حركاته.

وفصاحة القرآن الكريم لم تستهدف قبيلة دون أخرى، بل جاء القرآن بلغة آلهية إعجازية إرتقت إلى مستويات من البلاغة تفوق الأدب العربي بدرجات.

واعتبر أهل البيت (ع) القراءة القرآنية سُنّة نبوية لا تخضع لمقاييس اللغة التي احتج بها النحويون ولا تتأثر بالشواذ من القراءات، بل تعتمد على الأثر النبوي، وروايات أهل البيت (ع).

الآثار المترتبة على اختلاف القراءات: لاشك أن اختلاف القراءات وتباينها ولّد مشاكل عديدة كان الكتاب الالهي في غنىً عنها، ومن تلك المشاكل: إختلاف القرّاء فيما بينهم في قضايا الإدغام، والإعراب، والنبر، والإمالة ونحوها. ومنها: التصادم بين القرّاء الذين اجتهدوا في القراءات وعلماء النحو. ذلك أن علماء النحو أذعنوا – على الأغلب – إلى نص القرآن الكريم باعتباره وحياً آلهياً مُنزلاً من السماء. ولكن ما أن اجتهد القرّاء في قراءات متباينة حتى اعترض النحويون على ذلك النمط من الإجتهاد، ولم

يكن اعتراضهم أبداً على النص الالهي. ومنها: الإختلاف في تطبيق بعض الأحكام الشرعية، وفيها: غسل الرجلين في الوضوء بدل المسح، وفيها: غسل المرأة من عدمه بعد النقاء من الطمث ونحوها.

أصول القراءة القرآنية على ضوء حديث الثقلين:

وبعد خمسة عشر قرناً من نزول القرآن الكريم، نستطيع أن نشخص أصول القراءة القرآنية على ضوء حديث الثقلين عبر المبادئ التالية:

الأول: أن المرجع بعد رسول الله (ص) في قراءة القرآن هم أهل بيت النبوة (ع)، وأن (القراءة سنّة متبعة)[994] كما ورد عنهم (ع). وطالما أرشدوا الناس إلى قراءة القرآن كما يقرأ الناس في زمانهم، وما بعد زمانهم تعيّن علينا الأخذ بأوامرهم (ع). وفي ذلك دلالة على أن قضية القرآن قضية آلهية من ناحية الحفظ والصيانة.

الثاني: بطلان تعدد القراءات إذا أوجب تعدد القرآن. أي أن القراءات المتعددة إذا أوجبت تعدد معاني القرآن، وكسر نظم الآيات بطُلتْ. وأيُّ تغيير في تركيب الآيات، ولو بحرفٍ أو حركةٍ زائدة من ضمٍّ أو فتحٍ أو جرٍ يُفسد نظم الآيات ومعانيها. ولذلك وقف أهل البيت (ع) موقفاً حاسماً ضد القراءات الشاذّة.

---

[994] التيسيير في القراءات السبع ص 27.

الثالث: أن القراءات المتعارفة زمن الإمام الصادق (ع) كانت قراءة ابن كثير، وعاصم بن أبي النجود، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة بن حبيب، والكسائي، وحمران بن أعين، وعطاء بن يسّار؛ بالإضافة إلى قراءة عبد الله بن عامر الدمشقي، ونافع بن عبد الرحمن، وغيرهم. وفي قول الإمام الصادق (ع): (اقرأ كما يقرأ الناس)[995] دلالة على أن تلك القراءات لم تكن شاذّة، وإلا لأدان الإمام (ع) القراءة الشاذّة بلفظٍ صريح. وفي قوله (ع) دلالة ثانية وهي أن أغلب القرّاء من الأسماء المذكورة آنفاً قد قرأ بقراءة علي بن أبي طالب (ع) الأصل، مباشرة أو بواسطة.

الرابع: أن أفكار مدرسة الخلفاء في القراءة القرآنية التي استُحدثت لاحقاً تشابه أفكار أهل البيت (ع). فكان من شروط مدرسة الخلفاء في مواجهة القراءات الشاذّة هو: موافقتها للغة العربية، وموافقتها أحد المصاحف العثمانية، وصحة سندها. وقراءة أهل البيت (ع) إنما هي قراءة المصحف المأثور عن رسول الله (ص) كتابةً ولفظاً، والذي أخذ به عثمان، وهو يُلبّي جميع تلك الشروط .

ولما كان تعدد القراءات لا يثمر بعلمٍ ولا أجرٍ، فقد حثّ أئمة أهل البيت (ع) أتباعهم على تلاوة القرآن، وعدم الإنشغال بتعدد القراءات عن فهم القرآن، والتدبر في معانيه.

ومن دلائل الحفظ الآلهي للقرآن الكريم ومصاديقه هو أننا وبعد قرون عديدة من نزوله نلمس إجماع المسلمين على قراءة القرآن الكريم

---

[995] الكافي ج 2 ص 633.

برواية حفص عن عاصم عن السُلمي عن الإمام علي (ع) عن رسول الله (ص).

فقد قرأ أبو عبد الرحمن السُلمي (ت 105 هـ) على الإمام علي بن أبي طالب (ع) قراءة كاملة للقرآن، ثم قرأ عليه عاصم بن النجود (ت 129 هـ) قراءة كاملة، ولم يخالفه في حرفٍ واحدٍ، ثم قرأ على عاصم تلميذٌ له هو حفص بن سليمان الأسدي (ت 180 هـ)، ولم يخالف استاذه في حرفٍ واحدٍ، وهكذا اتصل السند بالمنبع الأصيل الصحيح للقرآن الكريم.

أتقن حفص، وعاصم، وأبو عبد الرحمن السلمي حفظهم القرآن الكريم وقرائته، حتى أصبحت قراءتهم أضبط القراءات لأنهم أتوا بالأصل، ولم يبالغوا في الإدغام، ولا تليين الهمز، ولا إمالة الألف.

ومع أن أهل البيت (ع) جوزوا القراءة بما يقرأه القرّاء، ولم يعيّنوا قراءة بعينها، إلا أن علماء المسلمين رجحوا قراءة حفص عن عاصم لأنها أضبط القراءات، وأنها متصلة بدون واسطة بعلي بن أبي طالب (ع)، ثم برسول الله (ص)، وهي قراءة متوافقة مع قراءة قريش التي نزل القرآن بلغتها، وطريقتها الفصحى.

والحمد لله رب العالمين.

المصطلحات الواردة في الكتاب

إختلاس الحركة: ضعف الإعتماد على الحركة، وعدم إكمال النطق بها فيأتي القارئ بثلثيها أو بأكثرها دون تمامها. قرأ الدوري: (بَارِئِكُمْ) في قوله تعالى: (فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ)[996] باختلاس الحركة أي مختلساً غير ممكّن كسر الهمزة.

الإدغام: إيصال حرف ساكن بحرفٍ مثله، أو إسكان الحرف الأول وإدخاله في الثاني من غير أن يُفصل بينهما بحركة أو وقف، فيرتفع اللسان عنها ارتفاعة واحدة، مثل: (قطّع) وأصلها (قططَع).

الإدغام التام: وهو فناء صوت حرفٍ في صوت حرفٍ آخر، فيصبح الصوتان المتقاربان صوتين متماثلين في المخرج ، وهو إدغام بغير غنّة. ومثاله مجاورة صوت النون الساكنة أو التنوين مع صوت اللام أو الراء، كما في قوله تعالى: (بَلْ نَتَّبِعُ)[997]، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ...)[998].

الإدغام الناقص: عدم فناء صوت أحد الحرفين فناءً تاماً بالآخر. بل تبقى غنّة النون بعد إدغامها في الواو أو الياء، كما في قراءة قوله تعالى: (مِنْ وَرَائِهِمْ)[999]، وقوله تعالى: (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ)[1000].

---

[996] سورة البقرة: الآية 54.

[997] سورة البقرة: الآية 170.

[998] سورة الإخلاص: الآية 4.

[999] سورة الجاثية: الآية 10.

[1000] سورة الكهف: الآية 17.

الإدغام الصغير: إدغام حرفين الأول منهما ساكن والثاني متحرك سواءً كان الحرفان في كلمتين نحو (فَقَدْ ظَلَمَ)[1001]، أو (هَلْ لَكَ)[1002]، أو كلمة واحدة نحو (فَنَبَذْتُهَا)[1003] وسمي صغيراً لقلته.

الإدغام الكبير: الإسكان والإدراج بمعنى أن يكون الحرفان متحركين فيسكن الأول، ثم يدرج في الثاني، وبتعبير آخر: دمج حرفين في حرف واحد مشدَّداً سواء كانا مثلين، أو جنسين، أو متقاربين، مثل: (مدّ) وأصله (مدد).

الإشمام: ضم الشفتين، إشارة إلى حركة الفعل، مع الإدغام الصريح. وهي إمالة الكسرة نحو الضمة، مثل: (قِيلَ)، و(بِيعَ)، و(غِيضَ). بمعنى آخر: النطق بأول الفعل بحركة مكونة من حركتين هما الضم والكسر، يبدأ بالضمة ثم بالكسرة.

الإمالة: العدول بالألف عن استوائه إلى الياء، ليتجانس الصوت. أو العدول بالفتحة جهة الكسرة. مثلاً: قُرأت (خَافُوا)[1004] بالإمالة للألف بعد الخاء. وسُميت: الإمالة الكبرى بـ(الاضطجاع)، وهي ألفاظ متقاربة بمعنى التلفظ بالألف قريباً من الياء، أو الفتحة قريباً من الكسرة نحو (لله الواحد القهار)[1005].

[1001] سورة البقرة: الآية 231.

[1002] سورة النازعات: الآية 18.

[1003] سورة طه: الآية 96.

[1004] سورة النساء: الآية 9.

[1005] سورة إبراهيم: الآية 28.

التفخيم: تغليظ الحرف المنطوق، ويقابله الترقيق نحو اللام في (الله).

حروف الشفة العليا: اللام، والنون، والثاء، والذال، والظاء.

حروف الشفة السفلى: التاء، والدال، والطاء.

حروف الشفتين: الفاء، والباء، والواو، والميم.

حروف الحلق: حروف متقاربة المخرج وهي: (أهع حفخ).

حروف أصل اللسان: القاف والكاف.

حروف وسط اللسان: الياء المثناة التحتية، والشين، والجيم.

حروف طرف اللسان: الصاد، والسين، والراء.

الحروف المستعلية: الحروف التي إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والخاء,

الحروف غير المستعلية: الحروف التي إذا خرجت من موضعها لا تستعلي إلى الحنك الأعلى، وهي: الجيم، والحاء، والسين.

الترقيق: تنحيف الحرف عند إخراجه بحيث يخرج نحيفاً ضعيفاً في صفته، فلا يمتلئ الفم بصداه. ويختص الترقيق بحروف الإستفال، وهي واحد وعشرون حرفاً: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، د، ذ، ر، ز، س، ش، ع، ف، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي) التي ينحفض اللسان عند النطق بها إلى قاع الفم. عدا اللام والراء في بعض أحوالهما، وعدا الألف، مثال ذلك: وقوع لفظ الجلالة بعد كسر، مثل: (بِاللَّهِ)[1006]، (بِسْمِ اللَّهِ)[1007].

[1006] سورة البقرة: الآية 8.

الروم: تضعيف الصوت بالحركة حتي يذهب معظمها. مثل: (لَا تَأْمَنَّا)[1008]، أي إدغام النون في النون.

الصوائت: حركات عند النطق بها يصحبها تقاربٌ أقل بين الشفة السفلى والعليا، أو اللسان والحنك. مثل: الفتحة (َ)، والضمة (ُ)، والكسرة (ِ) ونحوها.

الصوامت: حروف يصحبها، عند النطق بها، تقاربٌ بين عضوي النطق كالشفة السفلى والعليا، أو اللسان والحنك، مثل: ب، ت، ث، ج.

الغُنّة: خروج الهواء من اليخشوم، كما في إدغام النون مع الواو في قوله تعالى: (مِنْ وَرَائِهِمْ)[1009].

الفرشيات: الكلمات التي قُرأت على غير مثال، ولا تنهى إلى أصول أو قواعد. والفرش: كل كلمة في القرآن اختلف القراء في لفظها.

المسبّحات: قيل أنها سور أولها: سبّح، يسبّح، سبحان.

العَرْض: طلبُ المرءِ من النبي (ص) الإستماع إلى قرائته عن ظهر قلب، حتى يتحقق القارئ من صحة قرائته، وصحة إخراجه الحروف القرآنية.

الإقراء: طلبُ النبي (ص) القراءة من شخص ما. وتفصيله هو: أن يقرأ النبي (ص) القرآن على شخص، ثم يقرأ ذلك الشخص ما تُليَ عليه بصورة

[1007] سورة الفاتحة: الآية 1، وابتداء بقية السور عدا سورة التوبة، وسورة النحل: الآية 30.

[1008] سورة يوسف: الآية 11.

[1009] سورة الجاثية: الآية 10.

صحيحة ومطابقة لما سمعه منه (ص). قال الإمام علي (ع): (فما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ)[1010].

المناجاة: المسارّة، ناجى فلاناً: سارّه بما في قلبه وعقله من أسرار ومشاعر. ومن ذلك دعوة رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب (ع) يوم الطائف فانتجاه[1011]، أي خصّه بمناجاته.

[1010] بحار الأنوار ج 36 ص 135.

[1011] تاج العروس ج 10 ص 358.

مصادر التوثيق

1 – القرآن الكريم.
2 – الإبانة عن معاني القراءات. مكي بن أبي طالب حمّوش (ت 437 هـ). تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي. مصر: دار نهضة مصر، بدون تاريخ الطبع.
3 – إبراز المعاني من حرز المعاني. شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة (ت 665 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
4 – أبكار الأفكار في أصول الدين. سيف الدين الآمدي (ت 631 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.
5 – إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر. أحمد بن محمد المشهور بالبنّاء (ت 1117 هـ). تحقيق: محمد إسماعيل. مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، 1987م.
6 – الإتقان في علوم القرآن. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ). بيروت: دار الكتاب العربي، 1999م.
7 – الإحتجاج. أحمد بن علي الطبرسي (من علماء القرن السادس الهجري). قم المشرفة: الشريف الرضي، 1380 هـ.
8 – إختيار معرفة الرجال المعروف بـ (رجال الكشي). الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). تحقيق: جواد القيومي. قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1427 هـ.
9 – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري. أحمد بن محمد القسطلاني (ت 923 هـ). مصر: المطبعة الأميرية، 1323 هـ.

10 – الإستبصار فيما اختلف من الأخبار. الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). تحقيق: محمد جواد الفقيه. بيروت: دار الأضواء، 1992م.
11 – الإستيعاب في معرفة الأصحاب. يوسف عبد الله محمد عبد البر (ت 463 هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار الجيل، 1992م.
12 – الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار الكتب اللبنانية، 1415 هـ.
13 – أضواء على السنّة المحمدية (دفاع عن الحديث). محمود أبو رية (ت 1390 هـ). القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ. الطبعة السادسة.
14 – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. مصطفى صادق الرافعي (ت 1356 هـ). بيروت: دار الكتاب العربي، 1973م.
15 – إعراب القراءات السبع وعللها. الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370 هـ). تحقيق: عبد الرحمن سليمان. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1992م.
16 – إعراب القرآن. أحمد بن إسماعيل النحاس (ت 338 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 هـ.
17 – الأعلام. خير الدين الزركلي (ت 1396 هـ). بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.
18 – الإقتراح في أصول النحو. جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ). دمشق: دار البيروتي، 2006م.
19 – الإقناع في القراءات السبع. أحمد بن علي الأنصاري بن الباذش (ت 540 هـ). تحقيق: عبد المجيد قطامش. دمشق: دار الفكر، 1403 هـ.

20 – أمالي المحاملي. عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي (ت 330 هـ). تحقيق: إبراهيم القيسي. الأردن: المكتبة الإسلامية، 1991م.
21 – إنباه الرواة على أنباء النحاة. علي بن يوسف القفطي (ت 624 هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار الفكر العربي، 1986م.
22– الإنتصار. علي بن الحسين المعروف بالشريف الرضي (ت 436 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1415 هـ.
23 – (جمل من) أنساب الأشراف. أحمد بن يحيى البلاذري (ت 279 هـ). تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي. بيروت: دار الفكر، 1966م.
24 – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت 761 هـ). بيروت: المكتبة العصرية، بدون تاريخ.
25 – بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات. أحمد بن عامر المهدوي (ت 430 هـ). بيروت: دار بن حزم، 2006م.
26 – البيان في تفسير القرآن. السيد أبو القاسم الخوئي (ت 1413 هـ). قم المشرفة: أنوار الهدى، 1981م.
27 – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. محمد باقر المجلسي (ت 1111 هـ). بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1403 هـ.
28 – البداية والنهاية (تاريخ ابن كثير). إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774 هـ). بيروت: دار المعارف، 1990م.
29 – البرهان في توجيه متشابه القرآن. برهان الدين الكرماني (ت 505 هـ). مصر: ملحق مجلة الأزهر، 1414 هـ.

30 – البرهان من علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794 هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1957م.
31 – بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد (ص). محمد بن الحسن الصفار (ت 290 هـ). طهران: الأعلمي، 1404 هـ.
32 – بغية الوعاة في أخبار النحويين واللغاة. عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ). القاهرة: البابي الحلبي، 1964م.
33 – البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ). تحقيق: محمد المصري. دمشق: دار سعد الدين، 2000م.
34 – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ). تحقيق: عمر عبد السلام. بيروت: دار الكتاب العربي، 1990م.
35 – تاريخ آل زرارة. أبو غالب الزراري (ت 368 هـ). ايران: مطبعة زباني، 1399 هـ.
36 – تاريخ بغداد (تاريخ مدينة السلام وذيله والمستفاد). أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت 463 هـ). تحقيق: بشار عواد. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001م.
37 – تاريخ دمشق. علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571 هـ). تحقيق: أبو سعيد العمري. بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.

38 – تاريخ القرآن. أبو عبد الله الزنجاني (ت 1360 هـ). طهران: منظمة الإعلام الإسلامي، 1404 هـ.
39 – تاج العروس من جواهر القاموس. محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ). بيروت: دار الفكر، 1414 هـ.
40 – تاريخ المدينة. عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري (ت 262 هـ). تحقيق: فهيم محمد بن شلتوت. جدة: 1399 هـ.
41 – تاريخ اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت 284 هـ). بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.
42 – التبصرة في القراءات السبع. مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ). تحقيق: محمد غوث الندوي. الهند: الدار السلفية، 1982م.
43 – التبيان في تفسير القرآن. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). تحقيق: أحمد حبيب قصير. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
44 – تحرير تقريب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). تحقيق: بشار عواد وشعيب الارنوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997م.
45 – التحرير الطاووسي (المستخرج من كتاب حل الإشكال للسيد أحمد بن موسى الطاووس توفي سنة 673 هـ). تأليف: حسن بن زين الدين صاحب المعالم (ت 1011 هـ). تحقيق: فاضل الجواهري. قم المشرفة: مكتبة آية الله المرعشي، 1411 هـ.

46 – تحف العقول عن آل الرسول (ص). الحسن بن علي بن شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع الهجري). تحقيق: علي أكبر الغفاري. قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1404 هـ.
47 – (المنحة الالهية تلخيص ترجمة) التحفة الأثنا عشرية. محمود شكري الآلوسي (ت 1342 هـ). المطبعة السلفية، 1373 هـ.
48 – تراثنا. نشرة فصلية علمية تصدرها مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث. قم المشرفة. موضوع: النظرية التفسيرية في المدرسة الإمامية. المؤلف. عدد مزدوج 93 و 94 (محرم – جمادي الآخرة 1429 هـ)، وعدد مزدوج 95 و 96 (رجب – ذو الحجة 1429 هـ)، وعدد مزدوج 97 و98 (محرم – جمادي الآخرة 1430 هـ).
49 – تذكرة الفقهاء. الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي (ت 726 هـ). قم المشرفة: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، 1415.
50 – تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال. شمس الدين محمد بن أحمد المعروف بالذهبي (ت 748 هـ). تحقيق: غنيم عباس وأيمن سلامة. مصر: الفاروق، 2003م.
51 – تصحيح إعتقادات الإمامية. محمد بن النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد (ت 413 هـ). قم المشرفة: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، 1413 هـ.

52 – تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان في تفسير القرآن). عبد الرحمن بن محمد الثعالبي (ت 875 هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة وآخرين. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1997م.
53 – تفسير الرازي (مفاتيح الغيب). محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت 606 هـ). القاهرة: المطبعة العامرة الشرقية، 1324 هـ.
54 – التفسير الصافي. المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت 1091 هـ). قم المشرفة: مؤسسة الهادي، 1416 هـ.
55 – تفسير الطبري. (أنظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن).
56 – تفسير العياشي. محمد بن مسعود بن عياش السلمي (ت 320 هـ). تحقيق: هاشم رسول المحلاتي. طهران: المكتبة العلمية الإسلامية، بدون تاريخ.
57 – تفسير القمي. علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرنين الثالث والرابع الهجري). تحقيق: طيب الموسوي الجزائري. قم المشرفة: دار الكتاب، 1404 هـ.
58 – تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). إسماعيل بن كثير (ت 774 هـ). بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
59 – (تفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت 671 هـ). القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964 م.
60 – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. جار الله محمود الزمخشري (ت 538 هـ). تحقيق: خليل مأمون. بيروت: دار المعرفة، 2009 م.

61 – تقريب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). تحقيق: محمد عوامة. دمشق: دار الرشيد، 1986 م.
62 – التكملة (الجزء الثاني من الإيضاح العضدي). الحسن بن أحمد أبو علي الفارسي (ت 377 هـ). تحقيق: حسن شاذلي. جامعة الرياض: 1981 م.
63 – تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد. محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). بيروت: دار التعارف، 1992 م.
64 – تهذيب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). تحقيق: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1995 م.
65 – تهذيب الكمال في أسماء الرجال. جمال الدين يوسف المزي (ت 742 هـ). تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992م.
66 – التيسير في القراءات السبع. عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ). بيروت: دار الكتاب العربي، 1984 م.
67 – الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت 671 هـ). تحقيق: صدقي جميل وعرفات العشا. بيروت: دار الفكر، 1988 م.
68 – جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري). محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ). بيروت: مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ.
69 – الجرح والتعديل. عبد الرحمن بن محمد بن أدريس الرازي (ت 337 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية عن طبعة دائرة المعارف العثمانية 1953م.

70 – جمال القرّاء وكمال الإقراء. علم الدين بن محمد السخاوي (ت 643 هـ). تحقيق: علي حسين البواب. مكة المكرمة: مكتبة التراث، 1407 هـ.
71 – الجني الداني في حروف المعاني. بدر الدين حسن بن قاسم المرادي (ت 749 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م.
72 – جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام. محمد حسن النجفي (ت 1266 هـ). تحقيق: عباس القوجائي. طهران: دار الكتب الإسلامية، 1367هـ.
73 – الحجة في علل القراءات السبع. الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370 هـ). تحقيق: عبد العال مكرم. بيروت: دار الشروق، 1979م.
74 – حجة القراءات. عبد الرحمن بن محمد أبو زرعة (ت 403 هـ). تحقيق: سعيد الأفغاني. بيروت: دار الرسالة، 1997 م.
75 – الحجة للقراء السبعة. الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت 377 هـ). بيروت: دار المأمون للتراث، 1993م.
76 – الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة. الشيخ يوسف البحراني (ت 1186 هـ). تحقيق: محمد تقي الإيرواني. قم المشرفة: جماعة المدرسين، بدون تاريخ.
77 – الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية. حميد بن أحمد بن محمد المحلي (ت 652 هـ). تحقيق: مرتضى بن زيد الحسين. صنعاء: مكتبة بدر، 2002 م.
78 – الحروف. أبو نصر الفارابي (ت 339 هـ). تحقيق: محسن مهدي. بيروت: دار المشرق، بدون تاريخ.

79 – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430 هـ). مصر: مكتبة الخانجي، 1996م.
80 – الخصائص. أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ). تحقيق: محمد علي النجار. مصر: المكتبة العلمية، بدون تاريخ.
81 – الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ). بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
82 – دلائل النبوة. أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1988 م.
83 – الذريعة إلى تصانيف الشيعة. محمد محسن المعروف باغا بزرك الطهراني (ت 1389 هـ). طهران: مطبعة المصرف الوطني، 1365 هـ.
84 – رجال ابن داود. تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي (ت بعد 707 هـ). النجف الأشرف: الحيدرية، 1972م.
85 – رجال البرقي (كتاب الرجال). أحمد بن أبي عبد الله البرقي (ت 274 هـ). طهران: مطبعة جامعة طهران رقم 857، بدون تاريخ.
86 – رجال الشيخ الطوسي. محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). تحقيق: جواد القيومي. قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1415 هـ.
87 – رجال النجاشي. أبو العباس أحمد بن علي النجاشي الأسدي (ت 450 هـ). بيروت: الأعلمي، 2010 م.
88 – زاد المعاد في هدى خير العباد. محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (ت 751 هـ). بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998 م.

89 – زبدة البيان في أحكام القرآن. أحمد بن محمد المعروف بالمقدس الأردبيلي (ت 993 هـ). تحقيق: محمد باقر البهبودي. طهران: المكتبة المرتضوية، بدون تاريخ.
90 – السبعة في القراءات. أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي (ت 324 هـ). تحقيق: شوقي ضيف. مصر: دار المعارف، 1980 م.
91 – سر صناعة الإعراب. عثمان بن جني (ت 392 هـ). تحقيق: حسن هنداوي. دمشق: دار القلم، 1993 م.
92 – (كتاب) سُليم بن قيس. سُليم بن قيس الهلالي (ت 76 هـ). تحقيق: محمد باقر الأنصاري. قم المشرفة: الهادي، 1420 هـ.
93 – سنن الترمذي. محمد بن عيسى الترمذي (ت 279 هـ). تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان. بيروت: دار الفكر، 1983 م.
94– السنن الكبرى. أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م.
95 – سيرة بن هشام (السيرة النبوية). عبد الملك بن هشام الحميري (ت 218 هـ). مصر: مطبعة البابي الحلبي، 1355 هـ.
96 – سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذهبي (ت 748 هـ). تحقيق: شعيب الارنوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993 م.
97 – شذرات الذهب في أخبار من ذهب. عبد الحي بن أحمد بن العماد العكري (ت 1089 هـ). تحقيق: الارناوط. بيروت: دار بن كثير، 1986م.
98 – شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار. القاضي النعمان المغربي (ت 363 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، بدون تاريخ.

99 – شرح أصول الكافي. محمد صالح المازندراني (ت 1086 هـ). تحقيق: علي أكبر غفاري. طهران: المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ.
100 – شرح السنّة. الحسين بن مسعود البغوي (ت 516 هـ). تحقيق: شعيب الارنوط وزهير الشاويش. بيروت: المكتب الإسلامي، 1983م.
101 – شرح طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري. الشارح: أنس مهرة. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000 م.
102 – شرح المفصّل للزمخشري. موفق الدين بن يعيش (ت 643 هـ). تحقيق: ايميل بديع. بيروت: دار الكتب العلمية، 2001 م.
103 – شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد المعتزلي (ت 656 هـ). بيروت: الأعلمي، 1999 م.
104 – شواهد التنزيل في الآيات النازلة في أهل البيت (ع). عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني (من أعلام القرن الخامس الهجري). تحقيق: محمد باقر المحمودي. بيروت: الأعلمي، 2010 م.
105 – الصاحبي في فقه اللغة. أحمد بن فارس (ت 941 هـ). تحقيق: مصطفى الشويمي. بيروت: مؤسسة بدران، 1964 م.
106 – صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256 هـ). بيروت: دار الفكر، 1981 م.
107 – الجامع الصحيح (صحيح مسلم). مسلم بن الحجاج القشيري (ت 261 هـ). بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ.
108 – (كتاب) الصلاة. الشيخ مرتضى الأنصاري (ت 1281 هـ). قم المشرفة: المؤتمر العالمي لذكرى الشيخ الأنصاري، 1415 هـ.

109 – الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع (ت 230 هـ). تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990 م.
110 – طيبة النشر في القراءات العشر. أحمد بن محمد بن الجزري (ت 833 هـ). تحقيق: محمد تميم. جدة: دار الهدى، 1994 م.
111 – العقد الفريد. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ). تحقيق: محمد عبد القادر شاهين. بيروت: المكتبة العصـرية، 1999 م. ط 2.
112 – العمدة (عمدة صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار). يحيى بن الحسن الحلي المعروف بابن البطريق (ت 600 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1407 هـ.
113 – (كتاب) العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م.
114 – غاية النهاية في طبقات القرّاء. محمد بن محمد بن علي بن الجزري (ت 833 هـ). تحقيق: ج. برجستراسر. بيروت: دار الكتب العلمية، 2006 م.
115 – غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع. حمزة بن علي بن زهرة الحلبي (ت 585 هـ). تحقيق: إبراهيم البهادري. قم المشرفة: مؤسسة الإمام الصادق (ع)، 1417 هـ.
116 – غيث النفع في القراءات السبع. علي بن محمد بن سالم الصفاقسي (ت 1118 هـ). تحقيق: أحمد محمود. بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.

117 – الفاضل. محمد بن يزيد المبرد (ت 286 هـ). تحقيق: عبد العزيز الميمني. القاهرة: دار الكتب، 1956 م.
118 – فتح الباري بشرح صحيح البخاري. علي بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). تحقيق: محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ.
119 – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250 هـ). بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
120 – فضائل القرآن. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 224 هـ). بيروت: دار ابن كثير، 1995 م.
121 – فيض القدير (شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير). محمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1031 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م.
122 – الفهرست للنديم (فهرست ابن النديم). محمد بن أبي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق (ت 378 هـ). مصر: طبعة فلوجل، بدون تاريخ.
123 – الفهرست. أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت 460 هـ). تحقيق: محمد صادق بحر العلوم. النجف الأشرف: المكتبة المرتضوية، بدون تاريخ.
124 – القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت 817 هـ). بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005 م.

125 – القول المبين عن وجوب مسح الرجلين. محمد بن علي الكراجكي (ت 449 هـ). تحقيق: علي الكعبي. قم المشرفة: مؤسسة آل البيت (ع)، بدون تاريخ.
126 – الكافي (الأصول، والفروع، والروضة). محمد بن يعقوب الكليني (ت 329 هـ). طهران: دار الكتب الإسلامية، 1363 هـ ش.
127 – الكافي في القراءات السبع. محمد بن شريح الرعيني (ت 476 هـ). تحقيق: أحمد محمود عبد السميع. بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
128 – الكتاب (كتاب سيبويه). أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بـ (سيبويه) (ت 180 هـ). تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988 م.
129 – الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. مكي بن أي طالب حموش (ت 437 هـ). تحقيق: محيي الدين رمضان. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1984 م.
130 – كمال الدين وتمام النعمة. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). بيروت: مؤسسة الأعلمي، 1991م.
131 – الكنى والألقاب. عباس القمي (ت 1359 هـ). قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1429 هـ.
132 – لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور (ت 711 هـ). بيروت: دار صادر، 1968 م.

133- لسان الميزان. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدّة. بيروت: المطبوعات الإسلامية، 2002 م.
134 – لطائف الإشارات لفنون القراءات. أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت 923 هـ). تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، بدون تاريخ.
135 – اللهوف في قتلى الطفوف. علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت 664 هـ). قم المشرفة: أنوار الهدى، بدون تاريخ.
136 – مجمع البحرين. فخر الدين الطريحي (ت 1085 هـ). تحقيق: أحمد الحسيني. طهران: مكتبة مرتضوي، 1362 هـ.
137 – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
138 – مجمع البيان في تفسير القرآن. أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري). بيروت: الأعلمي، 1995 م.
139 – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. عثمان بن جني (ت 392 هـ). تحقيق: عبد الحليم النجار وآخرون. استانبول: دار سزكين للطباعة، 1986 م.
140 – مختصر الشواذ من كتاب البيع. الحسين بن أحمد بن خالويه (ت 370 هـ). القاهرة: مكتبة المتنبي، بدون تاريخ.
141 – مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي). عبد الله بن أحمد النسفي (ت 710 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

142 – مرقاة المفاتيح [علي بن سلطان القاري (ت 1014 هـ)] شرح مشكاة المصابيح. محمد بن عبد الله التبريزي (ت 741 هـ). تحقيق: جمال العيتاني. بيروت: دار الكتب العلمية، 2001م.
143 – المزار. محمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول (ت 786 هـ). قم المشرفة: مدرسة المهدي (ع)، 1410 هـ.
144 – المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ). تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون. القاهرة: البابي الحلبي، بدون تاريخ.
145 – مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام. زين الدين بن علي المعروف بالشهيد الثاني (ت 966 هـ). قم المشرفة: المعارف الإسلامية، 1413هـ.
146 – المسائل الصاغانية. محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت 413 هـ). تحقيق: محمد القاضي. قم المشرفة: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، 1413 هـ.
147 – المسائل السروية. محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (ت 413 هـ). تحقيق: صائب عبد الحميد. قم: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، 1413 هـ.
148 – المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405 هـ). تحقيق: مصطفى عبد القادر. بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م.

149 – مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل – الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت 1320 هـ). قم المشرفة: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، 1991م.
150 – المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع). محمد بن جرير الطبري الإمامي (توفي أوائل القرن الرابع الهجري). تحقيق: أحمد المحمودي. قم المشرفة: الثقافة الإسلامية، بدون تاريخ.
151 – مستند العروة (المستند في شرح العروة الوثقى). تقريرات السيد أبو القاسم الخوئي (ت 1413 هـ). كتبه الشيخ مرتضى البروجردي. قم المشرفة: دار العلم، بدون تاريخ.
152 – مسند أبو داود الطيالسي. أبو داود سليمان بن داود الطيالسي (ت 204 هـ). تحقيق: محمد عبد المحسن. مصر: دار هجر، 1999 م.
153 – مسند أحمد بن حنبل. أحمد بن حنبل (ت 241 هـ). بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.
154 – (كتاب) المصاحف. أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان الأشعث السجستاني (ت 316 هـ). القاهرة: مكتبة الفاروق، 2002 م.
155 – مصباح الفقيه. اغا رضا محمد هادي الهمداني (ت 1322 هـ). تحقيق: محمد الباقري وآخرون. ايران: المؤسسة الجعفرية، 1417 هـ.
156 – معاني الأخبار. محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). تحقيق: علي أكبر غفاري. قم المشرفة: جماعة المدرسين، 1379 هـ.

157 – المعارف. عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة (ت 276 هـ). تحقيق: ثروت عكاشة. مصر: دار المعارف، بدون تاريخ.
158 – معجم البلدان. ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 622 هـ). بيروت: دار صادر، 1993 م.
159 – معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ. محمد سالم محيسن (ت 1422 هـ). بيروت: دار الجيل، 1992 م.
160 – معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة. أبو القاسم الخوئي (ت 1413 هـ). النجف الأشرف: مركز الإمام الخوئي (قدس سره)، بدون تاريخ.
161 – معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ). بيروت: دار الكتب العلمية، 1997 م.
162 – المغازي. محمد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي (ت 207 هـ). تحقيق: مارسدن جونس. بيروت: عالم الكتب، 1984 م.
163– مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار (تفسير الشهرستاني). محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 548 هـ). تحقيق: محمد علي آذرشب. طهران: مركز البحوث والدراسات، 1386 هـ.
164 – المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. د. جواد علي (ت 1408 هـ). بغداد: مطبعة جامعة بغداد، 1993 م.
165 – المفصّل في علم العربية. محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ). تحقيق: فخر صالح قدارة. الأردن: دار عمار، 2004 م.

166 – مفردات القرآن – الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (ت 502 هـ). بيروت: دار القلم، 1412 هـ.
167 – مقتل الحسين (ع). لوط بن يحيى بن سعيد أبو مخنف الأزدي (ت 158 هـ). قم المشرفة: مكتبة آية الله المرعشي، 1398 هـ.
168 – مقدمة تفسير البرهان المسماة (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار). أبو الحسن بن محمد طاهر الفتوني (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري). بيروت: الأعلمي، 2006 م.
169 – المقنع. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). قم المشرفة: مؤسسة الإمام الهادي (ع)، بدون تاريخ.
170 – المقنع في رسم مصاحف الأمصار. أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ). تحقيق: محمد الصادق قمحاوي. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ.
171 – مناقب آل أبي طالب. محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني (ت 558 هـ). تحقيق: يوسف البقاعي. بيروت: دار الأضواء، 1412 هـ.
172 – مناهل العرفان في علوم القرآن. محمد بن عبد العظيم الزُرقاني (ت 1367 هـ). بيروت: دار الكتاب العربي، 1995 م.
173 – منتهى المطلب في تحقيق المذهب. الحسن بن يوسف بن علي المعروف بالعلامة الحلي (ت 726 هـ). مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، 1416 هـ.

174 – من لا يحضره الفقيه. أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (ت 381 هـ). بيروت: الأعلمي، 1986 م.
175 – منهاج الصالحين. السيد أبو القاسم الخوئي (ت 1413 هـ). قم المشرفة: مدينة العلم، 1410 هـ.
176 – ميزان الإعتدال في نقد الرجال. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.
177 – الميزان في تفسير القرآن. محمد حسين الطباطبائي (ت 1402 هـ). قم المشرفة: مؤسسة إسماعيليان، 1973 م.
178 – النشر في القراءات العشر. محمد بن محمد الدمشقي بن الجزري (ت 833 هـ). تحقيق: علي محمد الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.
179 – نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والحسنين. محمد بن يوسف الزرندي الحنفي (ت 750 هـ). تحقيق: علي عاشور. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2004 م.
180 – نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار. محمد بن علي الشوكاني (ت 1255 هـ). بيروت: دار الجيل، 1973 م.
181 – (تفصيل) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104 هـ). قم المشرفة: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، 1414 هـ.

182 – وصول الأخيار إلى أصول الأخبار. الشيخ حسين عبد الصمد العاملي (ت 984 هـ). تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري. قم المشرفة: مجمع الذخائر الإسلامية، 1401 هـ.
183 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أحمد بن محمد بن خلكان (ت 681 هـ). تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، 1972 م.
184 – اليقين باختصاص مولانا علي (ع) بإمرة المؤمنين. رضي الدين علي بـن طاووس الحلي (ت 664 هـ). قـم المشرفة: دار الكتاب، 1413 هـ.
185 – ينابيع المودة لذوي القربى. سليمان بن إبراهيم القندوزي (ت 1294 هـ). تحقيق: علي جمال الحسيني. قم المشرفة: دار الأسوة، 1416 هـ.

الفهرست

مقدمة الكتاب..... 7
محتويات الكتاب 15

الفصل الأول: القرآن الكريم في عهد النبي (ص) 17
مقدمة 19
الكتاب المقروء 21
نزول الوحي 23
الأمر بالتلاوة والإقراء 32
أولاً: إقراء النبي (ص) المسلمين 32
ممن حَفِظَ القرآن زمن النبي (ص) 34
ثانياً: إقراء النبي (ص) علياً (ع): 37
الفرق بين العرْض والإقراء 38
تعلم القرآن عبرالإقراء 41
دلالات حديث الإقراء من رسول الله (ص) 42
آية النجوى والقرآن الكريم..... 45
ما قيل في تفسير آية النجوى 49
ما قيل في التصدق عند النجوى 52
دلالات قوله تعالى: (يتلونه حق تلاوته) 54
حفظ القرآن في عهد رسول الله (ص) 57

طرق كتابة القرآن في عهد النبي (ص) 60
المصحف المكتوب على الصحف 63
أدوات الكتابة المزعومة 68
مراحل مرّ بها القرآن بعد وفاة النبي (ص) 70
علي بن أبي طالب (ع) في كتب تاريخ القرآن 75
ترتيب القرآن توقيفٌ من النبي (ص) 78
مدرسة أهل البيت (ع) 79
مدرسة الخلفاء 81

إشارة عامة 89

الفصل الثاني: القراءات القرآنية: البعد التاريخي 91
مقدمة 93
البُعد التاريخي في القراءات 93
مبادئ هذا الفصل 94
الفترة الأولى: عهد النبي (ص) 96
مدرسة أهل البيت (ع) 96
مدرسة الخلفاء 99
الفترة الثانية: عهد الإمام علي بن أبي طالب (ع) 100
مدرسة أهل البيت (ع) 101
ترجمة قرّاء هذه الفترة 102

مدرسة الخلفاء 105
بداية إختلاف القراءات 110
الفترة الثالثة: عهد أئمة الهدى: الحسن والحسين والسجاد (ع) ... 112
مدرسة أهل البيت (ع) 113
الدلالات المستخلصة من قراءة مدرسة أهل البيت (ع) 126
مدرسة الخلفاء 128
أسباب إهمال ذكر القرّاء الموالين لأهل البيت (ع) 131
الفترة الرابعة: عهد الإمامين الباقر والصادق (ع) 132
مدرسة أهل البيت (ع) 132
مدرسة الخلفاء 138
صناعة البديل عن أهل البيت (ع) 139
الفترة الخامسة: عهد الإمام الكاظم (ع) ومن بعده 140
مدرسة أهل البيت (ع) 140
مدرسة الخلفاء 142
أئمة القرأءات في القرن الثاني وما بعده (إشتراك المدرستين) 143
دلالات إشتراك المدرستين في حفظ القرآن 155

الفصل الثالث: القراءات القرآنية: البُعد الأصولي 167
مقدمة 169
القراءات القرآنية: موقع أئمة أهل البيت (ع) فيها 169
الآثار المترتبة على الإجتهاد في القراءة القرآنية..... 173

أولاً: إمكانية الإختلاف بين القرّاء أنفسهم 174
ثانياً: إمكانية التصادم بين القرّاء وعلماء النحو 179
ثالثاً: الإختلاف في تطبيق بعض الأحكام الشرعية 182
رابعاً: مشكلة النقل بروايتين مختلفتين 182
عوامل نشوء الإختلاف في القراءات: 183
أولاً: حديث الأحرف السبعة 183
تاريخ الربط بين الأحرف والقراءات 184
إبطال من توهم الرابط 186
الدلالات 188
الأحرف السبعة وفقهاء أهل البيت (ع) 190
عدم الخوض في القراءات 190
نقد تفسير الحروف بالقراءات 191
نقد تأويل حديث الأحرف السبعة 192
الدلالات 196
ثانياً: الإعتزاز بالقبلية 196
اللهجات العربية 197
نزول القرآن بلغة واحدة 199
قريش و(النبر) في اللغة 200
النتيجة 201
ثالثاً: خلو المصاحف من الحركات والنقط 202
رابعاً: مدرسة أهل البيت (ع) والقراءات 202

أصول القراءة القرآنية على ضوء حديث الثقلين: 205
الأصل الأول: المرجع بعد النبي (ص) أهل البيت (ع) 205
كتاب (جواهر الكلام) والقراءة الشرعية 207
الأصل الثاني: بطلان تعدد القراءات إذا أوجب تعدد القرآن 218
الأصل الثالث: القراءات المتعارفة ضمن دائرة حفظ القرآن 220
الأصل الرابع: تشابه شروط مدرسة الخلفاء مع شروط أهل البيت (ع)..... 223
وجوه الإختلافات التي أنكرها أهل البيت (ع) 224
آثار القراءة الصحيحة على الأحكام الشرعية 229

الفصل الرابع: البُعد النحوي (الصوتي) 239
مقدمة 241
الأسس الصوتية للقراءات: 241
الأول: التعامل مع الهمزة 241
الثاني: المضارعة (المماثلة والتشابه) 246
الثالث: اختلاس الحركة 258
الرابع: التفخيم والترقيق 259
إختلاف القراءة 261
تدوين علم القراءات: 264
مدرسة أهل البيت (ع) 265
مدرسة الخلفاء 266
الرد على فكرة ارتباط القراءات بالوحي (البعد الصوتي) 268

الفصل الخامس: رواية حفص عن عاصم 281
مقدمة 283
السند الثلاثي المتصل بعلي بن أبي طالب (ع): 283
1 – حفص بن سليمان الأسدي 284
2 – عاصم بن أبي النجود 286
3 – أبو عبد الرحمن السلمي 290
صراع التوثيق وهفواته 293
السبب الرئيسي في الأخذ برواية حفص عن عاصم 298
أمثلة عامة على قراءة حفص عن عاصم 300
المباني اللغوية في قراءة حفص: 303
المماثلة 303
الفتح والإمالة 305
الهمز 306
تحريك (فَعَلَ) 308
التأنيث والتذكير 310
الإعراب 311

الفصل السادس: النتائج المستخلصة من بحوث الكتاب
(نظرية إشتراك المدرستين في حفظ القرآن الكريم)..... 315
مقدمة 317
علي (ع) والقرآن: ارتباط المصير 318

علي (ع) والقرآن: الإقراء والتلقي من رسول الله (ص) 319
قرّاء المدرستين 321
أئمة القراءات العشر 324
نشوء القراءات 326
أصول القراءة القرآنية على ضوء الثقلين 328

المصطلحات الواردة في الكتاب 331
مصادر التوثيق 337
الفهرست 361